



أحمد عبد الله الدامغ

الجزء التاسع



مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة
قسم الدراسات والبحوث والنشر
الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م



ح احمد عبدالله الدامغ، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدامغ ، احمد بن عبدالله
الادب المثمن / احمد بن عبدالله الدامغ - الرياض، ١٤٢٤ هـ
١٦ مج. ، ٣٣٦ ص ، ١٧ X ٢٤ سم
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)
١- الادب العربي - مجموعات أ- العنوان
ديوي ٨، ٨١٠ ١٤٢٤/٢٧٧٣

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٧٧٣
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)

المملكة العربية السعودية ص.ب ٩٣٩٢٧ الرياض ١١٦٨٣ هاتف ٤٨٧٠٥١٣
فاكس ٤٨٧١٤٢٧/ ٣٦
الموقع على الأنترنت
www.albabtain-center.com
البريد الألكتروني:
E-mail: info@albabtain-center.com



بسم الله الرحمن الرحيم

توطئـــة

أيها القارئ الكريم: هذا هو الجزء التاسع من كتابي «الأدب المثمن» أضعه بكل تواضع بين يديك. مثل ما وضعت ما تقدمه من أجزاء... ـ وليس لدي ما أقوله في هذه التوطئة القصيرة إلّا أن أشبّه نفسي فيما أقدمه من أجزاء متوالية من هذا الكتاب أو من عمل أدبي آخر.. بالطبّاخ الذي يحرص على أن يشكل طعامه ويجتهد في فنية طهيه، وصنعه ليقدمه لزبائنه، وكله أمل بأن يجد له من لدنهم شهيةً وقبولاً.

فعساك أيها القارئ الكريم قد وجدت من ذلك التشبيه شيئاً لا يبعدني مجازاً عن المشبه به.. والله ولي التوفيق.

أحمد عبد الله الدامغ



ما هو الخاز باز؟!

وأثناء قراءتي لقصيدة المتنبي التي امتدح بها أبا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب والتي تبلغ (٣٨) بيتاً. منها قوله:

شَغَلَتْ قلبه حسان المعالي
عن حسان الوجوه والأعجاز

وقوله:ـ

بلّغتْهُ البلاغةُ الجُهدَ بالعَفْـ
ـوِ ونال الإسهاب بالإيجاز

وقوله:ـ

مَلِك منشد القريض لديه
واضع الثوب في يدي بزّاز

ولنا القول وهو أدرى بفحوا
ه وأهدى فيه إلى الأعجاز

ومن الناس من يجوز عليه
شعراء كأنها الخاز باز

ويرى أنه البصير بهذا
وهو في العُمْي ضائع العكاز

كل شعر نظير قائله فيـ
ـك وعقل المجيز عقلُ المجاز

والذي استوقفني من ألفاظ تلك الأبيات.. قوله: ـ. الخاز باز ـ . الذي أسهب الأستاذ عبد الرحمٰن البرقوقي في تبسيط معناه بشواهد... لا أقول أنها كثيرة بقدر ما أقول أنها استدلال على اختلاف العلماء في تفسير معنى ـ الخاز باز ـ وحيث فسرها أحدهم بأنه اسم للذباب، أو هو اسمان جعلا اسماً واحداً... رأيتني مندفعاً نحو البحث عنه عن الشيخ كمال الدين الدميري في كتابه الشهير «حياة الحيوان الكبرى» فوجدت في «باب الخاء المعجمة»، أنه قد ذكر خلاف علماء اللغة في تفسير ـ الخاز باز ـ حيث ذكر أن منهم من قال: إنه: صوت طنين الذباب. ومنهم من قال: هو الذباب نفسه. ومنهم من قال أنه نبت. ومنهم من قال: هو السنور. ومنهم من قال: هو داء وقرحة تأخذ الإبلُ والناس في حلوقهم. وذكر لبعض من تلك الأقوال شواهد من الشعر تعززها.

ومن الشواهد على أنه داء يصيب اللهازم، قول الشاعر:

مثل الكلاب تهر عند درابها
ورمت لهازمها من الخز باز

والحقيقة أنه ليس هناك ما يرجح أي قول من تلك الأقوال.. إلّا أن العامة من الناس يرجحون أن الخاز باز ذباب بري متميز بلونه الأزرق وكبر جسمه. وهو يتواجد في الرياض ويكثر في فصل الربيع.. وقد ذكره الشاعر ابن لعبون وهو شاعر عامي بقوله:ـ

وصرت بوحشة من ريم راما
ومن فرقاه مثل الخاز باز

○○○○○



البحتري... هَمّ بأن يجعل حماره أضحية!!

والبحتري هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري الطائي، المولود بمنج سنة ٢٠٦هـ والمتوفى سنة ٢٨٤هـ، كان من بين الشعراء الذين مستهم الحاجة وشكوا من جور الدهر وسوء تصرفه.. واستعطفوا أهل الجود والكرم، وأطلقوا عنان ألسنتهم في قول المدائح في ذوي الجاه والسلطة ونالوا بها الهبات والصلات.

ولا أريد هنا أن أسترسل في البحث في شخصية أبي عبادة فقد أوفاه الدارسون حقه، وأخص منهم أبا العلاء المعرّي الذي وقف على ديوانه وقفة نقدية سجل فيها ما لأبي عبادة وما عليه وذلك في كتابه «عبث الوليد».

وأعود إلى الوقوف على حالة البحتري الاجتماعية وخاصة الجانب المادي منها الذي جعله يشكو دهره تلميحاً وتصريحاً من عدة وجوه قسي فيها الدهر عليه.. لهذا نجده يتساءل في إحدى قصائده الفخرية تساؤلاً صوّر الدهر فيه شخصاً يعاقبه بجريرة أجداده:ـ

أيقتصُّ مني آخر الدهر ظالما
جرائر أجدادي على أول الدهر

ورثى بني قومه بقصيدة، منها قوله:ـ

أكلتهم نوب الزمان وفلّلتْ
من حد شوكتهم صروف دهر

ويرى من وجه آخر أن الدهر ساعد شيبه، فوقفا معاً وقفة فيها ظلم لشوقه:

وما ظلم الشوقُ والجوانح إنما
غدا ظالماً للشوق شيبي والدهر

ويصف حاله مع الدهر وكيف أنه مستبد به. بل إنه يصف الدهر بأنه في متعة وهو يقسو عليه وأن هذه المعاملة ما هي إلّا إجرام من الدهر في حقه.

متاع من الدهر استبدّ بجدتي
وأعظم جُرم الدهر أن يمتع الدهر

وقد همّ البحتري بأن يجعل حماره أضحية له، وذلك لقلة ما في يده من مال يشتري به أضحية يذبحها يوم النحر.. لكنه استهدى أبا جعفر محمد بن علي القمّي أضحية تكون مكانه، وذلك في أبيات كلها طرافة ولطافة ودعابة أدبية، وذلك بقوله:ـ

جعلتُ فداك لي خبر طريف
وأنت بكل مكرمة خبير

غداة النحر ينحر كل قوم
ولا شاة لديّ ولا بعير

بلى عندي حمار لي.. فقل لي
أتُقبلُ من مضحيها الحمير

لأن لم تفده. تفديك نفسي
بذبح فهو في غده نحير

○○○○○

الحكيم من إذا هبت بالسعد رياحه توقع سكونها!!

وبعض الناس ينقله قدره ما بين لحظة وأخرى. من حالة هو فيها مجهول لا يعرف.. إلى حالة يصبح معها علماً يشار إليه بالبنان ويذكر في كل نادٍ وعلى كل لسان.

وهذا القدر الذي ينقل بعض الناس من مستوى الحالات العادية التي يعيشها السواد الأعظم إلى مستوى الحالات الخاصة التي تمنح صاحبها اعتبارات تجعل معظم الناس يتبارون في حلبة التودد له والتقرب منه والانحناء أمامه.. يأتي في بعض الأحيان مفاجأة. وذلك كأن يستوزر في حكومة. أو يضم إلى قائمة أعيان يرجع إليهم ويؤخذ برأيهم. أو ما إلى ذلك من المناصب غير العادية.

لكن الذي يدرك مفاهيم هذه التغيرات، ويعرف أن الرياح التي هبت لسعادته أنها في يوم من الأيام ستسكن. ويوقف دولاب سعادته يحاسب نفسه ويتزن في تصرفاته، ويجعل الاعتدال في كل أمر مسلكاً لحياته ورمزاً لتعامله... فلا يبطر.. ولا يغمط، ولا يتكبر ولا يتجبر حتى إذا ما قدره أعاده إلى حياته السابقة وجد مكاناً قد بناه له تواضعه بين عامة الناس يوم كان مسؤولاً وذا منصب وجاه واعتبار.

ومن طريف ما يدخل في مفهوم هذا الموضوع وخاصة جانب التزلف والتملق منه ما رؤي من أنه لما انتخب الشاعر موسى الزين شرارة رئيساً لبلدية إحدى القرى عام ١٩٥٢م، أرسل إليه أحد الصحفيين جريدته جرياً على العادة ما دام رئيس بلدية. فما كان من الشاعر موسى إلّا أن بعث بقصيدة إلى الجريدة. منها قوله:-



لقد وصلت صحيفتكم فشكراً
إذا هي كالهدية ـ بالبلاشي
فإن تبغي لها بدلاً فإني
زعيم المفلسين بلا نقاش
بليت بظالم يدعى ـ ضمير ـ
يراقبني ويرعاني كـ... واشي
ووجدان أعيذ اللّه منه
برغم تجددي رجع انكماشي
يُجنُّ برغم إفلاسي إذا ما
رأى وجه النقود بكف راشي

ثم يأتي على ذكر مهنته. وأنه أديب وشاعر لا يؤثر فيه المنصب. وأن كل ما يؤمله من أصدقائه أن يتعاملوا معه تعاملاً طبيعياً في مجال الأدب، وأن لا ينظروا إليه كرئيس بلدية.. ثم يعطف القول على صاحب الجريدة. فيقول:

لذا إن شئت تبدلها بشعر
يكون الغزل من نوع القماش
وإلّا فاحبس الأعداد عنّي
ولا تخجل أُخي ولا تُحاشي
لأن وظيفتي واحرّ قلبي
كما عرف الجميع بلا معاش

فنشرها رئيس التحرير مذيلة بقوله: ـ اتفقنا ـ.

○○○○○

تشخيص بلا تصوير ولا مختبر!!

لقد بلغ العلم في ميدان الطب وتشريح الجسم ومعرفة الفصائل وأنواع الجينات ما مكن الإنسان المعاصر من نسبة الحيوان المنوي إلى صاحبه عن يقين وتمام معرفة.. لكن هذا العلم الخاص بنسبة الأشياء إلى أصولها لم يكن مغفلاً في الزمن السابق، وإنما كانت له أهمية بالغة تحقق عن طريق الفراسة حيناً. والاستنتاج حيناً آخر. وذلك بملاحظة التقاسيم الجسدية، والأفعال الحركية، والطباع المتأصلة فضلاً عن اللون والقسمات، والصوت وما إلى ذلك مما تحققه الاستقراءات ـ وأهل الفراسة من القدامى يستطيعون أن ينسبوا الرجل إلى قبيلته أو فخذه بمجرد رؤيته ودراسة ملامحه.

كما أن لهم في معرفة الهجين من الأصيل من الحيوانات نتائج شبه مخبرية. من ذلك هذا الخبر الذي جاء توطئة لأرجوزة للبيد بن ربيعة العامري ونصه: ـ ندب عمر بن الخطاب رضي الله عنه سلمان الباهلي.. وقيل العامري ليميز الخيل العتاق من الهجين. فدعا بطست ماء فوضعت بالأرض. ثم قدم الخيل واحداً إثر واحد فما ثنى سنبكه عده هجيناً، وما شرب دون أن يثنيها عده عتيقاً.. وذلك لأن أعناق العتاق طويلة، وأعناق الهجين قصيرة. ـ لكن لبيداً قد حاول في أرجوزته التي تضمّنها ديوانه أن يقلل من أهمية سلمان الباهليّ التي نالها بسبب ندب عمر رضي الله عنه له لتلك المهمة وذلك بقوله:ـ

أنت جعلتَ الباهليَّ مِقْنَعَا

فينا فأمسى ما جدّا ممنعا



وحــق مــن رفــعــتــه أن يُــرفــعــا
وكــان شــيــخــاً بــاهــلــيــاً أضــلــعــا
لا يــحــســن الــنــعــل إذا تــشــســعــا
فــالــيــوم قــد نــال خــلالاً أربــعــا
عــزاً. ومــجــداً.. وغــنــى. ومــفــزعــا
فــمــا يَــنَــلْ مــمــا تــراه ضــيــعــا

○○○○○

التحول من الضعف إلى القوة.. ومن القوة إلى الضعف!!

وقياساً على تدرج حياة الإنسان الذي كان ضعيفاً في سنوات عمره الأولى ومحتاجاً إلى المساعدة في كل شيء له علاقة بحياته. ثم تحوله شيئاً فشيئاً إلى أن يصير قادراً على مواجهة الحياة بنفسه، ويتحول ضعفه إلى قوة تمتد إلى مساعدة الآخرين وتظل سنوات محسوبة قليلة يرجع بعدها إن طال به العمر إلى ضعف ينتهي به إلى هرم وعجز وإقعاد.. وفي القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى في الآية ٥٤ من سورة الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾.

أقول قياساً على هذا النمط التدرجي تسير الحياة بكل ما فيها من أحياء. بل إن هذا القياس يشمل كثيراً من الظواهر الطبيعية؛ كالنبات، والكواكب، والنجوم، والمد والجزر وغير ذلك مما نشاهد من تدرج في درجات الحرارة من اعتدال إلى ارتفاع، ثم تحول إلى انخفاض فرجوع إلى الاعتدال.

والأدلة على أن الضعف يعقبه قوة وأن القوة يعقبها ضعف كثير جداً... ـ ولأبي العلاء المعري في ذلك أقوال كثيرة.. أكتفي منها ببعض مما جاء في قصائده المقفاة بحرف «الراء» إذ يقول في صفة تحول منازل القمر:ـ

لا يعجبنك في جنح الدجى قمر

فإن عقبى محاق غاية القمر



ويقول :ـ

إن كنت صاحب جنة في ربوة
فتوق أن ينتابها إعصار

ويقول :ـ

توقع بعد هذا الغي رشداً
فمن بعد الظلام ضياء فجر

ويقول :ـ

يجلُّ الملك عن نظم ونثر
وعن خبرٍ تحدثهُ باثر
وتضؤُلُ فيه هذي الشمس حتى
تعود كأنها دينار عشر

ويقول :ـ

سم الهلال إذا عاينته قمراً
إن الأهلة عن وشك لأقمار

وقوله :ـ

كم أهرم الفتيات وقت ذاهب
والشمس تطلع كالفتاة المعصر

وبعد. هل يُلقي من منحه الله قوة بالّا لحتميّة هذا التحول فلا يتطاول على الناس بيده ولا ينظر إليهم بمؤخرة عينه؟.

○○○○○

التجديد في المعنى له خاصيته.
والفضل للمتقدم في تأسيسه!!

وحينما نقرأ في بعض الأشعار تستوقفنا بعض المعاني لتعود بنا الذاكرة حين قراءتها إلى ادّكار ما قد سبقت قراءتنا له. فنقف موقف الباحث عن السابق إليها أهو الشاعر الذي نقرأ له أم ذلك الذي ادكرنا قوله... فلا نجد وسيلة تدلنا على ذلك إلّا النظر إلى المتقدم على صاحبه فإذا تحقق لنا الأقدم، قلنا هذه العبارة: «لقد سبقه إلى هذا المعنى الشاعر القديم ـ فلان». وإن كان معاصراً لمن نقرأ له، فإن الشاعر المشهور هو الذي سيفوز بالشهادة له بالسبق إلى ذلك المعنى.

وقلّ من النقاد من يكلف نفسه عناء البحث والتحقيق في أيهما السابق إلى المعنى الذي استوقفنا.

وما لنا لا نقول: إن كثيراً من الشعراء لا يكون لديه العلم بما قاله الشاعر المعاصر له. أو المتقدم عليه.. ـ وأن المعنى الذي جاء به كان عبارة عن توارد خواطر جادت بها قريحة الشاعرين معاً.. ـ ثم لماذا لا نقول أن المعنى ليس موقوفاً على شاعر بذاته. ونتساءل قائلين: هل المعنى الذي يتعاوره الشعراء إلّا عبارة، أو لفظة مكونة من جملة حروف هجائية يستوعب فهمها كل ذي فكر ويقتطف معناها كل ذي عقل؟.

ـ وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يحسن بالناقد إذا ما تطرق إلى هذا المجال أن يكيف قلمه ليمضي به في تحليلات منطقية تعطي كل ذي حق حقه. فلا يفضل الأقدم ولا الأبرز شهرة على السابق إلى المعنى



وإنما يأخذ في الاعتبار أن توارد الخواطر وتشابه الفكر في أي موضوع هو حقيقة قائمة، وأن الفضل للمتقدم.

ولو أن المعنى يقتصر على طرقه شاعر أو كاتب واحد لأغمد الخلف أقلامهم وعطلوا أفكارهم واكتفوا بقراءة ما تركه لهم أسلافهم الذين قلما تجد موضوعاً إلا وكان لهم عليه بصمات واضحة. . . - وعلى الناقد أن يدرك أن الأفكار تتجدّد ويتجدد بتجددها المعنى. ولهذا فإن كل جيل من الأجيال يُلبس المعنى ثوباً من نسجه وصناعته، ويصبغه باللون الذي يناسبه. . - ومن المعاني المطروقة في قصائد الرثاء مثلاً ما يدور حول القبر الذي يتمنى الراثي أنه هو الجثمان الذي وضع فيه وليس صاحبه الذي رثاه. . - يقول تاج الملوك أبو سعيد بن الملك الأفضل الأيوبي المتوفى سنة ٥٧٩ متمنياً أنه هو الذي كان ميتاً:-

أيا غائباً إلّا عن القلب والفكر
ومن لم أزل ما عشتُ منه على ذكر

أحاول عنك الصبر والحزنُ غالبي
عليك. وهل لي بعد فقدك من صبر

وما كنت أدري قبل دفنك في الثرى
بأن تراب القبر يحثى على القبر

أرثّيك من حزن عليك وحسرة
وبالرغم مني أن أرثّيك بالشعر

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني
سبقتك إذ كنا إلى غاية نجري

ويقول في هذا المعنى من قصيدة أخرى:-

وبدر تمام في الشآم دفنته
وما خلت أني في الثرى أدفن البدرا

ولـو أن حـيـاً يـفـتـدي مـن جـمـاعـة
بـذلـت لـه مـالـي وقـاسـمـتـه الـعـمـرا
ولـو كـنـت مـمـن يـسـتـطـيـع غـسـلـتـه
بـدمـعـي وصـيّـرت الـفـؤاد لـه قـبـرا

○ ○ ○ ○ ○

القرد لم يكن أصلاً للإنسان..
والإنسان لم يكن أصلاً للقرد أيها الخبيثان!!

والجاحدون للربوبية والمشككون في خلق الله وصنعه. هم الذين يأتون بنظريات وهمية لا تعتمد على براهين يدركها العقل السوي. فيتلقفها ذوو العقول الضعيفة المهزوزة. ومن النظريات من لا يتورع أصحابها في إطلاق خيالاتهم المريضة فيما خلق الله وصوّره وبرأه وأحكم صنعه.. بل إنهم ليتحسسون الأشياء التي يكون لتوهيم الناس بآرائهم فيها مدخلاً... ـ ثم يحسد بعضهم بعضاً ـ أعني بعض الفلاسفة الوجوديين الذين يتغنّون في الإلحاد وينسبون المخلوقات إلى الطبيعة ـ وذلك كأن يحسد صاحب النظرية على نظريته فيعمل حاسده على نقضها وهدمها بنظرية أخرى مغايرة لها...، وأقرب مثال على ذلك ما حصل، لداروين الإنجليزي الذي أسس نظرية ـ همجية ـ تقول: إن الإنسان يلتقي في أصله بالقرد. وأن القرد من نسل الإنسان ولهذا فهو أجدر من الإنسان خلقاً وأصح تكوينا بدليل أن أمعاءه قد خلت من الزائدة الدودية الموجودة في الإنسان، ويعتبر هذا لعنه الله دليلاً على همجية الفطرة الأولى التي هذّبها النشوء والارتقاء فانمحت من ولدنا القرد. وقد حسده على هذه النظرية خبيث آخر يدعى وستنهوفر الألماني فجاء بنظرية معاكسة لها. يقول فيها: ـ إن القرد هو أصل الإنسان لكنه وقع في أمر الذيل هو وداروين الذي علل عدم وجوده في القرد بالتطور ـ ونحن نقول: ـ كيف يكون الذيل في القرد الذي هو أصل الإنسان بزعم وستنهوفر ولم يكن في الإنسان الابن؟ فهل هو سمة تطور في الإنسان لأنه الأجد أم ماذا؟. ـ وما لنا إلّا أن نقول أخزاهما الله ومن نهج

نهجهما في هذا المجال الفلسفي المنحدر إلى عمق الهمجية... ـ ولقد كان للشاعر محمود عماد تعليق على هاتين النظريتين الفاسدتين حيث نظم قصيدة في ذلك قوامها ٢٧ بيتاً، منها قوله:ـ

قال (دروين) في حديث السنينا
إن هذا القرد الخبيث أبونا

فلبثنا إذا مررنا بقرد
نخفض الطرف ذلة والجبينا

وقوله:ـ

حينما صاح في العوالم (وستنهـ
وفر): لا تصدقوا (دروينا)

ليس هذا القرد العزيز أبانا
بل هو ابن لنا نسيناه حينا

أفلم تبصروه أقوم أمعا
ءً وأرقى من نوعكم تكوينا

ويركب الشاعر محمود عماد أسلوب السخرية وتلك النظرتين السخيفتين فيخاطب صاحبيهما قائلاً: لماذا لا تنشئون نظرية تثبتون لمريديكم قرابة الخنزير فهو لكم أيها النصارى أقرب من حيث أنكم تطعمون لحمه. يقول:ـ

لمَ لمْ تدّعون القرابة للخنز
ير كيما تجاملوا المسكينا

إن منه طعامكم فهو منكم
كيف لا تذكرون ما تطعمونا؟

أفما كانت المروءة تقضي
أن تقولوا للناس: هذا حمونا؟

الطفل طاقة تبحث عمن يعتني بها

والبحث في جوانب طاقة الطفل وتحسس مواهبه وميوله أمر تمليه حاجة المجتمع إلى المدرس، والمهندس، والطبيب، والقاضي والقائد، والمخترع، والمزارع، والتاجر، والكاتب. بل إلى كل ما تحتاجه البلاد من يد عاملة. وطاقة بشرية متكافلة ومتكافئة... ـ وإذا كانت ركائز هذه الطاقات التي يحتاج المجتمع إليها كامنة في الطفل ولا تحتاج إلّا إلى صقل ودعم وتطوير. فإن البحث عنها بصفة عامة بين صفوف الأطفال هو من مسؤوليات العقول التي تدير الحركة الفكرية في المجتمع.

والطفل العربي، لم يعط حقه بعد ولم يُسْبَر غور ذكائه بالطريقة التي تتخذها بعض الدول المتقدمة علمياً وحضارياً، والتي خاضت ميدان الصناعة وأدركت أن امتداد تقدمها العلمي والصناعي لن يستمر ما لم تصله بسواعد وعقول شبابها وزهرة مستقبل أيامها. ولهذا فهو طاقة مطمورة تبحث عمن يعتني بها ويخلص في استخراجها وجليها.

وعلى الرغم مما يقاسيه العالم العربي من حاجة إلى خبرات علمية أجنبية فإنه لم يستيقظ ضميره بعد لتنمية عقل الطفل العربي واستكشاف مواهبه ليسد بها حاجته ويتجنب ما قيل في هذا الخصوص من ويلات، منها: ـ ويلٌ لأمة تأكل مما لا تزرع.. ويلٌ لأمة تلبس مما لا تنسج... ويلٌ لأمة تقاتل بما لا تصنع، وغير ذلك من الويلات.

ولقد كان الحث على كشف مواهب الطفل وتنميتها موضع أقلام بعض الكتّاب والشعراء ولكن تأثيرها كان محدوداً بصفة عامة في عالمنا العربي.. فمن الشعراء الذين لفتوا الأنظار إلى العناية بمواهب الأطفال

وأبرزوا مدى حاجتنا إليها الشاعر الدهشان الذي نظم قصيدة بعنوان «تهذيب الطفل»، منها قوله:ـ

والطفل أقدس من تعنى به أمم
خفوا إلى المجد إذ نمشي على العرج

والأم أصل شقاء الطفل لو صلحت
ما أصبح الشرق منسوباً إلى الهمج

يا خيرة القوم إن الطفل مهجتكم
وهل نرى العلم في شيء سوى المهج

من ذلك الطفل أستاذ ومدرسة
ومنه سجن ومسجونون في الحرج

منه النبيون. منه المصلحون ومنـ
ـه الفارس الظافر المختال في السرج

كم من فضائل غابت في الصبيّ ولو
لاقت مثاراً لجازت خير منتهج

كم من نبوغ عليه كان منبلجا
وردّه الجهل سراً غير منبلج

كذلك الغصن رطباً لو يميل ولم
تقمه أيديكم استقسى على العوج

والقصيدة أطول من ذلك هي موجودة في الجزء الثاني من «ديوان الدهشان».

○○○○○

تأويل التاسع

كان بعض الأصدقاء يعلم أنني قطعت شوطاً في تأليف هذا الكتاب «الأدب المثمن» وفي يوم من الأيام سألني على مسمع من بعض الأصدقاء قائلاً: - كم بلغت أجزاء كتابك؟ فقلت على الفور: - أنا الآن في التاسع - فضحك الأصدقاء ضحكاً كان سببه إغفالي كلمة - جزء - فأوّلوا إجابتي تأويلاً مضحكاً إذ صرفوها إلى عدة شهور الحمل. فلو قلت: أنا الآن اشتغل في الجزء التاسع لما حصل هذا التأويل الذي غرق بعض الأصدقاء في الضحك منه.

وبعيداً عن هذه الطرفة. فإن هناك أقوالاً مقيدة بأعداد مختلفة.. فمما هو مقيد بالعدد تسعة ما روي عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال: أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى هذا النبي. قال: لا تقل منبي فإنه إن سمعك صارت له أربع أعين.. فانطلقا إلى رسول الله ﷺ. فسألاه عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١][(١)]، فقال رسول الله ﷺ: «لا تشركوا بالله شيئاً.. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلّا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تمشوا ببريء إلى السلطان ليقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة يهود ألّا تعدوا يوم السبت، فقبلوا يده، وقالوا: نشهد أنك رسول الله. قال: «فما يمنعكم أن تتبعوني»؟ قالوا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا يهود.

---

(١) والآية الكاملة هي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾.



وإذا كان لا بد من شاهد شعري تشتمل الوحدة فيه على تسعة أشياء. فإن أقرب ما يكون إلى الذاكرة هي «معلقة امرئ القيس» التي وصف فيها حصانه بعدة أوصاف.. أهمها هذه التسعة التي اشتمل عليها هذان البيتان:

مكر مفر مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

وهذا البيت فيه خمس صفات هي: الكر والفر، الإقبال والأدبار، والتشبيه بالجلمود الذي هوى به السيل من أعلى أما البيت الثاني ففيه أربعة أوصاف هي قوله:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

ويجرنا هذا الشاهد إلى إيراد مزيد من الأبيات التي فيها وصف للحصان. وذلك كقول الشاعر يوسف بن هارون:

وأقب كالمحبوب حُسْناً لم نجد
كصفاته كوُحُدٍ في تمثال

في سرعة الأوهام ليس كجريه
في البعد إلّا حَلْبَةُ الآمال

ذو منظر حسن تضمن مخبراً
حسناً فكان لِزِينة وقتال

ألقوا عليه حَلْيَهُ فبدا لنا
فيه كما تبدو العروس لجال

وكأنما يُزْهى بما يَغْلُوه من
حَلْي فيمشي مشية المختال

حطمت حوافره السلام صلابة
فكأنها من أوْجُهِ البُخّال

المسلمون في يوغسلافيا تتعاقبهم أيدي الاضطهاد والقتل منذ ٥٠٠ عام إلى يومنا هذا!!

تشير بعض التواريخ إلى أن الإسلام قد دخل البلقان في القرن الأول... وقيل: في عام ٢١٢هـ. وعلى هذا فإن المسلمين الذين يعيشون في شبه جزيرة البلقان ليسوا مستجدين بها وإنما هم خليط من العرب والصرب وغيرهم ممن اعتنقوا الدين الإسلامي هناك وتركا الكنسية البوسنية منذ ٥٠ سنة، وذلك بعد فتحها على يد محمد الفاتح.. الأمر الذي أثار حقد الصليبيين فشنوا حرباً في كل من البوسنة والهرسك لمنع المد الإسلامي وكسر شوكة المسلمين... ثم هدأت الحال.. لكن العداوة لا تزال كامنة في نفوس الصليبيين ضد المسلمين... ـ ففي عام ١٢٤٠هـ أخذ الصليبيون يضغطون على المسلمين للتخلي عن الإسلام واعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد... ـ وتحت ذلك الضغط غادر المسلمون إلى البوسنة في جنوب يوغسلافيا... ـ وقد روت كتب التاريخ بصدق أن الأسقف دانيا بتروفيتسن قد حذر بل حرض النصارى في الجبل الأسود على قتال المسلمين فوقعت مذبحة رهيبة للمسلمين في إقليم الجبل الأسود.. ومثلها حصل للمسلمين في عام ١٧٠٤م.

ولما ضعفت الدولة العثمانية في عام ١٢٩٦هـ، اضطرت إلى التنازل عن تلك البلاد إلى النمسا فصارت تعيش تحت حكم غير إسلامي قسا على المسلمين واضطهدهم مما جعل المسلمين يثورون في عام ١٣١٨هـ، ضد النمسا واستمرت ثورتهم ومطالبتهم بالاستقلال حتى

عام ١٣٢٧هـ، حيث قامت الحرب العالمية الأولى ولما انتهت تأسست الدولة اليوغسلافية لأول مرة.. فظن المسلمون أنهم قد تخلصوا من قوة النمسا لكنهم وقعوا في شر منها. إذ غدر بهم الصرب الأرثوذكس واستولوا على أملاكهم وحولوهم إلى فقراء. فلم يكن للمسلمين بد من تأسيس حزب إسلامي برئاسة محمد سباهو عام ١٣٣٨هـ.. ثم أخذت الشيوعية دورها في حكم يوغسلافيا. فتعرض المسلمون لمذابح أخرى وتهديم مساجدهم ومحاكمهم ومدارسهم الدينية وأبيد ٢٤ ألف مسلم أغلبهم من منطقة طولاز في البوسنة ومدينة سراييڤو ومناطق مقدونيا. وكوسوفو. وزغرب.. - وتمضي الأيام والمسلمون يتزايد عددهم في تلك الجهات والحمد لله حتى بلغت إحصائيتهم في عام ١٩٥٢م ٣ ملايين تقريباً.. - ولما انتهى الحكم الشيوعي الذي دام ٤٥ سنة في يوغسلافيا وانهار عام ١٩٩٠م أسس المسلمون حزباً سياسياً اسمه - حركة الجبهة الدمقراطية برئاسة علي عزت الذي كان سجيناً في سجون الشيوعية وقد حصل هذا الحزب على ٣٧٪ من الأصوات في حين حصل الحزب الصربي على ٢١٪ من الأصوات والحزب الكرواتي على ١٧٪ وتشكلت الحكومة التي اختير رئيس الحزب الإسلامي رئيساً لجمهورية البوسنة والهرسك. ولما نشبت الحرب بين الكروات والعرب لزم المسلمون جانب الحياد إلا أن الصرب لم يَدَعُوا المسلمين فقاموا بتسليح الصرب الموجودين في مناطق المسلمين ليبدأوا مذبحة وتشريداً للمسلمين وهو ما كان قائماً الآن وفي تاريخ تحريري هذا الموضوع أي في المحرم عام ١٤١٣هـ.. وقد وصف الشاعر يحيى بشير حاج يحيى الحالة المتردية في البوسنة والهرسك في قصيدة عنوانها: «غدراً - سراييڤو -»، منها قوله:

لمن المجازر - يا أُخي - تقام

وعلام لم يحفل بها إعلام؟

مدن تباد بأهلها فمصيرهم
بعد الحرائق أدمع وخيام

كانت على الأيام واحة خاشع
تزهو بها في عزة الإسلام

فغدت وقد غال اللئام صفاءها
أطلال بؤس دكها الإجرام

ومنها قوله:ـ

كنا نظن بأن «لينينا» مضى
والحق عاد ورفرفرت أعلام

فإذا الصليبيون الأم عنصرا
وإذا الجميع على التآمر قاموا

لم يرقبوا عهداً لنا أو ذمة
ومتى لأهل الكفر صح ذمام

ومنها قوله:ـ

في «الهرسك» المنكوب ألف فجيعة
تدمي القلوب ـ وفي القلوب ضرام

○○○○○

يد هــرّ

ما خطر ببالي أن أكتب موضوعاً عن الهر بالذات.. لا لأنه ليس له أدب أو مكانة في عالم الحيوان. وإنما لأنه ليس بذي ارتباط بالإنسان كبعض الحيوانات مثل: الكلب، والحصان، والجمل، والصقر، والحمار، وغيرها.

ـ وطالما أن الخاطرة قد وردت حاملة الرغبة في الحديث عن الهر... فإنني أذكر بالمناسبة أننا كنا جماعة نتذاكر فنون الأدب بما فيه من معميات وما يشبه الألغاز من الأشياء الرمزية والتعجزية فإذا بأحد الأصحاب يسوق علينا ورقة صغيرة كتب عليها هذه العبارة «يدهر التوت» وطلب إلينا قراءتها بصوت جهور.. فما قرأها واحد منها قراءة صحيحة. بمعناها الصحيح. حيث قرأناها جميعاً بتشديد الدال. إذ غاب عنّا معنى الإلتواء الذي أصاب يد الهر المسكين، وأنها جملة تفيد بأن الهر ملتوية يده.

وأعود إلى الهر الذي جرتني إليه الخاطرة لأستعرض شيئاً من التعريف به وبعضاً من المناسبات التي ورد ذكره فيها.. ـ فعلماء اللغة يقولون: الهرّ: السنور. والجمع هررة، والأنثى هرة.. وقد روي عن سلمان الفارسي أن النبي ﷺ أوصى بالهرّ وقال: «إن امرأة عذبت في هرة ربطتها. الحديث. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي ﷺ تمر به الهرة فيضع لها الإناء فتشرب ثم يتوضأ بفضلها» ـ... وروي عن عبد الحكم أنه قال: سمعت الشافعي يقول: اختصم رجلان إلى بعض القضاة في هرة فادعى كل منهما أنها له. وإن عنده أولادها فحكم القاضي أن توسط بين داريهما ثم ترسل فأي دار دخلت فهي لصاحبه. قال الشافعي: فانجفل الناس وانجفلت معهم فلم تدخل الهرة دار واحد منها فبطل قضاؤه.

ـ وعند هذا الحد أقف لأبحث عما قيل في الهر والهرة من أشعار



أختم بها هذا الموضوع على أمل أن أعود إلى مواصلة ذكر ما ورد في التراث الأدبي عن الهر في موضوع أو موضوعات لاحقة إن شاء الله...

وأما الأشعار التي قيلت في الهرة فكثيرة جداً منها ما قاله الشيخ أحمد النحوي ابن الشيخ حسن الخياط في رثاء هرة كانت في داره اسمها - شذرة - ويعزي أمها - بربش -:

أشذرة لِمْ ذهبتِ ولم تعودي
فبعدك جفّ بعد اللين عودي

لمسنا الفُرْش ليس نراكِ فيها
وفتشناك في كل المهود

فقدنا ملمسا يحكي حريراً
ولوناً مثل ألوان الورود

فمن ذا يدفع الفئران عنا
ويحرسنا من الجرذ الشديد

ألا يا بَرْبش اصطبري عليها
فكم للناس من ولد فقيد

ورثى الشاعر القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح هرة بقصيدة طويلة تبلغ نحواً من ٣٠ بيتاً، منها قوله:-

ترى الفأر من خوفها خشعا
جواحر وهي لهم راصدة

فإن أطلعت رأسها فأرة
فليست إلى جحرها عائدة

كأن المنية في كفها
إذا أقبلت نحوها قاصدة

نشاط المسلمين العمراني والثقافي في البلقان

في موضوع سابق استعرضت شيئاً من واقع تاريخ البلقان أو ما يسمى بيوغسلافيا من الناحية السياسية والحزبية التي سادت وتسود الآن مناطق يوغسلافيا بمختلف مذاهبها. وأشرت إلى الدور الذي قام به المسلمون هناك من حيث توطيد الإسلام في تلك المناطق..

أما في هذا الموضوع فإنني أنقل جانباً من موضوع كتبه الدكتور يوسف الصغير وألمح فيه عن نشاط المسلمين في يوغسلافيا.. فقد ذكر أنه لما دخل البشناق ـ وهم قسم من الصقالبة الذين استوطنوا ما يعرف بيوغسلافيا ـ في الإسلام أخذو يشيدون المدن بالطابع الإسلامي بما في ذلك مساجدها ومدارسها وأسواقها.. ـ وأهم هذه المدن: سراجيفو ـ أو بشناق سراي ـ وقد بلغت الحركة العلمية أوجها في نهاية القرن العاشر وبداية الحادي عشر الهجري إذ ظهرت مؤلفات كثيرة باسم علماء بشناق، ومع استمرار الفتوحات العثمانية استوطن المسلمون وخاصة في البوسنة كثيراً من المناطق الجاورة مثل صربيا والأجزاء الشمالية الشرقية والغربية للجبل الأسود وسلافونيا وانطبعت كثير من المناطق كالطابع العثماني. فعلى سبيل المثال سجل الرحالة التركي أوليا شلبي بأن المدن بودا «جزء من بودابست عاصمة هنغاريا» وستولني بيوغراد وبوجفا وأوسيك ومدن أخرى في هنغاريا وسلافونيا في القرن السابع عشر كانت تشبه البوسنة تماماً وهذا في المناطق التي لم يستقر فيها العثمانيون أما المناطق التي استقروا فيها طويلاً مثل بلغراد عاصمة الصرب، فيقول أوليا شلبي الذي زارها عام ١٦٠٠م: كان سكانها ١٠٠ ألف نسمة ثلاثة أرباعهم مسلمون. وكان بالمدينة ٢٧٠ مسجداً، تقام في ٣٣ صلاة

الجمعة، وبها ١٧ تكية و٨ مدارس ثانوية إسلامية، و٩ دور للحديث، و٢٧٠ من الكتاتيب القرآنية. . . ـ ولقد كان لهذا النشاط الثقافي والعمراني صدى جعل العلماء والأدباء والشعراء يقصدون تلك المنطقة لمشاهدة الفن المعماري الإسلامي ولتوثيق العلاقة بينهم وبين المسلمين هناك. فكانت الرحلات مستمرة إلى يوغسلافيا. . بل لقد أقيمت مهرجانات شعرية منها المهرجان الذي أقيم عام ١٩٨٣م، وكان من بين حاضريه الشاعر سعد درويش الذي ألقى قصيدة عنوانها: «ما جنيت على أحد»، وهي من الشعر المنثور، وفيها ما يدل على أن سعداً لم ينجب أطفالاً إما لعقم أو هو سائر على نظرية أبي العلاء المعري. . وقد كان لترجمتها باليوغسلافية صدى في نفوس أطفال سراييڤو الذين أخذوا يرمقونه بنظرات كلها حنان ومحبة. فما كان منه إلّا أن بادلهم شعورهم بقصيدة عنوانها: «إلى أبنائي في سراييڤو»، منها قوله:ـ

يا عيون الصغار في «سراييڤو»
أنا من قتّر الزمان عليًّا

لم يشأ أن يكون لي مثل كل النـ
ـاس طفل أضمه بيديَّا

أجتلي في شبابه فرحة الدنـ
ـيا كأني به بلغت الثريا

أحتمي فيه من صروف الليالي
وأراني به عزيزاً قويا

وإذا ما ذهبت أحسست أني
لم أزل رغم سطوة الموت حيا

أتملى سحر الحياة بعينيـ
ـه إذا أغمض الرّدى عينيا

يــا صــغــاري فــي «ســرايــيــفــو
زهــركــم نــاضــراً لــدي نــديــا
وســيــبــقــى أريــجــه بــعــد مــا أمــ
ـضــي وإن كــنــت لا أطــيــق الــمــضــيــا

○ ○ ○ ○ ○

حجم اللؤم.. ودرجات اللؤماء!!

وإذا كان للؤم حجم، وللئام درجات متفاوتة في القياس. فإنه يمكن تصنيفهم من خلال طباعهم وواقع سلوكياتهم وحياتهم التعاملية التي تظهر من خلال تصرفاته مع الناس.

وإذا ما راجعنا قائمة تصنيف اللئام وجدنا في أعلاها بذلك الذي يقبل المدح، وهو عارف بأنه لا يستحقه.. ويعاقب من ذمه وهو يعرف أنه موقع الذم ومستقره.

ـ قال أبو حيان التوحيدي في كتابه «أخلاق الوزيرين» معرضاً بلوم الوزير أبي الفضل. وذاكراً سياسته في قبول المدح وعدم المكافأة عليه مما جعله فريسة ألسن قلبت له ظهر المجن كما يقولون. قال: ـ أنشدني ابن أبي الثّياب قصيدة في أبي الفضل ـ وأنا أرويها ها هنا لتعلم أنه كان مظلوماً فيها وفي أخواتها ولتقف على طريقته الحلوة، ومعانيه السهلة، ولفظه الخلوب.. وقال لنا: كانت جائزتي عليها بعد نظائر تقدمتها. جائزة لا أستجيز ذكرها؛ لأنها إن كانت تضع من صاحبها إنها لتضع مني أيضاً.

من تلك القصيدة التي تبلغ نحواً من ٨٠ بيتاً، قوله:

يــغــدو عــلــى حُــرّ الــبــلا
د غــدوَّ مــطــلــوب بــثــار

فــتــذيــلــه فــتــكــاتُــه
وتُــذيــقــه طــعــم الــصّــغــار

فتراه في العُسْر المُضِرّ
يجود جودُ أولي اليسار

إني اعتصمت بيمنه
فَوُقيت أسباب العثار

يا من له طيب الأرو
م ومن له طيب النجار

متهللاً للزائريـ
ن مرحباً بالمستزار

أنت الذي وهب الحرا
ئر عن علُوٍّ واقتدار

أنت الذي ضمن الوفا
ء لجاره كرم الجوار

قيل أنه قيل له لما قال:ـ

يغدو على حُرّ البلا
د غدوّ مطلوب بثار

ما أكذبك لحاك الله!!

فقال: الذي يقبل هذا في نفسه أكذب مني.

ومن هنا تتضح الصورة سواء كانت من أبي الفضل مع ابن أبي الثياب، أو من غيره أن الذي يقبل المدح بما ليس فيه يعدّ من لئام الناس.

○○○○○

عشاق الوحدة!!

وأعني بالوحدة هنا الانفراد. والانعزال عن الناس.. ـ لا الوحدة التي هي ثمرة تآلف أو التفاف. أو التي هي في المفهوم السياسي العالمي انضمام سلطة إلى سلطة أو دولة إلى دولة لتشكل في مجموعها دولة عظمى ذات هيبة وسيادة. ولعل الفارق بين الوحدة.. والوحدة هو فتح الواو وكسرها. وقبل أن نعرف وجهة نظر عاشق الوحدة أرى أن نقف عند هذا المفهوم الذي اختلف عليه الناس إذ أن منهم من يصف الوحدة والانفراد أو الانعزال عن الناس بالتخلي عن المشاركة في صنع الحياة الاجتماعية التي يوجدها الناس فيما بينهم بالاجتماعات وإقامة الصداقات والمشاركات وتبادل الآراء والأخذ والعطاء وكل ما يحققه الجهد الجماعي والعمل الحركي من مصلحة عامة وغاية مشتركة.

والذين يخالفون هذا الرأي يبنون مخالفتهم على أن الناس قد تغيروا وأصبحوا ذاتيين لا يؤثرون على أنفسهم أحداً. فإن أقاموا صداقة فلغرض تنتهي الصداقة بانقضائه وإن آثروا على أنفسهم في أمر ما، فهم يهدفون إلى مقايضات أكبر.. وإن قدموا مساعدة سجلوها في دفتر معاملاتهم ديناً على من ساعدوه. بل ربما طالبوه بذلك عن طريق إظهار المنّة عليه والتفوّه بها في كل مناسبة ولدى كل مجتمع.. ـ واعتزال مثل أولئك خير من الاختلاط بهم. والوحدة أفضل من مجاراتهم في ميدان الحياة النفعية.

ومن هذا المفهوم الذي يعلل به عاشق الوحدة وحدته وانعزاله. والذي يعلل به الاجتماعي حبه للاختلاط بالناس والاجتماع بهم.. يقوم شبه معادلة.. إلّا أن كفة الاجتماعي تكون هي الأرجح. لأن الانفراد عن



الجماعة مكروه.. والاستبداد بالرأي مزري بصاحبه.. ـ وللشاعر عمر يحيى رأي يوافق رأي عاشق الوحدة. في قصيدة له قوامها ٢١ بيتاً. عنوانها: «الوحدة» وتضمنها ديوانه «ديوان عمر يحيى» وقد استهلها بقوله:ـ

بين ماض زانه روض الأمل
وزمان فيه طيب العيش سلْ

ومنها قوله:ـ

كلما أبعدتُ عني سأمي
عادني يخطر ما بين الحلل

خلتني في وحدتي أنسى فما
أورثتني وحدتي إلّا الملل

تارة أستقبل الروض فلا
يزدهي قلبي فأرتاد الجبل

فكأني طائر في قفص
راعه السجن وأعيته الحيل

وكأن الأفق قيد قاتم
رسب الظل عليه واشتمل

ومنها قوله:ـ

ليت لي في وحدتي ما أشتهي
من رضى نفسي علوًّا ونهل

أخلق السلوى فلا تلبث أن
تتوارى بين طيّات الأجل

ومن هذا المنطلق ندرك أن الوحدة غير مرغوب فيها بشكل عام. ما لم يكن هناك داع ملزم لالتزامها.

لغة القلب... يفهمها الشعراء!!

وكم كان موضع شكايةٍ ذلك القلب الذي لا يتجاوز حجمه قبضة اليد كما يصف تجسيده أهل الطب.. وكم كان محل عتاب. وكم كان مصدر ومورد مناجاة.. وكم كان هدف لوم وتذمر وتأنيب.

والذي يترجم لغة القلب يتبين له أنه إذا نفد صبر القلب حاور صاحبه محاورة حادة ربما أثرت على جهده وفكره وطاقته العقلية والانتاجية تأثيراً تبرد بسببه أطراف الجسم حيث يضعف ضخه لما يلزم أقاصي الجسم من طاقة دموية. وعندها يعضّ صاحبه أصبع الندم على تحميله ما لا يطيقه من مشقة الحياة التي ربما كان باستطاعة صاحبه تجنبها وعدم مواجتها.

وقلوب البؤساء من الناس هي أشد القلوب تعباً. وأكثرها مجادلة لأصحابها، لأنهم يقسون على قلوبهم بمثل ما تقسو عليهم الحياة.. أما قلوب الشعراء فهي غير مستقرة على حال واحدة فمرة تصفق طرباً.. وحيناً تقطر دماً وتتفجر غضباً. إذ أنها تخضع لما يطرقهم من الخواطر. وتستجيب لكل ما يستوقفهم من المشاهد إلّا أن فئة منهم يدخلون في زمرة البؤساء بصفة مستمرة فيصيب قلوبهم ما أصابهم من البؤس الدائم. ولهذا نجد أن الشعراء إلّا ما قلّ منهم وبصفة عامة هم أكثر الناس مناجاة لقلوبهم وهم أكثر الناس مراجعة لها.. وقد يكونون هم ألطف الناس في مداراتها، لأنهم لا يكتمون حديثاً. وإنما هناك بوح مستمر وتقاول في كل ما يثير مشاعرهم، ويلفت انتباههم.

ولو أردت أن أحصر أو أحصي الشعراء الذين تحدثوا إلى قلوبهم

لم أستطع ذلك، وذلك لكثرتهم. فمن أولئك الشعراء الذين ناجوا قلوبهم وحملوها جزءاً مما يعانون من المتاعب، الشاعر عمر يحيى الذي نظم قصيدة قوامها ٢٦ بيتاً، جعل عنوانها: «يا قلب»، وقد تضمنها الجزء الأول من ديوانه «ديوان عمر يحيى»، منها قوله:

يا قلب أضناك الغرا
م فما لسقمك من نهايه

أصبحت نضْو الذكريا
ت وكم نصحتك في البدايه

إن عيل صبرك يا فؤا
د فأنت مرتكب الجنايه

لله ما تخفي من الـ
وجد المبرح والغوايه

تبغي هناء العيش والد
هر الظلوم له رعايه

ماذا تقاسي من جرو
ح ولّدت فيك الشكايه

كنت الجليد على المصا
ب فصرت في الخفقان آيه

يغفي الخليّ وأنت تُسْـ
هد طالباً بعض العنايه

فهل يا ترى فكرنا في أن نمنح قلوبنا راحة، أو قسطاً من الراحة بين حين وآخر لتبقى معافاة تمدنا قوة وصحة؟.

○○○○○

الأسف على عادات من سلف!!

إن التغير الملحوظ الذي طرأ على عاداتنا وتقاليدنا، وصرفنا عن ممارسة موروثاتنا التقليدية. لا بد وأن نعيد النظر فيه حتى لا نقطع صلتنا بماضينا.

وإعادة النظر في ذلك تتطلب منا الرجوع خطوة واحدة إلى الوراء حتى نقف على جانب من العادات الحسنة والتقاليد الحميدة لأسلافنا... ونمضي في ممارستها كموروثة لا للتكلف فيها نسبة، ولا للتصنع فيها موضع.

والحقيقة أننا لو أقمنا مقارنة بين عادات وتقاليد أسلافنا فيما يتعلق بحسن الجوار والضيافة، والصداقة، والإثارة على النفس، والتكافل الاجتماعي، والتقايض بالأشياء، وما إلى ذلك من تسامح، ومحبة، وأنفة، وعفة، وما نحن عليه الآن لما وجدت نسبة بين ما نحن عليه من حال؛ وحال أسلافنا.

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا الموضوع هو: هل عادات وتقاليد أسلافنا التي تقدم ذكر جانب منها يعتبر التزامها تخلفاً حضارياً.. أم أنه عنوان تقدم ورمز رقي؟ والإجابة على ذلك لا تحتمل أكثر من القول بأننا رغبنا عن عادات أسلافنا وأخذنا نلتزم عادات وتقاليد مستوردة ليس لها صلة بتراثنا ولا بماضي أسلافنا الذي يعد قمة في منهج العلاقات الاجتماعية.

يقول الشاعر السعودي.. المرح العبارة، عمر عبد ربه في إحدى قصائده التي ينتقد فيها المجتمع على تخليه عن عادات وتقاليد سلفه،



بأسلوب مبسط يتعشقه المثقف ولا ينفر منه العامي.. من تلك القصيدة قوله:

نسينا كلنا ما كان يجري
من العادات أعمالاً حساناً

سواء كان في فرح وموت
وفي مَنْ غاب عنا واستبانا

وما قد كان يحصل من زمان
فِعُرس كان أو ضيفا أتانا

وما كنا نؤديه بحق
بكل عناية أضحتْ مِرانا

بدون تكلف وبلا عناء
ولا سهر طويل قد غتانا

وما كنا نسويه بمن قد
كان محتاجاً.. وجانا

وعمن كان جاراً.. جنب بيت
ولا يعرف من الرطب «الرثانا»

ولم يدخل «لحوما» طول وقت
لمن هم عنده أصلاً زمانا

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢١ بيتاً، كلها استعراض وسرد لبعض الذكريات الحسنة التي خلفها أسلافنا عليهم رحمة الله.

○○○○○

لا اعتراض عليك أيها الأديب المبعد عن منبرك!!

وأنا لا ألوم شاعر أو أديباً أو كاتباً لم يستطع الدخول في دائرة شللية الصحافة أو الأندية الأدبية في زماننا هذا.. لأن بعض تلك الشلل قد أحاط نفسه بسياج ربما يكون فيه نسبة من العنصرية، التي تهدف الشللية من ورائها إلى ضمان وجود المحدودية من العدد المتجانس في الطبع والمزاج والثقافة الحداثية المتسطحة. بل لا ألومه إذا خاطب أياً من تلك الشلل بقول ابن الرومي:

علوتَ علواً لم تكن قط أهله
وأنت جدير بعده بسفال

إذا كاتب لم يمتثل رأي صاحب
طرقته المثلى فأيّ مثال

أو أنّبه واستعلى عليه بقول المتنبي:-

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول

لساني بنطقي صامت عنه عادل
وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

وأتعَبُ من ناداك من لا تجيبه
وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وما التيه طبّي فيهم غير أنني
بغيض إليّ الجاهل المتعاقل

ولا ألومه حينما تتاح له الفرصة فيثني على نفسه ويذكر أدبه ويمجد فعله ويشيد بعمله، خاصة إذا لم يكن هو الذي ضرب العزلة على نفسه، وابتعد عن الأنظار والأضواء كما يقولون.

وفيما يدور في فلك هذا الموضوع من أخبار قديمة تحقق أن بعض الناس لا يذكرون الأدباء والشعراء الذين يستحقون الذكر.. - إما حسداً من عند أنفسهم على ما نالوه من مستوى علمي وثقافي وأدبي.. أو عدم تمييز بين من يستحق الإشادة ومن لا يستحقها.. نقرأ ما روي من أن الشاعر الأهوازي سئل عن حاله؟ فقال: أصبحت - والله - أظرف الناس. وأشعر الناس، وآدب الناس، فقال له السائل: اسكت حتى يقول الناس ذلك.. فقال: أنا منذ ثلاثين سنة أنتظر الناس يقولون.. ثم أنشد قول ابن الرومي:

وعزيز علي مدحي نفسي
غير أني جشمته للدلاله

وهو عيب يكاد يسقط فيه
كل حر يريد إظهار آله[1]

○○○○○

(١) أراد بـ «آله»: حاله.. وقرأتها في غير ديوانه: إظهار حاله.

تغذيه الصراع في سرايبڤو!!

إن تغذية الصراع الذي يقوم بين العناصر المختلفة الأديان والمعتقدات والتي تحكمها دولة واحدة. يأتي في جميع حالاته من جانب الدول التي تحاول زعامة العالم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

والهدف من تلك التغذية، هو وضع العناصر المتناحرة في حالة احتياج دائم إلى السلاح الذي تصنعه تلك الدول التي تحاول الهيمنة، وإلى الغذاء الذي تنتجه.. على أن هناك ميلاً وتفرقة واضحة من الناحية التعاطفية التي تبديها تلك الدول إلى العنصر الذي يشترك معها في العقيدة، على هيئة تشجيع وحث على مواصلة العدوان... - وجفوة، لا بل حقداً على العنصر الذي لا يتفق معها في العقيدة وبخاصة المسلمين... - ولذا فإنه من الواضح جداً أنه إذا نشب صدام بين المسلمين والطوائف الأخرى كالكاثوليك، والأورثوذكس، والصرب المسيحيين وغيرهم ممن ليسوا مسلمين فإن الطرف الذي يوضع في زاوية الخطأ هو المسلمون.

ولنا في الأحداث القائمة الآن بين الصرب الخبثاء وبين البوسنة والهرسك في منطقة البلقان، أو ما يعرف بيوغسلافيا أروع مثل على أن المسلمين موضوعون تحت المجهر الأوروبي الذي يقرأون به أحياناً جزءاً من تاريخ المسلمين في البلقان وفتوحاتهم العظيمة.

ومن هذا المنطق الحقيقي نرى اليوم تقاعس الدول الأوربية عن اتخاذ أي خطوة نحو إيقاف الاعتداءات الصربية على المسلمين في البوسنة والهرسك.



فيا مسلمي العالم، ويا أيها الدول الإسلامية.. تحركوا وافعلوا شيئاً يوقف هذا التحيز المكشوف ضد المسلمين في أنحاء العالم، وفي البوسنة والهرسك بخاصة، واجعلوا منكم قوة تعيد كرة أسلافكم الذين شعارهم هداية الناس إلى صراط الله المستقيم.. واستجيبوا لهذا الصوت الشعري المنطلق من حنجرة الشاعر السعودي محمد بن عايض القرني. والذي يقول فيه:ـ

جرد السيف وألق القلما
هذه البُسْنَةُ تنثال دما

ذبح الصربُ بها إخواننا
هتكوا العرض أباحوا الحُرُما

سفر الباطل عن سحنته
فخذوا الجد سبيلاً أَمَمَا

وارفعوا ألوية الحق على
قمم المجد وسيروا قدما

لا يصون الحق إلّا وهجُ
من لظى القوة يجري حمما

لا يجلّي الحق إلّا رهج
ترتديه الأفق أرضاً وسما

أيها الصرب رويداً فلقد
طفح الكيل سئمنا السأما

ظهرت أحقادكم سافرة
وبدا من أمركم ما كتما

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً ٢٨ بيتاً.

هل إبليس هو الناقد؟ أم أبو نواس؟!!

والرواية التي يرويها الحسن بن هانئ ـ أبو نواس ـ عن نفسه. والتي فيها يقول: كنت يوماً في الحمام فقلت قصيدة. وفيها:

فـتـمـشـت فـي مـفـاصـلـهـم
كـتـمـشـي الـنـار فـي الـفـحـم

ولم يكن معي أحد فتراءى لي شيخ، فقال: قطع الله لسانك، فإنك لا تفلح! أتقول مثل ما يقول العوام؟. ألا قلت:

فـتـمـشـت فـي مـفـاصـلـهـم
كـتـمـشـي الـبـرء فـي الـسـقـم

فقلت: هكذا قلت.. فقال: أتكابر إبليس.

وهذه الحكاية ربما تكون من نسج الخيال الذي يقصد به أبو نواس حشد شيء من الطرف في أعماله الشعرية.. وقد يكون صادقاً فيما رواه.. على أنه لا يستبعد أنه أعاد النظر في البيت فوضع الملاحظة بعدما انتشرت القصيدة.. وقال على لسان إبليس ما قاله فيما تقدم..

والحقيقة أن أبا نواس قد أصاب بفعله هذا عصفورين بحجر واحد كما يقولون، فهو قد أضاف إلى نوادره وطرائفه الخاصة بحياته الشعرية طرفة هذا من ناحية، وغير التشبيه الخشن في البيت بتشبيه أدق وأرق وألطف.

أما القصيدة التي جاء ضمنها ذلك البيت، فهي من قصائده

الميمية. وعنوانها: «قصة الأمم» ومطلعها:ـ

يا شقيق النفس من حكم
نِمْتَ عن ليلي ولم أنم

وأبياتها تبلغ نحواً من أحد عشر بيتاً، وهي من خمرياته منها قوله:

عُبِقَتْ حتى لو اتصلت
بلسان ناطقٍ وفم

لاحتبتْ في القوم مائلةً
ثم قصت قصة الأمم

قرعتها بالمزاج يد
خُلقتْ للكأس والقلم

في ندامى سادة نجب
أخذوا اللذات من أمم

فتمشتْ في مفاصلهم
كتمشي البرء في السقم

فعلت في البيت إذ مزجت
مثل فعل الصبح في الظلم

فاهتدى ساري الظلام بها
كاهتداء السّفر بالعلم

○○○○○

رأي ضعيف في نقد الجاحظ من شوقي ضيف!!

قال شوقي ضيف في حديث له بمناسبة أقيمت تحت عنوان «أسبوع الجاحظ»، ونشر جزء منه في مجلة «الرسالة» في عددها ١٩٧، الصادر يوم الاثنين ١ صفر عام ١٣٥٦هـ، قال فيه: والنقد لم يبدأ إلّا في العصر الأموي. وقد كانت الشعوبية هي أول حافز على النقد لأنها حركة هدامة تشك في كل شيء. وكانت تشك في بلاغة الأدب العربي، والشك في بلاغة الأدب العربي شك في القرآن... ثم جاءت بعد ذلك بيئة الأدب واللغويين في المربد وغيره من أندية الثقافة، فأدوا الكثير في خدمة النقد والبلاغة، وقد اتصل الجاحظ بكل هذه البيئات وأخذ عنهم. ونحن يصعب علينا أن نحدد ما للرجل في ذلك، وأن نميز أقواله من الأقوال التي اقتبسها.

ومهما يكن من شيء فالجاحظ قد فصل الأدب عن الأخلاق وروى كثيراً من الأدب العاري. وكان يطلب من الكتاب أن يتثقّفوا، ولكنه لم يطلب من الشعراء ذلك. ومن هنا نقف مع شوقي ضيف لحظة لنقول: إن الجاحظ قد جمع بين الرواية وتسجيل الرأي ورصد الملاحظة سواء كان يقصد بذلك التفكّه، أو كان هدفه النقد بصورة غير مباشرة هذا فضلاً عن نقل الخبر الصحيح وتهذيبه..؛ والشخص الذي تجتمع فيه هذه الصفات لا بد أن يسجل ويقول ويلاحظ ويدون بأسلوب تشويقي سواء ما كان قد قرأه أو سمعه، ليترك للقارئ حرية الرأي في تقويم مستوى المادة التي عرضها من الناحية الأدبية والأخلاقية.. ولو أنه أخذ بأحسن ما قرأ أو سمع وترك منه ما كان عارياً ثم جاء بعد ذلك من سجل كل ما دار في عصره كأبي حيان التوحيدي مثلاً الذي

شاطره أسلوب النقل في كتابه «البصائر والذخائر» لألقى اللوم على الجاحظ ونال من النقد لاذعه، بل ربما اتهم بتواطئه أو شك في عروبته، لأن الذين جاؤوا أو قل صنفوا الكثير من الأدب العاري في زمانه هم بلا شك من الشعوبيين كأبي نواس وبشار بن برد وغيرهم من الموالي الذين كانت لهم مواهب شعرية ونثرية.. ولكن لله در الجاحظ الذي قطع خط الرجعة على أي مؤلف في عصره وبعد عصره، وذلك لشمولية تأليفه وتنوع مادة مؤلفاته بما يغني طالب الثقافة والمعلومة الخاصة والفكاهة وشوارد الأبيات والحكاية اللطيفة، وجميع فنون الأدب بما فيها الاستطراد اللغوي الذي يورد له من الشواهد ما يروي غليل الأديب.. وهاك ما أورده من شاهد على القنص، وأن القناص لا يزال فقيراً:

وأعْصَمَ أنْسته المنية نفسه
رعى النّبع والظيَّان في شاهق وَعْر

موارده قَلْتٌ تصفّقَهُ الصبا
بنيق مُزلٍّ غيرُ كدر ولا نزر

قرته السّحابُ ماءها وتهدّلت
عليه غُصونٌ دانيات من السمر

أُتيح له طلح إزاهُ بكفه
هتوفٌ وأشباهُ تُخَيُرن من حَجْر

أبو صبيةٍ لا يستدرُّ إذا شتا
لَقُوحاً ولا عنزاً وليس بذي وفر

له زوجة شمطاء يدرج حولها
فطيم تناجيه وآخر في الحجر

مشوّهةٌ لم تعب طيباً ولم تبت
تقتر هنديًا بليل على جمر

مـحـددة الـعـرقـوب ثـلّـم نـابـهـا
تـعـرقـهـا الأوذارَ مـن فـقـر الـحـمـر

والقصيدة أطول من ذلك، وهي موجودة في الجزء الرابع من كتاب «الحيوان».

بقي أن أقول: لو كان الجاحظ حياً ونما إلى علمه انتقاد شوقي له. لربّعه ودوره.

○○○○○

يكفي الهرة شرفاً أن الصحابي عبد الرحمن الدوسي يكنّى بها!!

في موضوع عنوانه: «يد.. هر... وعدت بأن أواصل الحديث عن الهر والهرة.. وها أنذا أعود إلى تسجيل بعض ما قرأته في بعض كتب التراث عن الهر.. ففي «حياة الحيوان الكبرى»، لكمال الدين الدميري سجلت أحاديث شريفة ورد فيها ذكر الهر.. منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعي إلى دار قوم فأجاب.. ودعي إلى دار آخرين فلم يجب فقيل له في ذلك.. فقال: «إن في دار فلان كلبا»، فقيل له: «وإن في دار فلان هرة فقال ﷺ: «الهرة ليست بنجسة إنما هي من الطوافين عليكم والطوافات».. وهذا يعني أن النبي جعلها بمنزلة الخدم المماليك لأنهم هم الطوافون والطوافات. ويقول إبراهيم النخعي: إنما الهر كبعض أهل البيت.. وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الهرة لا تقطع الصلاة إنما هي من متاع البيت».

ولقد دار حول جواز بيع الهرة وطهارتها ونجاستها أقوال مختلفة. غير أن جماهير العلماء يقولون بجواز بيع الهرة الأهلية.. والخلاف الحاصل في جواز بيع الهرة من عدمه خاضع لطهارتها ونجاستها.. ولأن هناك حديثاً معناه أن الهرة كانت تمر بالنبي ﷺ فيضع لها الإناء فتشرب ثم يتوضأ بفضلها.. فهذا ما يجعل بيعها مباحاً لأنها طاهرة.

ويكفي الهرة فخراً وشرفاً من بين الحيوانات أنها نالت من الصحابي الجليل عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي محبة تحوله إلى صحبة استحالت إلى كنية لا يعرف إلّا بها فهو ـ أبو هريرة ـ رضي الله عنه.

أما الشعراء فقد أكثروا من القول في الهرة والهر.. ومنهم الشاعر أبو الفضل محمد بن الحسن ابن العميد من قصيدة له - يرثي فيها هراً له:-

يا هر فارقتنا مفارقة
عَمّتْ جميع النفوس بالثّكل

لو كان لي بالحادثات قبلٌ
إذاً أتاك الصريخ من قبلي

يا ماثلاً سائراً إذا ذُكر الـ
حُسْنُ تركتَ الحسان كالمثل

قيل هل تفتديه إن قبل الـ
دهر فداءً فقلتُ حَيّهل

أفديه بالصفوة الكرام من الـ
إخوان دون الأخدان والخُلُلِ

بل بمحلِّ الكرى ومعتلج الـ
فكر وحَبِّ القلوب والمقل

بل بسكون الوجيب يجلبه الـ
أمن إلى قلب خائف وجِل

بل بحول الشفاء يَجْنبه الـ
صَّحةُ بعد الأوصاب والعلل

ㅇㅇㅇㅇㅇ

أبو العلاء يؤيد حرق الموتى!!

وعلى الرغم من أن أبا العلاء المعري يعد رائداً للأدب إلّا أن شكوك الدارسين لشعره تكثر وتميل إلى القول بعدم صحة وسلامة عقيدته. وذلك من عدة ملاحظات.. منها: التزامه مذهب النباتيين وإيغاله في الفلسفة التي يفضي في كثير منها إلى الزندقة اللفظية.

ولو بحثنا في أمر المشككين في سلامة عقيدته لوجدناهم على صواب من أمرهم؛ لأنه بأقواله قد ساعد أو حقق صحة زندقته باعترافه بالتشكيك في الرسالة المحمدية. إذ يقول:ـ

في اللاذقية فتنة
ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق
وذاك بمئذنة يصيح
كل يعزّزُ دينه
يا ليت شعري ما الصحيح!

وتحريمه أكل لحوم الحيوانات يعني تحريم ما أحل الله للناس. ولم يقصر ذلك على نفسه بل دعا إليه بقوله:

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما
ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح

والذي يقرأ لزوميات أبي العلاء يجدها مليئة بالفلسفة المخالفة لأدب الدين. بل يجد فيها خروجاً واضحاً صريحاً على رباط الدين ومنهج العقيدة الإسلامية. فهو لا يتورع في كثير من المواقف عن مهاجمة المنهج

الإسلامي وانتقاد أحكامه. بل هو يتمادى في انتقاد المؤمنين بالبعث. ويرى رأي فلاسفة الهند في تحريق الموتى المزعوم به التخلص من البعث والحساب والعقاب. هذا إن لم يكن في معتقده الفاسد أنه ليس هناك بعث وحياة أخرى. وأنه يؤيد مذهب البرهمية في الهند الذين يحرقون موتاهم اعتقاداً منهم بأن إحراقهم يجعل من المستحيل على الله إعادتهم في صورتهم وهيئتهم بكامل الأعضاء التي ستكون من الشهود عليهم عند إنكارهم، قال تعالى في سورة فصلت الآيات ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

ويروى أن رجلاً برهمياً آتاه الله مالاً وولداً، فلما حضرته الوفاة قال: أي بني.. أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فهل أنتم مطيعي؟ قالوا: نعم. قال: إذا مت فحرقوني حتى تدعوني فحماً ثم اهرسوني بالمهراس ثم اذروني في البحر في يوم ريح لعلي أضل الله... ـ وأبو العلاء المعري قد شوق إلى هذه الطريقة وأوشك أن يدعو إليها وذلك بقوله:

من عاشر الناس لم يعدم نفاقهم
فما يفوهون من حق بتصريح

فاعجب لتحريق أهل الهند ميتهم
وذاك أروح من طول التباريح

إن أحرقوه فما يخشون من ضَبُعٍ
تسري إليه ولا خفيٍ وتطريح

والنار أطيب من كافور ميتنا
غبّاً. وأذهب للنكراء والريح

العائلة السعيدة!!

وتكاد ترقص الحروف عندما يأخذ الكاتب في كتابة موضوع يصف فيه حياة عائلة غمرتها السعادة. وحف بها السرور؛ لأن الحديث عن السعادة فيه ترقيص وتطريب للنفوس التي تلتمس الطرق المؤدية إلى السعادة.

وأن الأذن لتصغي لأي متحدث عن السعادة ومفهومها طمعاً في معرفة الأساليب التي تكتسب بها؛ لأنها ليست سلعة تباع وتشترى. ولا طريقاً مفتوحاً إذا ما أراد المرء سلكه وأراح واستراح. وإنما هو شيء تتعامل معه بعض النفوس المهذبة تعاملاً يتوثق شيئاً فشيئاً حتى ترتبط به ويصبح جزءاً لا يتجزأ من ذاتها وطبع يظهر في جميع تصرفاتها.. ولهذا فهي ـ وأعني بذلك السعادة ـ لا تكتسب بالمال.. فكم من غني شقي لا يزيده غناه إلّا همّاً على همّ، وتعب فوق تعب.. وكم من فقير مطمئن نفسه قد انقادت السعادة نحو بيته بخيط رفيع من القناعة والإيمان بأن ما كتب له لن يناله غيره وأن ما كتب لغيره لن يناله هو.

والسعيد لا تقتصر سعادته على نفسه فحسب وإنما تشمل فيما تشمل من تحت ولايته. ولهذا نسمع في كثير من الأحيان قولهم: أهل البيت الفلاني يعيشون في سعادة، وغبطة وسرور.. وما ذاك إلّا؛ لأن رب الأسرة قد انصهر مع جميع عائلته في بوتقه الحب.. وأصبحوا يعيشون جميعاً في دائرة الابتسامة الطبيعية التي تغطي أي نقص غذائي، وتعوّض كل خسارة مادية وتمحو آثار كل مصيبة؛ لأن السعادة شعارها والفرح أغنيتها، والسرور صفة حياتها.

ولعل أحسن ما قرأته من شعر يصوّر عائلة سعيدة هي قصيدة للشاعر محمود غنيم التي نشرتها مجلة «الرسالة» في عددها ١٨٩، يوم الاثنين ٤ ذي الحجة، سنة ١٣٥٥هـ. والتي منها قوله:ـ

وأطيب ساع الحياة لديَّا
عشية أخلو إلى ولديَّا

متى ألج الباب يهتف باسمي الفـ
طيم ويحبو الرضيع إليّا

فأجلس هذا إلى جانبي
وأجلس ذاك على رُكبتيّا

وأغزو الشتاء بموقد فحم
وأبسط من فوقه راحتيّا

هنالك أنسى متاعب يومـ
ي حتى كأني لم ألق شيّا

وأحسبني بين طفليَّ «شاها»
وأحسبُ عُشي قصراً عليّا

فكل شراب أراه لذيذاً
وكل طعام أراه شهيّا

وما حاجتي لغذاء وماء
بحسبي طفلاي زاداً وريَّا

والقصيدة طويلة نسبياً إذ تبلغ ٢٣ بيتاً.

○○○○○

أرقام تاريخية تترجم قصة دخول الإسلام والمسلمين لمنطقة البلقان وواقع الحال فيها!!

تطرقت في حديث سابق عنوانه: «المسلمون في يوغسلافيا تتعاقبهم أيدي الاضطهاد والقتل منذ ٥٠٠ عام إلى يومنا هذا»، إلى موضوع المسلمين والصرب في منطقة البلقان وما يسمى بيوغسلافيا وأشرت إلى أن الإسلام قد دخل تلك المنطقة سنة ١١٢هـ وفي هذا الموضوع أنقل باختصار شديد بعضاً مما قرأته في العدد ٥٣، محرم سنة ١٤١٣هـ، من مجلة «البيان» موثقاً بالأرقام والتواريخ لما جرى من أحداث دامية في تلك المنطقة التي يشكل فيها المسلمون نسبة لا بأس بها.

جاء في «البيان» أن معظم سكان يوغسلافيا كانوا من الصقالبة الذين انقسموا إلى مجموعات أهمها ـ الصرب ـ الذين يدينون بالأرثوذكسية. والكروات والسلوفيين الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي. والبشناق الذين اتبعوا المذهب البوغوميلي وكوّنوا الكنيسة البشناقية.. وقد كوّن البشناق دولتهم عام ١١٣٧م بعد حروب طاحنة بين الصرب والكروات، ودخل العثمانيون الأراضي البشناقية لأول مرة حينما فتحوا جيتلو عام ١٣٥٣م وهزموا الجيوش النصرانية عام ١٣٦٥م قرب أدرنة وبعد عدة معارك تحت هزيمة الصرب عام ٧٩٢هـ ـ ١٣٨٩م، في معركة كوسوفو الشهيرة التي تعتبر نهاية دولة الصرب وتم فتح بلغراد عام ١٤٥٢م، ولم يفتح العثمانيون بلاد البشناق بل اكتفوا بأخذ الجزية. ولما قامت الحرب الأهلية في بلاد البشناق بسبب محاولة الملك الكاثوليكي إكراه الشعب البوغوميلي على اعتناق الكاثوليكية؛ استنجد

زعماء البوغوميلي بالمسليمن فقام محمد الفاتح بفتح بلاد البشناق وأعلن أن لا إكراه في الدين. وبعد فترة بدأ البشناق بالدخول في الإسلام حتى عمهم وصاروا من أقوى أنصاره، وكانوا درعاً حصيناً للدولة الإسلامية في تلك المنطقة المضطربة. وتم استكمال فتح بلاد البشناق والهرسك سنة ١٤٨١م، ثم معظم أوكرانيا سنة ١٥٢٦م، ووصل العثمانيون إلى سلوفينا عام ١٥٦٦م غير أنهم لم يفتحوها لكنه بعد عام ١٨٣٠م، أصبح الوجود العثماني في صربيا .... ونتيجة حرب القرم عام ١٨٧٦م - ١٨٧٨م، حصلت صربيا والجبل الأسود على استقلالها عن الدولة العثمانية مع ضم بعض المناطق إليها بموجب قرارات مؤتمر برلين، كما حصل انقلاب في أحوال المسلمين حيث قرر المؤتمر أيضاً أن يعهد إلى النمسا بإدارة البوسنة والهرسك مع الاحتفاظ بسيادة صورية للدولة العثمانية. ولم يقبل المسلمون فبدأت الحرب بينهم وبين الجيش النمساوي الذي تمكن من دخول سراجيفو في ١٩/٨/١٨٧٨م، وبدأ سياسة إفقار المسلمين بقصد تهجيرهم واختلال التوازن الديني في البوسنة والهرسك... - أما في هذا العام ١٩٩١، ١٩٩٢م، فإن حالة المسلمين هناك يرثى لها حيث يشن الصرب الخبثاء عليهم حرب إبادة يشعلها الحقد على الإسلام ويؤيدهم في ذلك نصارى أوربا... - ولهذا الواقع الأليم أخذ الشعراء المعاصرون يستسحثون المسلمين على نجدة البوسنة والهرسك هناك.. فمن أولئك الشعراء الدكتور سعد عطية الغامدي الذي يقول من قصيدة له:

لك اللّه يا وهجاً في الصدور

ويا كوكباً في .. بوسنيه

تعانين وحدك - يا ويحنا

وتلقين أسرابهم عاريه

وتستنجدين صباح مساء
وآذاننا - وقرت - واعيه

ونبصر قصفهم جائراً
يذيبك.. ناحية ... ناحيه

يجرعك الصرب سوء العذاب
وتستعر البطشة الطاغيه

تساق العجوز إلى حتفها
وتغتصب الحرة الزاكيه

ويسقى الرضيع دماء الأسى
ويطعم من جثة ذاويه

وتسعى يد للجريح القتيل
لتذبحه ذبحة الماشيه

○ ○ ○ ○ ○

بيت شِعْرٍ غَيّرَ مَسْلك مُتَعَاظم في نفسه!!

ومن خاصة الناس من يتخذ لنفسه مسلكاً يريد به التميز عن غيره، والطمع في تحقيق سمعة عن طريق مسلك لم يسلكه من سبقه.. دون أن ينظر إلى سلبياته وكيف أنه وضعه في موضع لا يتفق ومكانته الاجتماعية التي تتطلب منه عدم التمسك بذلك المسلك الذي يتمثل في حجابة نفسه، فلا يخاطب الناس مباشرة أو يخالطهم. وإنما هو في شبه عزلة مستمرة ... ـ ومثل هذا لا يجد النقاد تفسيراً لوصفه إلّا بحب الظهور بمظهر التميز المشوب بالتعالي على الغير واستنقاص الناس، والنظر إليهم بعين الاحتقار وبأنهم أقل منه قدراً وأدنى مستوى... ـ والخشية من أن يشكّل هذا المسلك بطبيعته طبقة كبيرة من الناس تكون سبباً في تفكيك المجتمع قد فرضت على بعض الشعراء المساهمة في معالجة هذه الظاهرة السيئة التي كانت سائدة في العصور الماضية، أملاً في أن يتخلى كل متعالٍ عن مسلكه إذا كان له أُذن تحس بوقع النقد، أو نفس تستجيب لتوجيه الحكمة.

ـ قال ابن سعيد المغربي: كان بنو حمود من ولد إدريس العلوي الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة المروانية بالأندلس يتعاظمون، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس.. وكانوا إذا حضرهم منشد لمدح أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم يتكلم من وراء حجاب.. والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة. ولما حضر عبد الرحمٰن بن مقانا الغنداقي الأشبوني وأنشد إدريس بن يحيى الملقب بالعالي قصيدته النونية، التي منها قوله:ـ

أَلْبَرقٍ لائح من أندرين
ذرفت عيناك بالماء المعين

لعبت أسيافه عارية
كمخاريق بأيدي اللاعبين

ولصوت الرعد زجر وحنين
ولقلبي زفرات وأنين

وأناجي في الدجى عاذلتي
ويْك لا أسمع قول العاذلين

عَيّرتني بسقام وضنى
إن هذين لدين العاشقين

قد بدا لي وضح الصبح المبين
فاسقنيها قبل تكبير الأذين

أسقنيها مُزّة مشمولة
لبثت في دنّها بضع سنين

فلما بلغ في إنشاده إلى هذا البيت:ـ

انظرونا نقتبس من نوركم
إنه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه، وقال:ـ

انظر كيف شئت، وانبسط مع الشاعر. وأمر له بإحسان.

وهذه الحكاية بما فيها من طرافة فإنها تعد منهجاً يسلكه من كان متعالياً ومتكبراً ليتخلص من كبريائه الذي يشكل عبئاً على حياته.

○○○○○

السمنة الزائدة لا تعني خشونة بقدر ما تعنيه النحافة!!

رأيته ضخم الجسد، قد امتلأ جسمه امتلاءً ملفتاً للنظر فمفاصله قد غاصت تحت طبقات من الشحم واللحم الذي ينوء بحمله.. فهو يبدو للناظر وكأنه شكل مربع لولا رأسه الذي هو أشبه ما يكون بنتوء في صخرة ضخمة.

داعبه أحد أصدقائه فقال: أنا أراهن على أنك لو وضعت في كفة ميزان، وفيل في كفة أخرى لرجحت كفتك بالفيل وعلقته بكفته في الهواء.

وقد تصورت أنه بهيئته هذه لا يحسن شيئاً. إذ هو أقرب في سمنته إلى الحيوان الراتع في الروضة المعشبة.. لكن تصوري كان خلافاً لواقع ذلك السمين الذي أطلقت العنان في وصفه فيما تقدم... حيث تجاهلت لحظة رؤيته أن الرجال لا تقاس بالمناظر والمظاهر، بقدر ما تقاس بالأفعال والمخابر.. إذ وجدته أديباً ألمعياً يملك روحاً مرحة. وظلاً خفيفاً.. ـ إن تحدث، وددت أن لا يسكت، وإن سكت مصغياً لمحدث، جلس له أعجبك أدبه وحسن استماعه.

وكم كان بودي أن أهمس في أذنه بما كنت تصورته حينما رأيته لأول مرة.. وما تركته خلاله الطيبة وأدبه الحسن من انطباع حسن في نفسي.. ولأن البوح له بهذه المشاعر يتطلب على سبيل المداعبة إقامة مقارنة، من حيث تصور أدب وأخلاق السمين وتوقع ما يكون عليه النحيف من سلوك وأخلاقيات لدى من يراهما لأول وهلة.. فإذا كان

تفسير البدانة وما يتوقع من أن يكون عليه البدين من مسلك خلقي قد تقدم.. فإن النحافة الملفتة للنظر توحى بأن النحيف رجل قد التهمت الهموم لحمه وهدّ البؤس جسمه. وأصبح يحمل نفساً صعب التعايش معها.. لكن الشاعر ابن الرومي يرى في النحيف رأياً غير ذلك في أثناء قصيدة له امتدح بها علي بن يحيى النديم.. يقول منها:ـ

أيها العائبي بخفة لحمي
بجلى منه كسوةُ الأوصال

وهنيئاً لك الفضول من اللحـ
م مفاخر بها ذوات الحجال

قلّما توجد الفضائل إلّا
في خفاف الرجال دون الثقال

ينظم الدر في السلوك وتأبى
عزةُ الدر نظمه في الحبال

كم غليظ من الرجال ثقيل
ناقص الوزن شائل المثقال

من أناس أوتوا حلوم العصافيـ
ر فلم تُغنهم جسوم البغال

وقضيف من الرجال خفيف
راجح الوزن عند وزن الرجال

من أناس ذوي جسوم شخات
قد أُمرّتْ على نفوس نبال

والقصيدة طويلة فهي تبلغ ٣٣٧ بيتاً، وقد تضمنها ديوانه «ديوان ابن الرومي» ج٥.

هل الوقوف على الأطلال حقيقة أم خيال؟!!

والوقوف على الأطلال ليس بمستغرب على الكاتب أو الشاعر العربي.. - وعدم استغرابه ينبع من كونه قد استلهم هذه الصورة من تاريخ الأدب العربي الذي حمل بين طياته روائع من التجليات التي يحلّق بها جناح الخيال في الأجواء التي كان يمر بها من قبل ثم يجدها على غير حالها التي كان يعهدها.

ولقد كان ذكر الأطلال لدى شعراء العرب القدامى شيئاً مألوفاً. بل جعلوا منه مفتاحاً لقصائدهم المطول... - ولكن السؤال الذي يفرض نفسه أمام ذلك الزخم من ذكر الأطلال. هو.. هل الشعراء الملتزمون بذكر الأطلال في مقدمات قصائدهم قد وقفوا حقيقة على الأطلال التي ذكروها وأمعنوا في وصف حالتها؟ أم هي العادة التقليدية في استنطاق الخيال وركوب الخيل دونما أي رؤية حقيقية لتلك الأطلال؟. والإجابة على ذلك ربما تتكوّن من شقين: شق يؤكد حقيقة وقوف بعضهم عليها، وهذه ربما استقرئ من الأسلوب الوصفي الذي يصدق الشاعر في رسمه وتصويره.. - وشق ينفي ذلك ويعده مجرد تخيل من الشاعر.. وكلا الحالين محتمل.. - وأكثر من يحقق في ذلك من يبحث عن زمان ومكان ولادة القصيدة التي تصدرها ذكر الأطلال...

وكما أسلفت فإن وصف الأطلال سواء كان من الشعراء القدامى أو المعاصرين يعد أمراً من الأمور التي لا تستغرب... ولكن جمال الصورة الوصفية وقوة تأثيرها هو الذي يبقى محلاً للإعجاب.

وإذا كنّا قد استمتعنا بقراءة وصف للأطلال في قصائد شعرائنا القدامى.. فإن الرغبة تدفعنا إلى الإطلاع على ما كتبه الشعراء المعاصرون من وصف للأطلال سواء كان عن مشاهدة عينية. أو عن سماع أو تخيل يقلدون به أسلافهم.. ولكن ولأن الموضوع لا يحتمل من حيث المساحة أكثر من نموذج واحد.. ـ فقد اخترت هذه الأبيات التي صدّر بها الشاعر المعاصر عمر أبو ريشة قصيدة له عنوانها: «طلل»، والتي يقول فيها:

قــفــي قــدمــي. إن هــذا الــمــكــا
ن يــغــيــب بــه الــمــرء عــن حــســه

رمــال وأنــقــاض صــرح هــوت
أعــالــيــه تــبــحــث عــن أســه

أقــلــب طــرفــي بــه ذاهــلا
وأســأل روحــي عــن أمــســه

أكــانــت تــســيــل عــلــيــه الــحــيــا
ة وتــغــفــو الــجــفــون عــلــى أنــســه

وتــشــدو الــبــلابــل فــي ســعــده
وتــجــري الــمــقــاديــر فــي نــحــســه

أأســتــنــطــق الــصــخــر عــن نــاحــتــيــه
وأســتــنــهــض الــمــيْــت مــن رمــســه

حــوافــر خــيــل الــزمــان الــمــشــتْــ
تِ تــكــاد تــحــدّث عــن بــؤســه

فــمــا يــطــمــع الــشــوك فــي تــربــه
ولا يــرغــب الــبــوم فــي مــكــســه

قلم الرقيب يتردد في التفضيل بين أحمد وحبيب!!

كم من مقارنة وموازنة أقيمت بين أبي تمام واسمه: حبيب بن أوس بن الحارث ينتهي نسبه إلى قحطان المولود في سنة ١٩٠هـ تقريباً، بقرية جاسم من أعمال دمشق، وقد قيل أنه توفي بالموصل سنة ٢٣١هـ تقريباً، وبهذا يكون عمره حين موته ٤١ سنة تقريباً.. - وبين المتنبي واسمه أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي المولود سنة ٣٠٣هـ، بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب إليها، وقتل سنة ٣٥٤هـ، وبهذا يكون عمره يوم قتل ٥١ سنة، ويكون التفضيل فيها للمتنبي. لكن هناك من النقاد من ينصف حبيباً وذلك من تماس لا يتسرب إليه الجدل في هضم حق أبي تمام وهو فارق العمر الذي عاشه أبو الطيب المتنبي بزيادة عشر سنوات تقريباً فحبيب مات وعمره ٤١ سنة كما تقدم، والمتنبي قتل وعمره ٥١ سنة، وعلينا أن ندرك أن عشر السنوات التي أصبحت فارقاً بين عمريهما هي سنوات نضج وانتاج واكتمال فكر بل هي بمثابة موسم حصاد وتحصيل وبلوغ إدراك وعقلانية واتزان. - ولو أن حياة حبيب امتدت عشر سنوات لجاء بما يضعه في كفة مساوية لكفة المتنبي إن لم ترجح بها. وبعد هذا التعليل الذي يعطي أبا تمام حقه يحسن بنا أن نستعرض شيئاً من المقارنات التي أجريت بين أحمد وحبيب ففي «المثل السائر» لابن الأثير قوله: وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها فلم أجد أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب، للمعاني الدقيقة، ولا أكثر استخراجاً منهما للطيف الأغراض والمقاصد.. وقالوا: الناس من بعد أحمد وحبيب حزبان: متنبيّ، وتمّاميّ؛ لكن جماعة أحمد أكثر عدداً. وللحبيب شيعة به

مغرمون. قال الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي: قلت ذات مرة للأستاذ رياض الصلح وقد ذكرنا المتنبي وأبا تمام؛ إن الأول كان يحلّق في سماء الشعر بمعانيه، وإن الثاني كان يغوص في بحره على لآليه، فقال: قف.. إذن المتنبي طيّار... - وأبو تمام غوّاص. - وبعد هذه المقارنة البسيطة أرى أن نأتي على ذكر شيء من المعاني التي اشتركا في تناولها، ففي ذكر المجد، يقول أبو تمام:-

كلما زرته وجدت لديه
نشباً ظاعناً ومجداً مقيماً

ويقول المتنبي:

كل يوم لك احتمال جديد
ومسير للمجد فيه مُقام

وفي الصبر والتحلي به يقول أبو تمام:-

والصبر يحسن في المواطن كلها
إلّا عليك فإنه مذموم

أما المتنبي، فيقول:-

ولنا عادة الجميل من الصبـ
ـر لو أنّا سوى نَوَكَ نُسام

وعن الإقدام وعدم التخوف من الموت يقول المتنبي:-

والذي يشهد الوغى ساكن القلـ
ـب كأن القتال فيها ذمام

أما أبو تمام فيقول:-

متسرعين إلى الحتوف كأنما
بين الحتوف وبينهم أرحام

ويصف المتنبي كثرة الجيش وارتفاع معنويته، فيقول:ـ

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم

أما أبو تمام فيقول:ـ

ملأ الملا عُصَباً فكاد بأن يُرى
لا خلف فيه ولا له قدام

وهذا الاختيار كما نشاهده هو طرف مما قالاه من أشعار على قافية الميم فقط.

○○○○○

على أي محور
تدور الحرب القائمة في يوغسلافيا؟!!

منذ مطلع عام ١٩٩١م، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتحوله إلى شبه دويلات وجمهوريات مستقلة. أخذ الشيوعيون هناك في البحث عن عقيدة ينالون في التمذهب بها والتزامها، تحقيق مصلحة أمنية، وأمن سياسي وغذائي. بما في ذلك الشيوعيين الذين يعيشون في دولة غير مجموعة الاتحاد السوفييتي سابقاً. وذلك كالشيوعيين اليوغسلافيين الذين تحولوا لحظة انهيار الاتحاد السوفييتي عن مبادئ الشيوعية إلى المسيحية النصرانية، فوجدوا قبولاً وترحيباً ودعماً معنوياً وسياسياً ومعونةً عسكرية. فأخذوا يضربون ويقتلون المسلمين هناك حيث وجدوا السند والظهر الحقيقي من كبار دول مجلس الأمن المسيطرة على صنع قراراته وتنفيذها فتمادوا بالبطش بالمسلمين لثقتهم بأنهم مراقبون مراقبة الطفل المدلل الذي إن غلب ـ بفتح الغين ـ صفّقوا له وأظهروا تشجيعاً لكل فعل يفعله وإن غُلب ـ بضم الغين هبّوا لنجدته في أسرع وقت وخطّأوا من انتصر عليه، وقلّبوا الأمور في مجلس الأمن حتى يصبح هو صاحب الحق الذي يجب أن ينتصر له.

ولهذا فإنه ليس من تحليل يدور عليه محور الحرب القائمة بين مسلمي البوسنة والهرسك في سراييفو وبين الصرب الذين تركوا الشيوعية وتنصّروا غير هذا المنطق.

وأنا لا استبعد أن يكون هناك مخطط غربي يقوم الصرب الأنجاس بتنفيذه.. وهو العمل على إبادة المسلمين هناك واستبقاء أطفالهم.

ليؤلمنوهم، ويجلنزوهم، ويفرنسوهم. بل أنني أتحول عن هذا التوقع حيث أكدت الحافلات الألمانية التي حرصت على نقل أطفال ونساء المسلمين هناك لتوزيعهم على شقيقاتها الأوروبيات.. وإن لم يكن هذا مخطط فما الذي يمنع من تسليم نساء وأطفال المسلمين للمسلمين ليقوموا على رعايتهم حتى يكتب الله نصره لرجالهم فيعودوا إلى آبائهم ورجالهم ووطنهم سراييفو فيعيشون فوق أرضها وتحت سمائها مثلما عاش أجدادهم الذين نشروا الإسلام هنا ١٢ قرناً... - وإن كان لكتابة هذا الموضوع سبب، فهو محاولة الوصول إلى القول بأنه يجب على الدول الإسلامية أن تفعل شيئاً تجاه أطفال البوسنة والهرسك. وأن لا تكتفي بالمعونات المادية المتمثلة في الأغذية والأدوية بل يجب أن تتعدى جهودها إلى المطالبة قانوناً بأحقيتهم برعاية أطفال ونساء البوسنة والهرسك.

يقول الشاعر السعودي حسين عرب في تقاعس مجلس الأمن عما يجري في سراييفو من قصيدة طويلة:-

يا هيئة الأمم التي ميثاقها
يحمي الضعيف من الردى وبغاته

أين الأمانة والأمين وما له
يأبى علينا النزر من لفتاته

يا مجلس الأمن افتقدنا أمننا
من عدل مجلسكم وصمت قضاته

يلهو ويعبث بالأمور مهوّما
ويضيع منه الحل في طرقاته

ويغيب عن حرب الفجور وعفة
وحماية الأحياء من غاراته

هاكم سرايفو جحيماً ثائراً
تعوي القذائف في جميع جهاته

«والبوسنيون» الكرام جميعهم
يتناثرون على مدى ساحاته

والنافرات البيض عقد لآلئ
تتلاعب النيران في حبّاته

والقصيدة أطول من ذلك كما أسلفت وقد قرأتها في العدد ٨٨٣٦، من جريدة «الرياض» ٥ ربيع الأول، عام ١٤١٣هـ.

○○○○○

قدرة الله تجعل من الأشياء الضعيفة ما يثل العروش ويجندل الأبطال!!

والذي يتتبع أخبار الأمم السالفة التي كانت لها صولات وجولات، وهيبة وسلطان، وبأس شديد، وقوة وجبروت يرهب، وعظمة ترعب، يرى أن كثيراً من الأمم لم تمنعها قوتها وعظمتها من تبدل الأحوال والزوال الذي يسببه لها أضعف خلق الله وأقلها قوة يوم أراد الله أن يغير حالها، ويثل عروشها، ويجندل أبطالها، ويهدم سلطتها، ويذل سلطانها.

وقدرة الله قد جعلت وتجعل من الأشياء الضعيفة ما يكسر شوكة القوي ويبعثر قوته.

... ـ والقرآن الكريم يعرض لنا صوراً ناطقة بالوقائع التي أوقعها أضعف المخلوقات: كالطير، والجراد، والقمل، والضفادع بقوة الإنسان وشدة بأسه.. قال تعالى في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

وقال تعالى في الآيات ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦ من سورة الأعراف: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا

هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

ويعرض الشاعر أبو الحسن حازم القرطاجني المتوفى في ٢٤ رمضان سنة ٦٨٤، شواهد من قدرة الله التي جعلت من الأشياء البسيطة الضعيفة ما هزم الجيوش وهدم الحصون وقهر الأبطال.. وذلك في مقصورته التي بلغت ١٠٠٥ أبيات، والتي منها قوله:ـ

والمرء يرجو. والليالي تارة
تدني وتُثْني تارةً ما قد رجا

وإنما يقضي بإنجاح المنى
من قد قضى في كل شيء ما قضى

لا تعتقد أنّ لخلقٍ قوة
إلا إذا ما اللّه أعطاه القوى

فأصغر الأشياء قد أثّر في
أعظمها بالعون من رب العلا

قد أهلك الأحبوش طير قد رمى
جيوشهم بمكة بما رمى

وهدّ قِدْماً هُدهُدٌ بنبأ
ما كان هَدْهاد لبلقيس ابتنى[1]

وقد أعاد الفأر سد مأرب
دكاً كأن لم يبنه من قد بنى

وألقت النمرود عن كرسيه
بعوضة عَدَتْ عليه إذ عدا

(١) الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن غالب، أحد ملوك اليمن، وبلقيس، ابنته.

وقوف الشمس ليوشع ورجعتها لعلي

والأتقياء والصالحون ينزل الله فيهم قرآناً يبشرهم بحسن المنقلب، ويجعل الله لهم قبولاً. فيدعون فتكون دعوتهم مستجابة.

والشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف على ذلك كثيرة جداً.. ولا يمكن حصرها إذ أن لكل حادث منها حديثاً خاصاً به. لذا فأنني أقصر هذا الموضوع على إيراد حديثين شريفين عن وقوف الشمس، وارتدادها.

فعن وقوف الشمس، جاء في صحيح مسلم أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه، لا يتبعني رجل قد ملك بُضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبن، ولا آخر قد بنى بنياناً ولمّا يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها. قال: فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك. فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور؛ اللهم أحبسها عليّ شيئاً. فحبست عليه حتى فتح الله عليه. قال: فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه. فقال: فيكم غلول. فليبايعني عني من كل قبيلة رجل. فبايعوه فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته.. قال: فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة، فقال: فيكم الغلول أنتم غللتم، قال: فاخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد. فأقبلت النار فأكلته. فلم تحمل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا».
ويروى أن النبي الذي وقفت له الشمس هو يوشع بن نون ابن أخت

موسى . . - أما رجوع الشمس فقد أخرج الطحاوي عن أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ: أصليت يا علي؟ فقال: لا. فقال النبي: «اللهم إن كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس». قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض. . . - ولقد أشار الشاعر أبو الحسن حازم القرطاجني المتوفى سنة ٦٨٤هـ إلى هذين الحديثين في أبيات له، منها قوله:-

لله ما قد هجت يا يوم النوى
على فؤادي من تباريح الجوى

لقد جمعت الظلم والإظلام إذ
واريت شمس الحسن في وقت الضحى

فخلتُ يومي إذ توارى نورها
قبل انتهاء. وقته قد انتهى

وما تقضى عجبي من كونها
غابت وعمر اليوم باق ما انقضى

فيا لها من آية مبصرة
أبصرها طرف الرقيب فامترى

واعتورته شبهة فضل عن
تحقيق ما أبصره وما اهتدى

وظن أن الشمس قد عادت له
فانجاب جنح الليل عنها وانجلى

والشمس ما ردت لغير يوشع
لما غزا ولعلي إذ غفا

المسمار في اللغة والأشعار!!

والمسمار لا يحتاج إلى تعريف مسهب فهو لغة صحيحة إلّا أن التعامل المستمر معه يفرض علينا استخلاص بحث بسيط عن أدبياته في بعض المعاجم وكتب الأدب ودواوين الشعر. ففي «لسان العرب» جاء تعريفه: ـ المسمار واحد مسامير الحديد ـ وسمّر أعينهم، أي أحمى لها مسامير حديد، ثم كحلهم بها. ويقال: ـ سَمَّرتُ الشيء تسميراً، وسَمَرْته.

ويذكرني المسمار بما قرأته في كتاب «البدر الطالع» للشوكاني. بأنه كان في وسط الكعبة مسمار، كانوا يسمونه «سرة الدنيا»، وأنه كان بعض الناس ينبطح على وجهه ويضع سرته مكشوفة عليه معتقداً بأنه يعتقه هذا الفعل من النار.. فلما حج بيبرس العثماني إلى شنكير الملك المظفر قلعه لأنه بدعة، وأزال الحلقة التي يسمونها (العروة الوثقى). وذلك في حجه سنة ٧٠١هـ.

ومن طريف ما يحكيه العامة على لسان المسمار أنه لما تغلغل في جوف خشبة من الأخشاب قالت له: ما الذي حملك على هذا الفعل المضرّ بي؟ قال لها: اسألي المطرقة التي تهوي على رأسي فالخبر عندها.

وقد ورد ذكر المسمار في الأشعار لأغراض مختلفة. فمن قول البحتري فيه، هاجياً أحدهم:

صُلْبِ الجماليق لا يلوي بناظره
على الحياء ولو شكتْ بمسمار



ويصف الشريف الرضي ليلة باتها في فلاة بقوله:ـ

كأن السماء بها لامة
وزهر النجوم مساميرها

أما السريّ الرفاء فذكر المسمار في وصف من ستر عنه وجهه بيده:

غضبان يستر عني وجهه بيد
وددتُ لو سمرتْ فيه بمسمار

ويقول ابن نباتة المصري، واسمه جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي، المتوفى سنة ٧٦٨هـ، من قصيدة يرثي بها ولده:

أرعى الدجى وكأن ذيل ظلامه
متشبت بالنجم في مسمار

ويقول أبو العلاء المعرّي:

هل تعرف الماء تغشاه القطا زمراً
قبل الصباح. وفيه الجن سُمّار

كأن كيوان. في ظلماء حندسه
من الهمود وطول المكث مسمار

وقوله أيضاً:ـ

ما بال هذا الليل طال وقد يُرى
متقاصراً عن جلسة السُمّار

أتروم فجراً كالحسام ودونه
نجمٌ أقامَ تمكن المسمار

ولا أكتم سرّاً إن قلت أني بحثت فيما لا يقلّ ١٥٠ ديوان شعر؛ شعراء أمويين وعباسيين ومعاصريين، أطلب في قافية الراء منها شاهد على المسمار الذي تقدمت الإشارة إلى صحة لغته، فلم أجد أكثر مما تقدم ذكره.

الغرور بالشعر المنثور!!

في ساحة الأدب في عصرنا هذا صراع قائم بين أصحاب الشعر الحر الذي لم يدرج من العش العربي الأصيل، وأنصارهم الذين يصفقون لقدومه ويلوحون له بعبارات الترحيب.. وبين الذين يرفضون بلسان عربي متربع على عرش اللغة ومتذوق للتراث.

ولقد أشرت فيما تقدم من أجزاء من هذا المؤلف إلى الأهداف التي يطمع قائلو الشعر الحر في تحقيقها، والتي من أهمها القضاء على اللغة العربية وآدابها. وفصل تراثنا الأدبي عن أدبنا المعاصر لنكون في يوم من الأيام كسائر بلا دليل.

والذي يثير في النفس شكوكاً فيما يهدف إليه الشعر الحر.. هو أن شعراءه ومؤيديه ليس لهم صلة بالأدب، وإنما هم دعاة تملّكهم الغرور في تكوين أدب جديد من صنعهم.. فأمين الريحاني صاحب «ديوان هتاف الأودية» الذي يعد أول من كتب الشعر الحر في حدود ١٩٠٧م، ما هو موقعه من الأدب العربي الأصيل.. ونفس السؤال يدور حول نازك الملائكة، وصلاح عبد الصبور، ونزار قباني، وبلند الحيدري، وغير هؤلاء من الذين يتناسون أدبنا العربي، ويمضون في اعتناق أدب لا تمت بأدبنا بأية صلة.. وشاطروا بإنتاجهم الشعري المنثور شعراء غربيين حاقدين على تراثنا ولغتنا وأدبنا المتميز بالأصالة.

والبحث في سرّ هذه الحركة المعادية لأدبنا العربي يأتي نتيجة تحقق أن شعراء الشعر المنثور أو الحر قد وقفوا عاجزين عن فهم اللغة

العربية، وما فيها من مرادفات يستوعب توظيفها أي فكرة أو خاطرة تدور بخلد الشاعر. كيف وخليل مطران الذي يؤيد الشعر المنثور في مقابلة أجريت معه: ـ «إن قيود القافية في القصيدة العربية» ـ مرهقة ـ. ونحن نقول: لا ترهق إلّا من ليس له باع في اللغة، ولو كانت مرهقة لما كان لشعر اللغة العربية ملاحم ومعلقات ومطولات أقلها يبلغ مائة بيت، ويمضي مطران في القول فيقول عن القافية: ـ وكثيراً ما وجدتها عقبة في إطراد الفكر. ونحن نقول: ما هي إلّا عقبة أمامك أنت وأضرابك الذين يحاولون هدم اللغة ووأد التراث من بني عقيدتك.

ومن الشعراء الذين تصدوا لذلك التيار الغربي الحاقد على القصيدة العربية المقفاة الشاعر أحمد الصافي النجفي إذ يقول من قصيدة له عنوانها: «الشعر الحرّ»:ـ

يا شعراء الخيال هلّا
أقللتم الوهم والخيالا

أسرفتم في الخيال حتى
صرت كأشعاركم خيالا

يا خانقين القريض لما
عليه ضيّقتم المجالا

ميدانه واسع ولكن
ضقتم نفوساً فضاق حالا

الشعر ملء الحياة لكن
عيونكم لا ترى الجمالا

ثرتم على الوزن والقوافي
أعلنتم الحرب والقتالا

فما ابتكرتم لنا ولكن
قيلا سمعنا لكم وقالا

سترتمو عجزكم لدينا
بحجة تقنع الكسالى

○○○○○

لسان مروان في فم هرّته!!

ويجرنا الحديث عن الهرة والهر الذي تقدم تحت العنوانين: «يد.. هر» و«يكفي الهرة شرفاً أن الصحابي عبد الرحمٰن الدوسي يكنى بها»؛ إلى الدخول في موضوع تاريخي كان للهرة فيه دور ذا عبرة واعتبار وهو أن مروان الجعدي الملقب بالحمار آخر خلفاء بني أمية لما ظهر السفاح بالكوفة وبويع بالخلافة، وجهز العساكر إليه فانهزم منهم حتى وصل - أبي صوير - وهي قرية عند الفيوم، قال: ما اسم هذه القرية قيل: - أبو صوير - قال: فإلى الله المصير. ثم دخل الكنيسة التي بها فبلغه أن خادماً له نمّ عليه فأمر به فقطع رأسه وسل لسانه وألقي على الأرض فجاءت هرّة فأكلته.. ثم بعد أيام هجم على الكنيسة التي كان نازلاً بها عامر بن إسماعيل فخرج مروان من باب الكنيسة وفي يده سيف وقد أحاطت به الجنود وخفقت حوله الطبول، ثم قاتل حتى قتل، فأمر برأسه فقطع في ذلك المكان وسل لسانه وألقي على الأرض فجاءت تلك الهرة بعينها فأكلته. فقال عامر: لو لم يكن في الدنيا عجب إلّا هذا لكان كافياً، لسان مروان في فم هرّة.. - ودخل عامر بعد قتله الكنيسة فقعد على فرس مروان وكان مروان حين الهجوم على الكنيسة يتعشى، فلما سمع الوجبة وثب عن عشائه فأكل عامر ذلك الطعام ودعا بابنة لمروان وكانت أسن بناته، فقالت: يا عامر إن دهراً أنزل مروان عن فرسه وأقعدك عليه حتى تعشيت بعشائه واستصبحت بمصباحه ونادت ابنته لقد بلغ في موعظتك وأجمل في إيقاظك، فاستحيا عامر وصرفها... وكان قتل مروان في سنة ١٣٣هـ.

والهرة لها من ضرب الأمثلة نصيب. فقد ضرب بها المثل في

شدة حب الأولاد، فقيل: ـ أبرّ من هرة ـ وقد أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم... ـ أما رؤيا الهر في المنام فهو امرأة خداعة صخّابة.. وقال ابن سيرين: عض الهر. مرض سنة وكذلك خدشه.

ومما قيل في الهر من الشعر، قول ابن العلاف:

يا هر بعت الحق بالباطل
وصرتَ تُصْغي إلى عاذل

إذا أتيت البرج من خارج
طارت قلوب الطير من داخل

علْماً بما تصنع في برجها
فهي على خوف من الفاعل

قد كنت لا تغفل عن أكلها
ولم يكن ربُّك بالغافل

فانظر إلى ما صنعت بعد ذا
عقوبةُ المأكول بالآكل

ما زلت يا مسكين مستقتلاً
حتى لقد مُنِّيتَ للقاتل

قد كنتَ للرحمة مستأهلاً
إذ لم أكن منك بمستأهل

وقد عارض أبو الفضل ابن العميد هذه الأبيات بأبيات، قال في مطلعها:

يا هر فارقتنا مفارقة
عَمّتْ جميع النفوس بالثّكل

طارت عصافير المخطوبة ورجعت بسلّة الإفلاس!!

إن معالجة القضايا الاجتماعية مطلب إنساني. مطالب به كل صاحب لسان وقلم.. ـ والمواطن الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يسعد بسعادة الناس ولا تكلّ ولا تحل قدماه من السعي في سبيل راحة مواطنيه، ولا في تحسّس المشكلات التي يكون له في حلها يد، أو رأي، أو فكر.

والمجتمع الذي تتناوش قضاياه ومشكلاته أقلام أبنائه لا بد أن يكون مجتمعاً راقياً. بل ربما كان نموذجياً إذا كانت تلك الأقلام تكتب بصدق وبحسن نية .. وبعيدة عن حب المظهر وعن قصد البروز أو المنفعة الذاتية... ـ أقول هذا وأنا أحسّ حينا بإحساس نفسي بعدم الصدق فيما أقرؤه لبعض الكتاب والشعراء من موضوعات ذات علاقة بحياتنا الاجتماعية وتقاليدنا الأدبية حيث تظهر على كتاباتهم مسحة التكلف في الصنعة، أو تندفق فيها إيحاءات لا تنبئ بحب المساهمة في بناء المجتمع. وإنما القصد منها محاولة البروز في مسرح الأدب.

ـ وأعود إلى استعراض ما تضمنه مفهوم عنوان هذا الموضوع في لغة الشعر وكيف أن من الشعراء من يحاول المشاركة في حل بعض المشكلات عن طريق تصويرها في أسلوب شعري يحمل الإنسان على قراءته، وعلى الوقوف على ما اشتمل عليه من أحاسيس تعاني منها الفتاة التي تخطب بكلمات عسولة، ثم تلقى بعد الزواج أساليب معاكسة تماماً لما كانت تسمعه وتقابل به وقت الخطبة.. الأمر الذي يعيد الغزل صوفاً، والعذب همجاً، والغمر وحلاً، والحلو مرّاً. بل يجعل كل شيء

يسير في عكس ما كان عليه زمن الخطبة، واللقاء الأول. وللشاعر محمود مفلح قصيدة على لسان فتاة خدعت بمعسول الكلام عنوانها: «تجربة بعد خطوبة دامت شهرين أدركت أنه وغد»، منها:

ما كنت أحسب أن طبعك قاسي
أو أن قلبك فاقد الإحساس

جرعتني يا خائني غصص الأسى
وأحلتَ أحلامي إلى أرماس

كم كنت ساذجة وكنت شقية
لما جعلتك في الهوى نبراسي

ومنها:ـ

أين الكلام الحلو أين رحيقه
أين الشموع البيض في أعراسي؟

أين العصافير التي أطلقتها
وقلائد الياقوت والألماس؟

طلع الصباح على الكلام وأهله
فإذا الكلام معطل الأجراس

رجع المحبون الكرام بحبهم
ورجعتُ أحمل سلّة الإفلاس

ويختمها بقوله على لسانها:

حسبي بأني قد عرفتك تافهاً
وعرفت أنماطاً من الأحلاس

○○○○○

بدأت الثارات العمياء تظهر وتتحرك
في كل مكان من العالم!!

لقد صحا العالم صحوة مادية ينقصها الفكر الأدبي.. إذ أخذت العنصرية العرقية الهمجية تأتلف وينضم بعضها إلى بعض لتشكل وحدة تثأر ممن كان قد ناصبها العداء أو أطاح بدولتها.

ـ ومن هذا المنطلق الثأري الذي أخذ في التحرك في كل مكان من العالم وتسبب في قيام الحروب العرقية والحزبية التي تدور على محاور تختلف في اتجاهها مع اتجاه العقيدة الإسلامية.

والذي يرقب تلك التحركات يتبين له أنها حركات شيطانية مُجْمِعَةٌ على معاداة المسلمين، الذين غفلوا عن مواصلة بث الروح الإسلامية في عالم الأرض. وتركوا الأمر للمبشرين المسيحيين وغيرهم من الذين أخذت تلامذة مدارسهم تبادئنا بالعداوة بزعم أن أوائلنا الذين حملوهم على الحق وحكموهم بالعدل، وزرعوا في أرضهم هدي الإسلام وتعاليمه. ليسوا إلّا دخلاء على بلادهم، وأنهم جاؤوا معتدين لا مصلحين. فقلب أولئك المبشرون الحقائق، وحرفوا التاريخ الإسلامي، وصوروا الإسلام كابوساً يفرض عليهم القيود، وشبّهوا المسلمين بالزبانية التي لا تعرف إلّا حمل السياط.

والحقيقة أنه أينما اتجهنا اليوم نجد تلك الحركات العرقية والحزبية تندّد بالإسلام. وتمضي بالتنكيل بأهله. فالتمويت بالجوع والإهانات. والتمثيل بالقتل، كلها الآن يتلقاها المسلمون في أنحاء العالم.. ـ وقوى الأرض تناصر تلك الحركات الشيطانية بحكم

التجانس العرقي والعقيدي. والعدوان للإسلام. وتقف إلى جانبها وهي تبتسم ابتسامة عريضة تنبئ عن الارتياح لما يحدث من إهانات للمسلمين.. في روسيا. وفي أفغانستان. وفي الهند وكشمير. وفي أفريقيا. وفي يوغسلافيا سابقاً مذابح الغرض منها إبادة المسلمين... ـ ولعل أعظم ما يجري الآن من مذابح بشعة في المسلمين هو ما يقوم به الصرب المسيحيون في سراييڤو عاصمة البوسنة والهرسك.. ـ ولقد وصف الشعراء واقع المسلمين المؤلم في سراييڤو وصفاً حقيقياً... ـ ومن أولئك الشعراء. الشاعر السعودي خالد بن سعود الحليبي الذي يقول من قصيدة له على لسان عجوز يخبر ولده بما يفعله الصرب بهم من أفاعيل مشينة.. منها قوله:

وعلى سراييڤو السلام إذا ترادفت الحروب

وتهدج الصوت العجوز. وأكمل النعي النعيب

الصرب يا ولدي جراد أهملته يد الرقيب

لن يخرجوا إلّا ومربعنا من الأحيا جديب

ومنها قوله:

هرعوا إلى أسوار قريتنا وأعناق الدروب

ضربوا الحصار وقريتي تغفو بأحضان الغروب

وتسللوا بين الأزقة كالردى أو كاللهيب

ساقوا الحوامل كالشياه أمام جازرها المهيب

وتدافع الحقد المعتق وانتشى الثأرُ الغضوب

لمعت على الأيدي المدى والأفق يُلميه المغيب

ويلاه من معصومة الأردان في حضن الغريب

هتكوا ثياب عفافها والزوج يقضمه القضيب

يغني صُراخهما ولكن ليس في الدنيا مجيب
جفت على شفتي صغيرهما استغاثات الحليب

ومنها قوله :-

سكت الهدى في مسجدي وعلت ترانيم الصليب
وترقرقت في مقلتيه طيوف ماضيه السليب

OOOOO

رأي الأسمر في مجالس الناس!!

والأسمر: هو الشاعر المصري محمد الأسمر، الذي عاش حتى النصف الأخير من القرن العشرين للميلاد. وله ديوان شعر ضخم طبع في آخر حياته يقع في ٦٦٠ صفحة. أما أسلوبه الشعري فليس فيه تقعراً أو تسطحاً وإنما هو غاية القارئ المثقف وزاد المتذوق للشعر.. وهو يميل إلى نظم الشعر الاجتماعي والتوجيهي. كما أن له ميل إلى مداعبه الأصدقاء... ـ والذي يقرأ ديوانه بنيّة دراسته والتعليق على قصائده يقع في حيرة بين قصائده أيها يستعرضها لقارئه... ـ أقول هذا حيث تجاذبتني العناوين المختلفة التي حواها الديوان.. لكن منهج تأليفي يقضي بعدم الإسهاب والتقيد بالاختصار مع الاقتصار على الاستشهاد بثمانية أبيات لأي موضوع أتناوله. رأيت الوقوف على قصيدته «مجالس الناس»، والتي لم يطل فيها النفس بقدر ما جعلها خلاصة تجارب، وندب، وتوصية، واستعراض لجانب من طبيعة بعض مجالس الناس.. منها قوله:ـ

مجالسُ الناس لا حديث بها
إلّا فلانٌ به كيتٌ وفيه كذا

حتى إذا جاءهمْ هشوا لمقدمه
كمن يداعب صيداً بعد ما أُخذا

فاحبس لسانَك إن وافيت مجلسهم
فلو أتيت بقرآن لقيل هذا

وإن نطقت فخير القول أوجزهُ
فلا تثرثر به. بل ألقه نُبذا

وبعد هذا النصح والتقرير الذي يفيد بواقع مجالس الناس ويوصي بالمتحدث فيها بأخذ الحذر منها حتى لا يفترى عليه أو يكذب فيما يقوله؛ لأن ديدن معظم تلك المجالس ذم المتحدث فيها أو السخرية به.. ولذلك يعرض رأياً فيه بديل لتلك المجالس.. وذلك بقوله:

خير من الناس كُتْبُ الناس تقرؤها
وأن تظلّ بعقر الدار منتبذا

وإن لم يحصل تكيّف مع هذا البديل فلا بد من انتهاج أسلوب يقي من أذى انتقادهم.

واعلم بأنّهمْ حربٌ مسعّرةٌ
فالبس لديهم دروعَ الحرب والخوذا

واشحذ سلاحك واعلم أن كلّهم
مقلّد صَعْدَةً أو صارماً شحذا

كم من أخيذ لديهمْ وهو صاحبهم
فلا تكنه وكن أخّاذ من أخذا

○ ○ ○ ○ ○

الإفلات من الموت!!

والموت لا بدّ وأن يلاقي الإنسان مهما طال به الزمن. وتمادت به الحياة.. يقول أصدق القائلين في سورة الجمعة آية ٨: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾، ويقول الحق تبارك وتعالى في الآية ٧٨ من سورة النساء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ...﴾ الآية.

ولكن هل الإنسان يرى الموت بعينه ثم لا يموت؟ هذا ما سيجيبنا عنه بعض أولئك الذين نجوا منه وعاشوا زمناً بعد مصارعتهم له.

وأكثر من يصف الموت عن رؤية صادقة هم أولئك الذين تعرضوا للحوادث بشتى ألوانها وصورها؛ كانقلاب السيارة، أو التصادم بعنف، أو السقوط من الشواهق، أو الحريق والغرق، أو الإغماءات التي يفقد معها الإنسان وعيه وشعوره، أو ما إلى ذلك من الإصابات البليغة.

ـ والتخدير الطبي نوع من الموت لكنه لا يأتي في ملاقاة عنيفة مرعبة تبلغ فيها الروح الحلقوم، وإنما هو يباشر حياة الإنسان ويتعامل معها مثل ما يباشرها النوم تماماً في هدوء، وسكينة، ولطف، وترفق.

وما أكثر ما نسمع من المتحدثين الذين وقعت لهم حوادث مزقت أجسامهم وحطمت عظامهم قولهم: رأينا الموت بأعيننا، أو شارفنا على الموت، أو ما إلى ذلك من التعبيرات التي يقرر فيها الإنسان رؤية الموت بعينه.

وإذا كان المخبر بذلك شاعراً، فإنه كثيراً ما يتفنن في نقل الخبر ويجعل له مقدمة وعرضاً وخاتمة، ربما هجا بها الموت.. لذا فإنه

يحسن بنا أن نستعرض شيئاً مما قيل من الشعر في هذا الخصوص...
- يقول الشاعر المصري محمد الأسمر الذي يذكر أنه لاقى الموت في حادث - الترام - ونجا منه:-

رأيتُ الموتَ أمسِ فصدّ عنّي
كأني لستُ أصلح للحمام

ولم أر قبل هذا الموت موتاً
يذودُ الناس عن عجل - الترام -

تلطف بي. وكنت أودُّ أنّي
أُعانقه عناق المستهام

وجَمّشَني فبي منه خدوش
وبعض الرضّ في بعض العظام

نجوت. ولو قضيتُ نجوت حقاً
ولكن عشت للموت الزُّؤام

يُهنئني الشقاءُ على نجاتي
وقد أبصرته بين الزحام

فقلت له أما تنفكُّ عنيّ
أأنت بكل ناحية أمامي

وددت لو انني لاقيتُ حتفي
لأنجوَ منك يا وجه اللئام

○○○○○

أبو ماضي يتمنى أنه لص!!

واللصوصية تختلف فيما تقوم به من أفعال. منها ما يروع الناس ويقلق راحة الآمنين في منازلهم وبيوتاتهم، ومنها ما يتخذ وسيلة لتحقيق مآرب هي أبعد من السطو على الممتلكات. وهذا النوع من اللصوصية ينحدر من مفهوم سياسي يقصد بانتهاجه تحقيق الاستعلاء والسيطرة.

أما اللصوص الذي همهم سرقة الأموال والأمتعة فهم أيضاً مختلفون بحسب احتياجاتهم وما تحدده قدراتهم التلصصية من الاستطاعة على أنواع السطو، وكيفية ممارسته بنجاح ولهذا فهم أنماط متباينة ومختلفة. إذ أن منهم من يفضل سرقة ما خف وزنه وكثرت قيمته، وهذا النوع يعد من أجشع السراق وأخطرهم، ومنهم من يكتفي بخطف أول ما تقع عليه عينه سواء خفّ أو ثقل حَمْلُهُ. وهذا يعد من أقنع السراق.

وتنوع طبيعة السراق يتماشى في الحكم مع تنوع قيمة المسروق. فالملموس الذي يتطلب الحمل والمواراة عن الأعين وطمس المعالم، وغير ذلك من الوسائل التي تبعد التعرف عليه هو أمر طبيعي لا غرابة في ممارسته من قبل السارق.

أما المحسوس فهو الذي يقع فيه الإشكال. ويحصل فيه الإنكار والأثبات، ويكتنفه القيل والقال والبحث في واقعه يحتاج إلى استقراء واستنباط واستدلال.

والآن أرى أنه قد شطح بنا الكلام في البحث في طبيعة السارق والمسروق وصرفنا عن الاستطلاع في تمني الشاعر المهجري إيليا أبي ماضي بأن يصبح لصاً سارقاً. ذلك التمني الذي كان سبباً في إملاء هذا

الموضوع. ولهذا فإن الرجوع إليه أمر مسلّم به لكي نعرف وجهة نظره في تمنيه بأن يكون لصاً قبل أن نلحقه بأحد أصناف اللصوص الذي سبقت الإشارة إليهم. وما لنا الآن نطلع على ما تضمنته قصيدته. فإن كان هناك قناعة وصلنا إلى نقطة نهائية لهذا الموضوع. وإلا مضينا في تحليل رأيه وألحقناه بمن يوائمه من أصناف السراق.. يقول من تلك القصيدة:

يا ليتني لص لأسرق في الضحى
سر اللطافة في النسيم الساري

وأجس مؤتلق الجمال بأصبعي
في زرقة الأفق الجميل العاري

ويبين لي كنه المهابة في الربى
والسر في جذل الغدير الجاري

والسحر في الأنغام والألوان والأ
نداء والأشذاء والأزهار

وبشاشة الموج الخصيب ووحـ
ـشة الوادي الكثيب وصولة التيار

وإذا الدجى أرخى علي سدوله
أدركت ما في الليل من أسرار

فلكم نظرت إلى الجمال فخلته
أدنى إلى بصري من الأشعار

فطلبته وإذا المغالق دونه
وإذا هناك ألف ستار

وطالما أن أبا ماضي يريد أن يسرق جمال الطبيعة فهو إذن بريء وليس له في دولة السراق عضوية وتصنيفه من بينهم غير وارد.

من الذي اخترع المروحة الهوائية..
العرب. أم الصينيون؟!!

لقد كتبتُ فيما تقدم من أجزاء من هذا المؤلف عن مروحة السعف.. وفي هذا الموضوع أعود لأضيف معلومات عن المروحة البدائية بصفة عامة... ـ فقد روت الأساطير أن الصينيين هم أول من اختراع المروحة الهوائية وذلك قبل خمسة آلاف عام تقريباً... وكان السبب في اختراعها أن الصينيين كانوا يقيمون احتفالاً سنوياً للقمر، وفي إحدى تلك الاحتفالات كان الجو حاراً فأمسكت إحدى السيدات لما أحست بالاختناق طرف معطفها وأخذت تحركه أمام وجهها فشعرت بهواء خفف الاختناق، ومن ذلك الوقت أخذت صناعه المراوح في التطور وانتشرت في العالم فسمّاها بعضهم ـ المهفة ـ وسماها آخرون ـ الهبابة ـ كما سماها البعض الآخر ـ المروحة ـ واختلفت الشعوب في كيفية صناعتها. فمنهم من صنعها من القماش ومنهم من صنعها من الريش ومنهم من صنعها من سعف النخل، وهذا الأخير يكثر في جزيرة العرب حيث تكثر النخيل. ومنهم من صنعها من الخيش... ـ جاء في كتاب «أنوار الربيع» أن الذي أحدث مروحة الخيش لأول مرة هو الخليفة هارون الرشيد.. وذلك أنه دخل يوماً على أخته علية بنت المهدي، في يوم قيظ. فألفاها قد صبغت ثيابها بزعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف. فجلس الرشيد قريباً من الثياب المنشودة فصارت الريح تمر على الثياب فتحمل منها نشراً طيباً فوجد لذلك راحة من الحر واستطابة فأمر أن يصنع له مثل ذلك.. فصنع له مروحة من الخيش

شبيهة بشراع السفينة، تعلق بالسقف ويتروح بها في الصيف وترش بالماء الورد لتكون أبرد وتعلق بحبل يراد به حركتها فإذا أراد النوم جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء. فيهب على الإنسان منها نسيم بارد طيب الرائحة.

فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب النوم وهي فوقه ذاهبة جائية...
- ومما تقدم نقف في حيرة لا نستطيع معها معرفة صاحب الأولوية في اختراع المروحة الهوائية.. وحيث أن التعليلات التي دعت إلى اختراعها متقاربة فإنه ربما يكون هناك توافق بين العرب والصينيين.. لكن العرب. طوّروها بالشكل الذي تقدم وصفه... - وإذا كان لا بد من تذييل هذا الموضوع بشعر قد قيل في المروحة فهذا الشاعر - حيص بيص - الذي تقدمت ترجمته في الجزء الرابع. يقول من قصيدة له في مروحة الخيش:

ولينةِ الأعطاف خوّارةٍ
ذات غضون لونها أوْرقُ

غبراء لا تبرحُ ممطورةً
وهي على الغبرة لا تورق

موثَقةٌ مطلقةٌ ليْنَةٌ
شديدةٌ ثابتةٌ تَقْلَقُ

طيّارةٌ تَمْنَعُ أبعادها
أسْبابها والسُّورُ والخندق

كأنها من حيرةٍ ناشدٌ
يدأبُ نِشْداناً ولا يلحق

إذا أريحَتْ خلتها والهاً
ثكلى لها من حُزْنها أوْ لق

كـرّارةٌ فـي حـرب شـمـس الـضـحـى
لا تَــرْهَــبُ الــبــأس ولا تَــفْــرق

تَـهـدي الـكـرى لـلـمـسـتـهـام الـذي
يَـنْـبُـو بـه الـمـضـجـعُ والـنـمـرق

○○○○○

النجفي.. ومجاورة الحية!!

والذي يلقي نظرة عابرة على شعر أحمد الصافي النجفي يجد أن هذا الشاعر قد صال وجال في كل ميدان. وجاء في كثير من شعره بما يستحق عليه الإشادة.. فهو وإن كان متأخراً في زمانه عن الشعراء الذين اهتم الناس بدراسة شعرهم وتحليل أفكارهم وآرائهم، ودراسة سيرهم ووصف شخصياتهم إلّا أنه قد مخر بحاراً لم يمخروها.. وارتشف معيناً شعرياً صافياً سليماً من القذى والقسر... وجاراهم في كل مذهب من مذاهب الشعر الأصيل التي ذهبوا بها.. وسايرهم في بناء القصيدة العربية الأصيلة المتماسكة.

ولا أريد هنا أن آتي بشواهد تدل على مسايرته للشعراء الذين طارت شهرتهم وذاع صيتهم في عالمنا العربي. فدواوينه تنطق بذلك وكلها شواهد على أصالة شعره، وقوة بنائه وسلامة لغته.

ولقد أشرت إلى أنه عَبّ كل بحر وخاض كل ميدان.. وكنت أعني بذلك أنه طرق كل موضوع وعالج مشكلات متعددة. ووصف الحياة ببؤسها وسرورها. وحدد مكانه منها.. ولم يغفل جانب الصداقة ومعايشة الناس، وعلاقة الإنسان ببعض الحيوانات والحشرات؛ فقد أعطاه من لفتاته الفنية ووقفاته الذكية ما يحمد عليه.

وللنجفي إشارات واضحة يفضل فيها مصاحبة الحيوان على الإنسان. بدليل أن غدر الحيوان أقل من غدر الإنسان... ـ حتى الحية ذات السم القاتل يرى أن مجاورتها أفضل من مجاورة الإنسان. وقد نقل هذه الصورة في قصيدة حاول أن يحقق فيها أن فكر الإنسان وغدره



أعظم وأشد وأنكى من مكر الحية وغدرها. وذلك بقوله من قصيدة له:

جاورتُ أفعى في السقف ساكنة
تطرب لي بالفحيح أسماعي

وإن تلوت القريض تنصت لي
كأنها طربت لأسجاعي

خصمان ساد الحياد ساحتنا
لم تعلن الحرب غير أطماع

قالو تحذّر فالسم في فمها
فقلت سمّي منكمْ وأوجاعي

للمكر تعزونها ولست أرى
منكم سوى ماكرٍ وخدّاع

أأتقي لذعها وكم بكمُ
من ذي لسان بالقول لذاع

عامان مرّا بنا وما هي لي
سعت بشرٍّ ولا أنا ساع

وكم وكم منكم صباحَ مساً
للشّرّ داعٍ للخير منّاع

○○○○○

دور سلات المهملات

في النظافة والتخريب والسياسات!!

ولسلات المهملات ارتباط وعلاقة وثيقة بحياتنا اليومية المتحضرة.. فهي في شكل وطبيعة عملها رمز من رموز النظافة، وعنوان من عنوانات الحضارة والتمدين.

وهي في عالم الصحافة والثقافة ودواوين الكتاب والأدباء وأصحاب الأقلام موضع تهمة لصاحبها يشار إليها عند كل مناسبة بإصبع الشك.. كيف لا ونحن كثيراً ما نسمع من المحتجين على أصحاب السلات بأن سلاتهم قد أصبحت قبوراً لبعض الشؤون القائمة على التعامل الكتابي معهم.

وقد يتعدى دور سلات المهملات إلى أدوار ومهمات أخرى فتدخل في ميدان السياسة حيث تودع فيها الأخبار والتقارير السرية، ومنها تفرغ في براميل تصل بأمان إلى من تهمه تلك الأخبار والتقارير التي لا يستطيع أصحابها تسليمها يداً بيد لمسؤوليهم بسبب الرقابة المفروضة عليهم.

وقد تكون سلات المهملات في الطائرات أدوات تهريب مخدرات في حالة إحكام خطة بين عمال النظافة في البلد التي تغادر منها الطائرة والبلد التي تقدم إليها. وقياساً على هذا تكون سلات المهلات وعاءً يستخدم لكل غرض. فهو وعاء نظافة، وظرف سياسة، وبوتقات تدمير، لذلك فإنه لا غرابة إذا أظهرت المهارة في صنعها. والتفنن في زخرفتها.



... ـ ولهذا كله فإن بعض أصحاب الأقلام والشعراء لم يغفلوا عن ذكر بعض الأدوار والارتباطات المتنوعة الخدمات التي تقوم بمهماتها سلات المهملات. فقد أشار بعضهم إلى جانب من تلك المهمات في أبيات منها قوله:ـ

سلٌّ من القش ألقي فيه أسمالي
شيء ولا شيء فيه مفعم خال

يكاد يشبهني لولا تمائمه
تغالط العين في هندامه البالي

لكنه شبه جسمي في مهمته
كلاهما قبر أحلامي وآمالي

وقيل يشبه جيبي عامراً خرباً
إن غص بالمال لا يبقى على المال

ما باله التهم الماضي برمته
وما ترفق فيه رفق غربال

يهوى الجرائد لم تخلع غلائلها
ويستسيغ ازدراد القيل والقال

ما زلت أدفن في أعماقه كتبا
من فيلسوف وشعرور. ودجال

ومن مُداح ومدّاح ومرتزق
أمثالهم خلقوا ظلاً لأمثالي

○○○○○

حكاية في أبيات!!

والحكاية هي أن الأسد اشتكى من علّة شديدة أصابته. فعاده جميع السباع إلّا الثعلب.. فدخل عليه الذئب فقال له: أصلح الله الملك إن السباع كلّها قد زارتك، وساءها مرضك، إلّا الثعلب فإنه مستخف بك وفرح بمرضك؛ وبلغ الثعلب ذلك فاغتم لذلك. ومضى إلى الأسد فقال له الأسد: ما لي لم أرك يا أبا الحصين؟ فقال الثعلب: أصلح الله الملك، بلغني وجعك فلم أزل أطوف في البلدان أطلب دواءً ناجعاً يشفي مرضك. حتى وجدته، فقال الأسد: أي شيء هو؟ فقال الثعلب: هو مرارة الذئب. فأرسل رسولاً يحضر الذئب فحضر والثعلب عنده فلما دخل وثب الأسد عليه، فهرب الذئب وناشه الأسد فسلخ جلد استه. فتبعه الثعلب وهو يصيح به: ـ يا صاحب السراول الأحمر إذا جلست عند الملوك فانظر ما يخرج منك، فإن المجالس بالأمانات.

وحكاية مثل هذه الحكاية التي فيها ما فيها من الدهاء والذكاء والسياسة وحسن التخلص من المآزق بإحكام الحيلة. لا بد أن يكون لها وقع في النفس وصورة في الخيال، وخاصة خيال الشاعر الذي ما يلبث إلّا أن يصوغها في أبيات تشكل قصيدة قصصية مشوقة.

ومن الشعراء الذين صنعوا تلك الحكاية في قصيدة قصصية الشاعر الحسين بن علي الطغرائي. والتي منها قوله:ـ

فقد جاء في أمثالهم أن ثعلباً

وذئباً أصابا عند ليثٍ تقدما



أضـرّ بـه جـوع طـويـل فـشـقّـهُ
وأبـقـى لـه جـلـداً رقـيـقـاً وأعـظـمـا

فـفـاز لـديـه الـذئـب يـومـاً بـخـلـوة
فقال كفاك الثعلب اليوم مطعما

فـلـمـا أحـس الـثـعـلـبـان بـكـيـده
تطبب عند الليث واحتال مُقْدِما

وقـال أرى بـالـمـلـك داءً مـمـاطـلا
تـهـدّم مـنـه جـسـمـه وتـحـطـمـا

وفـي كـبـد الـذئـب الـشـفـاء لـدائـه
فـإن نـال مـنـهـا يـنـجُ مـنـه مُـسَـلَّـمـا

فـصـادف ذا مـنـه قـبـولاً فـعـنـدهـا
أحال على الذئب الخبيث فصمما

فـافـلـت مـمـسـوخ الإهـاب مُـرَمَّـلا
فـلـمـا رآه الـثـعـلـبـان تـبـسـمـا[1]

○○○○○

---

(١) وبعد هذا البيت بيت يقول: -
وصاح به يا لابس الثوب قانيا متى تخل بالسلطان فاسكت لتسلما

الظفر الطويل.. معتقد. وسلاح!!

والذي يتتبع ما كتب ويكتب عن العقائد الدينية في العالم يتبيّن له أن هناك أنواعاً مختلفة من المعتقدات الفاسدة التي منها ما لا يصدق اعتناقه العقل. بل لا يتفق مع أبسط الأفكار والمفاهيم.

والغريب في الأمر أنه يوجد من بين أفراد تلك الفرق الضالة علماء في الطبيعة وأصحاب تخصصات علمية. وله اطلاع واسع في ثقافات العالم وحضاراتهم. لكنهم لا يحيدون عن معتقدهم قيد أنملة على الرغم من إدراكهم بأنها سخافة ولا ترتبط بنفع أو ضر لهم كما يعتقد الآخرون في مذاهبهم.

والغريب في الأمر أيضاً أن أصحاب العقائد الخرافية السخيفة لا يجدون ما يدافعون به عن عقائدهم حينما ينتقدون باستمساكهم بها، وكل ما يملكونه من تعليل إنها موروث أوجب عليهم المحافظة عليه محافظة عمياء.

أما البلدان التي تكثر منها أنواع العقائد المتناقضة فهي ـ الهند ـ أقول متناقضة؛ لأن هناك فرقاً تقدس البقر وجماعات تأكلها. وهناك النباتيون وهاك أكلة اللحوم.

ولعل من أطرف المعتقدات الخرافية عند فئات من الهنود هو تطويل الأظفار، إذ أن هناك فرقة تعلق صلاح أمرها بإطالة أظفارها، وهذه الفرقة تحاول الدفاع عن معتقدها هذا بأنه رمز للقوة.

ولقد كان لأبي العلاء العري إشارة إلى هذا المعتقد الظفري، وذلك كقوله من قصيدة له عنوانها: «تفرق الملل»:

واعُدُّ قصّ الظفر شيمة ناسك
والهند بعدُ مطيلة أظفارها

ملل غدت فرقاً. وكل شريعة
تبدي لمضْمَر غيرها إكفارها

وقوله في موضع آخر:-

نقلم للنّسك أظفارنا
وطوّلت الهند أظفارها

وإذا عدلنا عن الأظفار كمعتقد، ونظرنا إلى إشارات أبي العلاء إليها في غير هذا الاتجاه، نجده يرى أن هيبة أسود العرين لم تتحقق لها إلّا بأظفارها.

وما جُعلَتْ لأسود العرين
أظافيرُ إلّا ابتغاء الظفر

ويقول أيضاً:-

أرأيت أسد الجزع بعد فريسِها
تعتام بالأظفار جزع ظِفَار

ويقول أيضاً:-

أليس هزبر الغاب وهو مملك
على الوحش يبغي الصيد بالناب والظفر

ويقول أيضاً:-

ولو لم يقدِّر خالق الليث فَرْسَه
لمطعمه لم يُعطه الناب والظفر

ويحذر أبو العلاء من الاستهانة بقيمة الصدقة وقدرها حتى ولو كانت في حجم الظفر:-

إذا أُتيتَ ملء يدٍ طعاماً
فأطعم من عراك ولو كظفر

بال الثعلبان على الصنم فحطمه غاوي!!

ولغاوي وتحطيم الصنم بعد أن بال عليه الثعلبان حكاية مأثورة تناقلتها كتب التراث وهي ما روي عن أبي حاتم الرازي أنه قال: كان لبني ثعلب صنم يعبدونه، فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدان فرفع كل منهم رجله وبال على الصنم. وكان للصنم سادن يقال له: غاوي بن ظالم، فقام إلى الصنم وخاطبه بهذه الأبيات:

لقد خاب قومٌ أمّلوك لشدة
أرادوا نزالاً أن تكون تُحاربُ

فلا أنت تغني عن أمور تواترت
ولا أنت دفّاع إذا حلّ نائب

أربّ يبول الثعلبان برأسه
لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

ثم كسره وأتى النبي ﷺ، فقال له النبي: «ما اسمك؟»، فقال: غاوي بن ظالم. قال عليه الصلاة والسلام: لا بل راشد بن عبد ربه».

وعلى لسان الثعلب نسج أصحاب الأقلام حكايات تصف الثعلب بالذكاء، والحكمة، والمهارة، والاحتيال، بأسلوب شائق كله طرافة وظرافة.. ـ فمما قيل عنه في الحيل: أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات. فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده.. وقيل أن حيلته هذه لا تتم على كلب الصيد...

ومن حِكَمِه أنه قيل له: ما بالك تعدو أكثر من الكلب؟ فقال:

لأني أعدو لنفسي والكلب يعدو لغيره.. ـ قال الجاحظ: ومن أشد سلاح الثعلب عندهم. الروغان والتماوت وسلاحه سلحه فإن سلحه، أنتن وألزج وأكثر من سلحه الحبارى.

وهناك حكايات مطولة بطلها الثعلب، لا يتسع لنقلها المجال وقد لفتت أنظار كثير من الشعراء فصاروا يضربون به المثل في الحنكة والحكمة والسياسة والدهاء، حتى في النذالة، قال الجاحظ: ـ وفي استنذاله وجبنه، قالت أم سالم لابنها مَعْمرا:

أرى مَعْمراً لا زيّن اللّه مَعْمراً
ولا زانه من زائر يتقربُ

أعاديتنا عاداك عزٌّ وذلة
كأنك في السربال إذ جئت ثعلبُ

فلم تَرَ عيني زائراً مثل معمر
أحقٌّ بأن يُجْنى عليه ويضرب

وفي السياسة والمراوغة قال أحدهم:ـ

خير الصديق هو الصدوق مقالة
وكذاك شرّهم الميون الأكذبُ[1]

فإذا غدوت له تريد نجازه
بالوعد راغ كما يروغ الثعلب

○○○○○

(١) الميون: على وزن فعول، من المين. وهو الكذب.

مبال الثعالب!!

وتذكر المعاجم تعريفاً للثعلب فتقول: ـ الثعلب والثعلبان: ذكر الثعالب. وجمع الثعلب: ثعالب واثعل ـ ومن أسماء الثعلب: الصَّيْدن. وحَبْتَر. والدرّان. والعَسَلّق. وتنغل. والأنثى: ثعلبة. وثعالة وثعال. وتسمى: ثرْملة. ويقال لولد الثعلب: الهجرس. والكُتَع. ومن كنى الثعلب: أبو حَنْبصَ، وأبو النجم، وأبو نوفل. وأشهرها: أبو الحصين. وتكنى الثعلبة: بأم عويل.

والثعلب بما ينسب إليه ـ من حيل وذكاء وحسن تصرف من بين الحيوانات يكاد يشبه جحا بما ينسب إليه من نكت وطرائف ونوادر. . . ـ ومن نماذج ما ينسب إلى الثعلب من حكايات طريفة قولهم: ـ قيل لثعلب: أتحمل كتاباً إلى الكلب وتأخذ مائة؟ قال: أما الكراء فوافٍ، ولكن الخطر عظيم.

ويحكى أنه وقع ثعلبان في شرك صياد. فقال أحدهما: يا أخي أين نلتقى؟ فقال: في دكان الوبار.

«الوبار هو الذي يستخلص الوبر من جلد الحيوان». . . ـ وزعموا أن الثعلب أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على أغصان تلك الشجرة حَتّها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر فتوجه الثعلب نحوه لأجل ماسمع من عظيم صوته. فلما أتاه وجده ضخماً فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه. فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال: لا أدري لعلّ أفشل الأشياء أجهرها صوتاً. وأعظمها جثة. . . ـ والحكايات التي تروى على لسان الثعلب أكثر من أن أحصرها في مثل هذا الموضوع. . . ـ وقد ضُرب المثل بالثعلب

فقيل: أروع من ثعلب. وقولهم للقوم الذين تقع بينهم العداوة والبغضاء: بالت عليهم الثعالب. أما الرجل الذي يستهان ويذل، فيقال له: ـ بالت عليه الثعالب ـ وهذا المثل يحقق أن مبال الثعالب من أحقر الأشياء.. وقد ورد في ذلك نصوص شعرية منها قول مزرّد بن ضرار:

وإنّ كناز اللحم من بكراتكم
تهرُّ عليها أمكم وتكالب

وليت الذي ألقى فناؤك رحله
لتُقريه بالت عليه الثعالب

ويقول عمرو بن الأهتم:

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر
من الود قد بالت عليه الثعالب

وأصبح باقي الود بيني وبينه
كأنه لم يكن والدهر فيه العجائب

ويقول دريد بن الصمة هاجياً:

إذا انتسبوا لم يعرفوا غير ثعلب
إليهم ومن شرّ السباع الثعالب

ويقول شاعر آخر، لم يذكر اسمه الجاحظ:

ما أعجب الدهر في تصرفه
والدهر لا تنقضي عجائبه

يبسط آمالنا فنبسطها
ودون آمالنا نوائبه

وكم رأينا في الدهر من أسد
بالت على رأسه ثعالبه

أيها الحاكمون بغير شرع الله

ونحن حينما ننظر بعين الاعتبار في الأحكام والقوانين الوضعية ونقارنها بشرائع الإسلام وحدوده، نجدها مقصرة ومختلفة وعاجزة عن استيعاب كثير من القضايا التي تستجدّ على حياة الناس فيحصل بذلك الاضطرار إلى إجراء التعديلات التي تشمل الحذف منها والإضافة إليها بصفة مستمرة.. لكنه على الرغم من ذلك العجز فإن هناك الكثير من الدول العربية المسلمة تحكم بتلك القوانين، وكأنه لا يوجد فيها علماء ضالعون في الفقه الإسلامي، أو كأن تطبيق الشريعة الإسلامية في دوائر القضاء وغيره مخالف لواقع الحياة وسلوك الإنسان.. الأمر الذي يحقق لنا أنه قد غاب عن أفهامهم نصوص الآيات القرآنية الكريمة التي تأمر الناس بتحكيم كتاب الله وسنّة رسوله فيما يختلفون فيه من أمور والتي منها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً ...﴾ [المائدة: ٤٨].

ثم أليس أن القانون السماوي الذي استقر في الأرض منذ ١٤ قرناً من الزمن، وعالج ويعالج قضايا الناس بالعدل قد صغرت بجانبه القوانين الوضعية.. بل قد عجزت عن مجاراته فيما يحيط به وما يحققه من رضا الأطراف المحاكمة إليه.. - والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا الموضوع هو: - هل تلك الدول التي تدين بالإسلام راضية بأن تكتفي من الإسلام باسمه وأن لا تأخذ إلّا بطرف منه فقط؟ الإجابة على ذلك لا تحتمل أي تعليق سوى القول بأن ضعف الإيمان قد أوجد لدى تلك الدول عدم القناعة والرضا بما جاء في الكتاب والسنّة،

ليس إلّا . . . ـ ولقد لفت هذا العناد أنظار أصحاب الأقلام والشعراء فقالوا رأيهم في ذلك لكنهم لم يجدوا أذناً صاغية. . ـ ومن النماذج الشعرية التي أعابت على المسلمين عدم تحكيم القرآن والسنّة في شؤون حياتهم وقضاياهم قصيدة للشاعر محمد الأسمر، التي منها قوله:ـ

أيـن حـكـم الـشـريـعـة الـغـراء
وقـوانـيـنُ أحـكـم الـحـكـمـاء

أين أحكامنا التي أنزل اللّه علينا من عرشه والسماء

قام في الـمـسـلـمـين شرع دخيـل
ومـضـى شـرعُ خـاتـم الأنـبـيـاء

ومنها قوله:ـ

نحن إن لم نعمل بما أنزل اللّه فدعوى الإسلام محض إدعاء

إنـمـا الـمـسـلـمـون بـالـعـمـل الـصا
لـح لا بـالـمـظـاهـر الـجـوفـاء

فـانـشـروا رايـة الـكـتـاب يـرفـرف
مـنـه فـوق الأنـام خـيـر لـواء

واسـتـعـيـدوا أمـجـادكـم وأعـيـدوا
عـهـد حـكـم الـنـبـي والـخـلـفـاء

وخـذوا بـالـكـتـاب فـي كـل شـيء
إن فـيـه حـقـائـق الأشـيـاء

○○○○○

لماذا سميت ليلى بهذا الاسم؟!!

ومن حيث أن لفظة «ليلى» كانت اسماً يستعار فقد نال شهرة واسعة من لدن القصاصين والشعراء. وحظي بموقع مرموق بين السطور المنثورة، والأبيات المنظومة. ولهذا قالوا: «كل على ليلاه يغني»، ومن هنا فإنه لا بد أن نعرف كيف كانت لفظة ليلى اسماً؟ ولماذا اشتهرت؟.

في «لسان العرب»: ليلة ليلاء وليلى: طويلة شديدة وصعبة. وقيل هي أشد ليالي الشهر ظلمة، وبه سميت المرأة ليلى، والجمع ليال. وليس ليالي ـ أقول ولعلهم بذك يريدون التعبير عن شدة سواد شعر المرأة الذي إذا جللها أصبحت كأنها قطعة من الليل الأليل ـ يقول ابن السكيت: يقال لليلة ثمان وعشرين: الدعجاء، ولليلة تسع وعشرين الدهماء، ولليلة الثلاثين. الليلاء، وذلك أظلمها.

وفي ناحيتنا في منطقة سدير الواقعة في قلب نجد في المملكة العربية السعودية يسألون المتزوج حديثاً من زوجة ثانية فيقولون: هل لايلت؟. أن هل جعلت لزوجتك الأولى ليلة وللثانية ليلة. ويحسبها الناس لغة عامية بينما هي لغة صحيحة. قال اللحياني: لايلته ملايلة وليالاً. استأجرته لليلة ـ وعامله ملايلة من الليل، كما يقولون مياومة من اليوم. . . ـ وأم ليلى: الخمر الأسود، ويقال للمضعّف والمحمّق: أبو ليلى.

أما ليلى التي شاع ذكرها في تاريخ الأدب وجنّ بحبها قيس بن الملوح بن مزاحم بن عُدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. . فهي ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقصة عشقهما يطول

شرحها وهي موجودة في كثير من كتب التراث. وفي ديوان «مجنون ليلى»، وقد نال بيت قيس بن الملوح «مجنون ليلى» الذي يقول فيه:ـ

يقولون ليلى بالعراق مريضة
فيا ليتني كنت الطبيب المداويا

شهرة ودرج على كل لسان عربي.. ـ والبيت من قصيدة تبلغ نحواً من ٣٠ بيتاً منها قوله:ـ

معذبتي لولاك ما كنت سائلاً
أدور على الأبواب في الناس عارياً

ومنها قوله:

فيا أهل ليلى كثّر اللّه فيكم
من امثالها حتى تجودوا بها ليا

ومنها قوله؛ وهو قبل البيت الشهور المتقدم ذكره:

ألا يا حمامات العراق أعنّني
على شجني وابكين مثل بكائيا

ومنها قوله:ـ

فيا رب إذ صيّرت ليلى هي المنى
فزني بعينيها كما زنتها ليا

وإلّا فبغضها إليّ وأهلها
فإني بليلى قد لقيت الدواهيا

يلومون قيساً بعد ما شفه الهوى
وبات يراعي النجم حيران باكياً

فيا عجبا ممن يلوم على الهوى
فتى دنفا أمسى من الصبر عاريا

تعبير حلم بالحروف الأبجدية

والكثير من الناس يعمد إلى العلماء حينما يرى في منامه رؤيا غير عادية يقص عليهم رؤياه ويلتمس عنده تفسيراً لها.

والكثير من العلماء يكون لهم استقراءات صائبة، وفطنة وذكاء يقرأون به ظاهر الرؤيا قراءة يستدلون بها على خلفيات أشياء ربما لا تكون من نوع الرؤيا ولا من شكلها، ولا من طبيعتها.

ونحن حينما نقرأ بعض تفاسير الأحلام التي عرضها أصحابها على مفسري الأحلام، نرى العجب والغرابة في أوجه تفسيراتها لها، تلك التفسيرات التي تحقق الواقع الذي فسروا به الحلم.

ومن غريب تفسيرات الأحلام. ذلك الحلم الذي فسره ابن سيرين ـ عميد المفسرين ـ بالحروف الأبجدية.. ونصّه: أن امرأة أتته فقالت: رأيت كأن سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ منه قطعة.. فقال ابن سيرين: ـ قد سرق لزوجك ثلاثمائة درهم وستة عشر درهماً. قالت: صدقت. فمن أين لك هذا؟ قال: من هجاء حروفه في حساب الجمل؛ فالسين؛ ستون؛. والنون؛ خمسون، والواو: ستة، والراء: مائتان، فصار المبلغ ثلاثمائة وستة عشر درهماً، فاتهموا عبداً كان في جوارهم فضربوه فأقرّ بالمال..

وللشعراء في السنور الذي فسر فعله الذي تضمنته الرؤيا المتقدم وصفها أقوال كثيرة منها قول أبو الشمقمق واسمه مروان بن محمد، المتوفى في حدود ١٨٠ من الهجرة من قصيدة له:ـ

وأقام السنور فيه بشرٍّ
يسأل اللّه ذا العلا والجلاله

أن يرى فأرة فلم ير شيئاً
ناكساً رأسه لطول الملاله

قلتُ لما رأيته ناكس الرأس
كئيباً يمشي على شرّ حاله

ويْك صبراً يا نازُ راس السنابيـ
ـير وعلّلتُه بحسن مقاله[1]

قال لا صبر لي وكيف مقامي
في قفار كمثل بيد تباله

قلتُ سِرْ راشداً فخارَ لك اللّه
ولا تعْدُ كُرْبُج البقاله[2]

فإذا ما سمعتَ أنّا بخير
في نعيم من عيشةٍ ومناله

فائتنا راشداً ولا تَعْدُنّا
إن من جاز رحلنا في ضلاله

○○○○○

(١) يقال أن ـ ناز ـ اسم السنور بالفارسية.
(٢) الكربج، والكربق ـ بضم الكاف وضم الباء ـ: الحانوت، وهو معرب وأصله بالفارسية ـ كربه ـ بضم الكاف.

أبو نواس وإبليس

تستبد النزعات الشيطانية ببعض الشعراء المتطرفين.. فتراهم على حرف من العقيدة إذ يخالج نفوسهم وأفكارهم اعتقاد بأن إبليس يكون خادماً لهم يجلب ما تشتهيه أنفسهم مقابل بعض التنازلات عن العبادات المفروضة عليهم والتي هي سياج للمؤمنين من وساوس إبليس اللعين..

والذين هم على حرف من العقيدة يكونون لاستجابة أنفسهم الغارقة في بحر الغواية التي يدعوهم إبليس إلى ممارستها، مدخلاً تنحرف منه عقولهم عن الطريق المستقيم ومنفذاً يحقق في سلوكياتهم ما يرضاه إبليس لهم.

وكثير من الذين طمعوا في أن تكون الغواية درباً يصلون منه إلى ما تهواه أنفسهم من أمور هي أبعد ما تكون من الدين الحنيف ومن الآداب الإسلامية. قد وقفوا معلنين إفلاسهم فلا هم نالوا ما تهواه أنفسهم. ولا في سبيل الرشاد الذي يحمل عى عصيان النفس قضوا.. فأصبحوا لا يملكون إلا مخاطبة إبليس وإلقاء اللوم عليه فيما منيوا به من خسارة وإفلاس... - بل إن منهم من هدد إبليس بالتوبة والأنابة إلى الله إن هو لم يحقق لهم مطالبهم وما تطمع فيه نفوسهم الغارقة في بحر المعاصي. والمحلقة في أجواء الانحلال والفساد.

ومن أولئك الذين هددوا إبليس بالرجوع إلى قراءة القرآن ولزوم الصلاة والصوم وعدم قول الشعر الذي يرضيه أو الاستماع إليه. الشاعر العباسي الحسن بن هاني «أبو نواس»، المولود عام ١٤٥هـ، والمتوفى سنة ١٩٩هـ، الذي يقول في إحدى قصائده المجونية:-

لما جفاني الحبيب. وامتنعت
عني الرسالات منه والخبر

اشتد شوقي فكاد يقتنلي
ذكرُ حبيبي والهم والفكر

دعوت إبليس. ثم قلت له
في خلوةٍ والدموع تنهمر

أما ترى كيف قد بُليتُ وقد
أقْرَحَ جفني البكاء والسهر

إنِ أنت لم تُلْق لي المودة في
صدر حبيبي وأنت مقتدر

لا قلت شعر ولا سمعت غنا
ولا جرى في مفاصلي السكر

ولا أزال القرآن.. أدرسه
أروح في درسه وأبتكر

وألزم الصوم والصلاة ولا
أزال دهري بالخير آتمر[1]

○○○○○

(١) وبعد هذا البيت يظهر اعترافه بخدمه إبليس له بقوله:
فما مضت بعد ذاك ثالثة حتى أتاني الحبيب يعتذر

سرقة الشعر!!

تدور هذه الأيام على صفحات الجرائد والمجلات اتهامات بسرقة الشعر وبعض الأعمال الأدبية. وقد استعظم بعض القراء هذا الاعتداء وقال: أنا لا أصدق أن إنساناً ينحل شعر غيره ويدعيه. ومع ظاهرة السطو على الشعر في عصرنا هذا أخذت في البحث عما إذا كان هناك سطو مماثل فيما تقدم من عصور، وأن واقع السطو في عصرنا هذا ما هو إلا امتداد لطبع السراق وعادة متوارثة. فوجدت كتب الأدب لا تخلو من الإشارة إلى ذلك.. كما وجدت بعض الشعراء قد ضمّنوا دواوينهم قصائد تظلمية من سرقة أشعارهم.

أما قلم الناقد فلم يغفل هذا الجانب؛ بل كان له نشاط في عرض هذه الصورة المزرية. وقد كشف تتبعهم لأساليب الانتحال عن وجود كثير من السرقات لدى كبار الشعراء. فقد تحقق أنهم لا يبالون في أخذ المعنى الذي سُبقوا إليه. بل إنهم يسطون على صدر البيت أو عجزه أو كله في بعض الحالات.. ـ وقد كان للمتنبي حظاً وافراً من متابعة البحث عن سرقاته.. ـ أما السري الرفاء، واسمه أبو الحسن السري أحمد بن السري الكندي الرفاء الموصلي، المولود في السنوات العشر الأولى من القرن الرابع الهجري، والمتوفى ببغداد سنة ٣٦٩هـ، فقد كان من بين أولئك الشعراء الذين سُرقت أشعارهم واستخدمت في الإساءة إليه عند الوجهاء والأمراء والأعيان.. ـ فالخلديان على حد تعبيره هما أكثر من سطا على شعره وناصبه العداء عند الأمراء.. ولما لم يجد من يسمع لشكواه ضدهما ترك العراق لهم ومضى إلى الشام. وهناك أخذ في بث تظلمه من سرقتهما

لشعره. فهو يقول من قصيدة له يمدح بها الأمير أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة:ـ

أشكو إليك حليفيْ غاره شهر
سيف الشقاق على ديباج أشعاري

ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم
لمزقاه بأنياب وأظفار

سلّا عليه سيوف البغي مصلتة
في جحفل من شنيع الظلم جرّار

وأرخصاه فقل في العطر ممتهنا
لديهما يشترى من غير عطار

لطائم المسك والكافور نافحة
منه ومنتخب الهندي والغار

ومنها قوله:

وما رأى الناسُ سبياً مثل سبيهما
بيعت نفيسته ظلماً بدينار

إذا كساك ثياب المدح سالبُها
يوماً فإنك أنت المكتسي العاري

واللّه ما مدحا حيّاً ولا رثيا
ميتاً ولا افتخرا إلا بإشعاري

ооооо

أماكن المكاسب واختلاف وجوه الاكتساب

في بعض الأحيان يقف المرء الذي تمتد رؤاه إلى مواقع المكاسب ووجوه الاكتساب وجمع المال وتثميره، حائراً لا يدري إلى أي جهة يتجه ليمارس نشاطه التجاري أو الحرفي الذي يحقق له لقمة العيش برخاء وأمن واستقرار.

والحقيقة أنه ليس كل بلد يكون مناخاً ملائماً يضمن رغد العيش لمن يعيش فوق ترابه وتحت سمائه.. ومن هذا المنطلق قالوا: ـ «بلدك التي ترزق فيها لا التي تولد فيها». فكم من مدينة تعج بالحركة والنشاط لكنك تجد من بين سكانها من يتضور جوعاً.. وكم من بلد مقحط تضعف فيه الحركة ويخيم عليه الخمول، تجد من بين أهله تجاراً وأصحاب رؤوس أموال.

... ـ وهذا النمط الحياني المتلون، والمختلف في شكله، قد أوجد حركة تنقلية بين الناس من مكان إلى آخر.

وهذه الظاهرة المكانية قد أشار إليها بعض الحكماء والشعراء في أقوالهم ومن أولئك الذين لم يغفلوا عن الإشارة إلى ذلك، رهين المحبسين أبو العلاء المعري... ـ وذلك في قوله من قصيدة له عنوانها: «مل عن بني حواء»:

أرى كَفْرَ طابٍ أعجز الماء حَفْرَها

وبالِسَ أغناها الفُرات عن الحفِر[1]

---

(١) كفر طاب وبالس، من قرى الشام.

كذلك مجرى الرزق وادٍ بلا ندًى
ووادٍ به فيضٌ وآخر ذو جَفْر

خبرتُ البرايا والتصعلك والغنى
وخفض الحشايا والوجيف مع السّفر(١)

فأطيبُ أرض اللّه ما قل أهلُهُ
ولم ينأ فيه القوتُ عن يدك السّفر(٢)

يعاني مقيم بالعراق. وفارس
وبالشام ما لم يلقه ساكن القفر

فمل عن بني حواء من نسل آدم
لتنزل بين الحُوّ والأُدْمِ والعفر(٣)

ولا بد في دنياك من نصب لها
وهل وضعَ الأثقال دهرُك عن شفر(٤)

أليس هزبرُ الغاب وهو مُمَلّكٌ
على الوحش يبغي الصيد بالناب والظفر

○○○○○

---

(١) الخفض: اللين. الحشايا: الفرس.. الوجيف: السير السريع. السَّفُر: المسافرون.
(٢) السّفر: السافرة الظاهرة، وهو نعت بالمصدر.
(٣) الحو. والأدم، والعفر: نعت للظباء المضمرة.
(٤) النصب: التعب. الشفر: الظهر.

حسرة الفراق!!

ولقد تقاسم بعض الشعراء حسرة الفراق ـ فراق الأحبة ـ وباح أكثرهم بما ناله من قسط من تلك الحسرة.. ورسم من خلال بوحه صورة الفراق في قصيدة لوّنها بمشاعر الحسرة التي تخالج نفسه لحظة الوداع التي فرضتها عليه الظروف وألزمته بتطبيقها.

ولكثرة الذين شكوا ألم الفراق.. رأيت أن أقصر الإشارة في هذا الموضوع على شاعرين من الشعراء الذين ذاقوا حسرة الفراق واكتووا بناره. ـ والشاعران هما:ـ

ابن زريق، واسمه أبو الحسن علي بن زريق البغدادي. وقد تقدم ذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب، تحت عنوان: «ابن زريق.. وقصيدته.. لا تعذليه»، وأشرت إلى موقفه الصعب الذي وقفه أمام زوجته وهو يودعها قاصداً أبا الخير عبد الرحمٰن الأندلسي بالأندلس، وإلى القصيدة وما دار حولها من تساؤلات عن زمن إنشائه لها هل هو عند توديعه ابنة عمه وهي زوجته أم أنه قالها في الأندلس، والتي منها قوله:ـ

أستودع الله في بغداد لي قمراً
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

أما الشاعر الثاني فهو أبو الحسن علي بن محمد التهامي، المولود بمكة المكرمة في حدود عام ٣٦٠هـ، والمقتول في القاهرة عام ٤١٦هـ.. والذي باح بتحسره على فراق محبوبته التي استودعها في أرض الحجاز ومضى في سبيله لطلب الرزق، مخلفاً صدى ذكرياته وألم



فراقه في قصيدة ذات قافية مؤثرة، وجرس موسيقي بديع، وقد استهلها بقوله:

صبٌّ نأى فأفاعي البين تلسعه
وليس عند ذوي الآلاء تنفعهُ

مشرقٌ شَقَّ عنه ثوب سلوته
حزناً فأضحى سليباً منه مَتْرَعُهُ

في كل يوم له من فرط لوعته
جنّيةٌ في رضى الأحباب تصرعه

ومنها قوله:

أستودع اللّه في أرض الحجاز رشاً
في روضة القلب مأواه ومرتعه

أن يفطم الدهر قلبي من تعذبه
فللصبابة ثدي راح يرضعه

وقوله:ـ

عسى الليالي بأوطاني التي سلفت
يرجعن فيه رجوع لا نودّعه

وقوله لمن لامه على البوح بتوجعه وتفجعه، وتحسره:

ولائم لامني جهلاً فقلت له
لي في الصبابة عُذْرٌ لستَ تدفعه

○ ○ ○ ○ ○

من الدعاة المضللين للحداثة..

أدونيس ويوسف الخال ومجلته «شعر»!!

يمضي أصحاب الشعر المنثور في التطاول على القصيدة العربية الأصيلة. مضياً يصحبه الحقد على القصيدة العربية والسخرية بصانعها.. ـ لكن الذي يهون الأمر أنا عندما نقرأ شعرهم المستورد بلهجته ورمزيته وأسلوبه.. نجد مفرداته خالية من طعم البلاغة.. ومتجرد شكله من شكل القصيدة العربية ذات القافية المنغمة التي تطرب القارئ وتصغي لها أذن السامع، فهو بشكله القبيح ضائع بين أسطر النثر وأبيات القصيدة المقفاة.

والحفنة التي أخذت تصنع ذلك الذي يسمونه الشعر المنثور أو الحر، لا نشك في أنها مأجورة على انتهاج هذا النهج الشعري من قبل أعداء اللغة العربية الذين يريدون أن يطعنوا اللغة العربية بألسنة عربية ليكون ذلك أبلغ وأنكى للجرح. والدليل القاطع على ذلك هو أن المجلات والإصدارات التي تنشأ لتقوم بخدمة الشعر المنثور أو الحر وترويجه، لا يطول عمرها فهي سرعان ما تختفي وذلك بمجرد تقاعس الممولون لها من الذين لهم اهتمام بطمس معالم الأدب العربي وتراثه المجيد.

وفي موضوع تقدم في هذا الجزء عنوانه: «الغرور بالشعر المنثور»، ذكرت بعض الأسماء التي كانت غارقة في خدمة دعاة هدم اللغة العربية عن طريق ترويج الشعر المنثور أو الحر كما يسمونه.. وفي هذا الموضوع أضيف ما يؤيد هذه الحقيقة. فأمل دنقل، ويوسف الخال رئيس تحرير مجلة «شعر» التي لا تقلّ عن مجلة «الفنون» باحتضانها لشعر الحداثة أو ما يسمى بالشعر الحر.. يقول في أحد أعدادها: ـ

اللغة العربية تحول دون الحداثة والإبداع؛ لأنها لغة قديمة وميتة ـ أما يخاف هذا الدخيل ويستحي من القول بأن لغة القرآن ميتة؟!! فقبحاً لمنطقه هذا وتباً له.. أما أدونيس فهو يشن حرباً شعواء على التراث ويدعو إلى الانفصال عنه؛ فبعداً له.

وبعد هذا ما لنا إلّا أن نلتمس ما يطربنا من قول صادق في تحقير الشعر المنثور وأصحابه، من الشاعر أحمد الصافي النجفي الذي يقول من قصيدة له بهذا الخصوص:ـ

يا مالئين الدنيا ضلالا
أفسدتم الحال والمآلا

أنغام أشعاركم نشاز
تورث أسماعنا الكلالا

بينا يُرى السمع في وهاد
إذا به يصعد الجبالا

لا غرو أن تقبلوا نشازا
فذوقكم يشتكي اعتلالا

الحمد لله إذ خرجتم
من شعرنا فاستراح بالا

كنتم على روحه ثقالا
كنتم على صدره جبالا

جئتم وباءً مما أصبتم
إلا الذي يشتكي الهزالا

والشعر باق كما عهدنا
والحقّ سبحانه تعالى

لأمر ما يذم الشاعر شعره!!

وعندما نرى الشاعر المفوّه يذم شعره. فإن وراء هذا ما وراءه من دواعي الذم.

والبحث عن المواطن الشعرية التي يظن أنها مدعاة للذم قد لا يظهر للقارئ العادي، لأن القارئ العادي لا يفسر ذلك الذم على أنه منطق فلسفي لا بد من معرفة حقيقته في معاني الشعر وأهدافه لا في مبانيه وأوزانه أو بديعه وبلاغته؛ لأن هذه الأشياء لا يتخلى عنها الشاعر البارز في ميدان الشعر إذ أنه لا يأتي في جده وهزله بغير ما هو بليغ وبديع.

وحتى لا أطيل في بسط معرفة فلسفة الشاعر في ذم شعره، أقول: إن البحث في واقع الشعر المذموم وطبيعته لا كلماته ولغته يدلنا على أن الشاعر الذي ذم شعره لم يذمه إلّا لأنه شعر ركب فيه موجة الخلاعة والمجون، وسبح في بحر الألفاظ المبتذلة، وتفنن في تصوير كل ساقط حيناً من الزمن.. ثم عدل عن ذلك فرأى ركاماً من القصائد فيها من البديع والبلاغة والبيان ما فيها إلّا أنها تعبير عن فسق وتحبيذ لأثم. ودعوة إلى المعصية، وافتخار بالمجون. فلا يملك حينها إلّا ذم شعره، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه يحتمل أن الشاعر إذا كان مسلماً حقيقياً، فإنه يذم جميع ما قاله من شعر لم يوظفه في مجال الحث على الإصلاح الاجتماعي. والدعوة الإسلامية، وما إلى ذلك مما له أثر نافع في حياة الناس.. وقد تكون حصيلة أشعار بعض الشعراء قصائد من الهجاء المقذع فيلزم على قولها ندامة لا يجبرها إلّا ذمه...

ـ ومن الشعراء الذين ذموا وبشدة شعرهم الشاعر الماجن السليط اللسان أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد الحجاج، المتوفى يوم الثلاثاء ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٣٩١هـ، حيث يقول:ـ

بـالـلّـه يـا أحـمـد بـن عـمـرو
تـعـرف لـلـنـاس مـثـل شـعـري؟

شـعـر يـفـيـض الـكـنـيـف مـنـه
مـن جـانـبـيْ خـاطـري ونـحـري

نـسـيـمـه مـنـتـن الـمـعـانـي
كـأنـه فـلـتـة بـحـجـر

لـو جـدّ شـعـري رأيـت فـيـه
كـواكـب الـلـيـل كـيـف تـسـري

وإنـمـا هـزلـه مـجـون
يـمـشـي بـه فـي الـمـعـاش أمـري

وكيف لا يذم الحجاج شعره، وهذه الأبيات التي وصف به حظه من أفضله.

فـقـدت بـخـتـي إنـه
مـا زال بـخـتـاً قـذِراً

لـو كـان شـيـئـاً نـاطـقـاً
لـكـان شـيـخـاً أبـخـرا

مـن حـيـث مـا درت بـه
لـطّـخ وجـهـي بـالـخـرا

○○○○○

علاقة الناس بالناس!

وارتباط الناس بعضهم ببعض يختلف من مجتمع إلى آخر.. ونوع الارتباط يختلف أيضاً في مفهومه عند فئة وأخرى من الناس.. - فهناك علاقة تقوم على المنفعة كالتقايض بالأشياء والبيع والشراء، والأخذ والعطاء والتعامل التجاري بشتى أنواعه.. وهذه العلاقة منها ما يتحول إلى صداقة وإخاء إذا صحت الأمانة وحسن الخلق، وصدقت المعاملة بين المتعاملين، وحمد كل منهما صاحبه على حسن خصاله واستقامته وجميل صنعه.

ومنها ما يقوم على تبادل الاحترام بين المتجاورين.

ومنها ما يقوم على تجانس النوايا التي تكشفها المشاركة في العمل أو الرفقة في السفر أو ما إلى ذلك من عوامل المصاحبة.

أما قمة الروابط التي تربط الناس بعضهم ببعض، فهي ما كانت قائمة على مفهوم عقيدي وعلى تعاليم الدين الإسلامي الذي من مبادئه تنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان الآخر.

أما فرضية تعامل الناس وتوافقهم على المعايشة وتسيير الحياة فلها دور كبير. بل هي المحور الأساسي لخدمة بعضهم بعضاً.

وحول هذا المفهوم الاجتماعي الذي يشكل واقعاً يقرر أن الإنسان اجتماعي بطبعه. أنشأ أحد الشعراء قصيدة طويلة، منها قوله:-

يعيش الناس في حال اجتماع

فتحدث بينهم طرق انتفاع





وتكثر للتعاون والتفادي
على الأيام بينهم الدواعي
رأيت الناس كالبنيان يسمو
فيمنع جانبيه من التداعي
قد اشتبكت مصالحهم فكل
لكل في مجال العيش ساع
ولولا سعي بعضهم لبعض
لعاشوا عيش عادية السباع
يساند بعضهم في العيش بعضاً
مساند ارتفاع وانتفاع
فتعلو في ديارهم المباني
وتخصب في بلادهم المراعي
بذاك قضى اجتماع الناس لما
أن اعتصموا بحبل الاجتماع

○○○○○

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾

والكتابة عن الفناء وحتمية الموت لا تأتي بجديد بقدر ما هي تسجيل معنى مفهوم. وحقيقة ثابتة بأساليب مختلفة بحسب اختلاف قوة التعبير الإنشائي من كاتب إلى آخر.

ومهما يكن من أسلوب يقصد به الإشارة إلى أخذ الاحتياطات ضد الموت فإن الآية الكريمة تأتي الشاهد الصادق على أن الموت آت على كل حي. كيف لا وفيها قوله تبارك وتعالى: ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أما الآية الأخرى فقد خاطبت أصحاب العقول الذين يدرأون عن أنفسهم بعض الضرر.. بأن الموت مدركهم ولو توقّوه وشيّدوا بروجاً لحماية أنفسهم من وقوعه بهم. قال تعالى في تلك الآية الكريمة: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ ...﴾ الآية [النساء: ٧٨].

والشعراء يستمدون في كثير من تجلياتهم بعضاً من حقائق القرآن، ويضمنونها أشعارهم أو يستوحون منها أسلوباً توجيهياً يتخذونه مادة لبناء بعض قصائدهم.

والشاعر أبو العلاء المعري الذي نراه في بعض قصائده ومقطعاته يتنقل بين طرفي نقيض، أحدهما يكون فيه شكوكياً يكثر فيه التوهم والاستغراب والمعارضة، وفي الآخر يكون موحدياً يأخذ بأسلوب القرآن ما يقوي به بناء قصيدته.. وذلك مثل قوله من قصيدته التي عنوانها: «قوت الأرض»:

كم بالمدينة من غريب نازل
لا ضابئٌ منهم ولا قبّارُ

أما الذين تدبّروا فتحمّلوا
وتخلفت بعد القطين. ديار

سار الزمان بهم إلى أحداثهم
وكذا الزمان بأهله سيار

كن حيث شئت بلجة أو ربوة
أو وهدة سينا لك التيار

ومنها قوله:-

والأرض تقتات الجسوم كأنما
هذا الحِمامُ لتربها ميّار

وله أيضاً من قصيدة عنوانها: «الحياة سفر»:-

تطول الليالي والزمان وتنبري
حوادث لا تبقي على ظهرها شفرا[1]

ولا ريب في مهوى الرفيع إلى الثرى
ولو أنه جارى السماكين والغفرا

ولو أن أبراج السماء بروجه
لبُدّل منه غير ممتنع جفرا[2]

○ ○ ○ ○ ○

(١) الشفر أصل منبت شعر الجفن.

(٢) الجفر: البئر.

الظِّفْــر!

في موضوع تقدم في هذا الجزء عنوانه: «الظفر الطويل.. معتقد، وسلاح»، أشرت إلى أن تطويل الظفر معتقد لفرقة من الفرق المتعددة المذاهب في الهند..

أما في هذا الموضوع الذي جرّني إليه البحث عن شواهد من الشعر للموضوع المتقدم، فإني سألقي نظرة على تفنن بعض الشعراء في توظيف لفظة «الظفر» في أشعارهم، وكيفية استخدامهم لها في المواضع المناسبة!.

فابن سناء الملك وهو.. القاضي السعيد عز الدين أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد، المتوفى سنة ٦٠٨هـ، يقول في مجال الغزل ممجداً لتلك التغزل بها:

وما رضيت سواد الليالي ضفائراً
عليها ولا أن الهلال لها ظفر

أما ابن المقرب، واسمه جمال الدين علي بن المقرب العيني، المولود عام ٥٧٢هـ، والمتوفى سنة ٦٢٩، فيقول من قصيدة يمدح بها الأمير علي بن ماجد بن محمد بن علي أمير الأحساء:

فتى لو لليث الغاب بأسٌ كبأسه
لأغناه عن ناب حديدٍ وعن ظُفْر

ويبالغ الحسن بن هاني «أبو نواس»، المولود سنة ١٤٥، والمتوفى سنة ١٩٩هـ تقريباً، في نفي ذلك الذي يدعى أنه من سليم بأنه ليس فيه منها ما يعادل قصاصة ظفر، وذلك بقوله:

قل لمن يدّعي سُلما سفاها
لسْتَ منها ولا قلامة ظفر

ويقول ابن دراج القسطلي واسمه أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن سليمان بن دراج وكنيته أبو عمر المولود سنة ٣٤٧ والمتوفى سنة ٤٢١هـ، في قصيدة يصف فيها جيش أبي الحكم منذر بن يحيى التجيبي:

وكم أقدموا بين المنايا كما هوت
فرائسُ أُسدِ الغاب للناب والظفر

يقول أبو الحسن علي بن محمد التهامي المولود بمكة في حدود ٣٦٠هـ، والمقتول بالقاهرة عام ٤١٦هـ، من قصيدة يمدح بها حسان بن مفرج بن الجراح.

يلبيه من آل المفرج إن دعا
أسود لها بيض السيوف أظافر

وله أيضاً من قصيدة طويلة رثى بها ابنه:

وشبل رجونا أن يكون غضنفراً
فمات ولم يجرح بناب ولا ظفر

وله أيضاً يمتدح الشريف محمد بن الحسين النصبي قاضي دمشق:

له قلم ساس الأقاليم كلها
فقلّم دون المجد كل شبا ظفر

ويصف الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي السياسة بالحية ذات السم، وبالذئب في نابه وظفره:

فيها من الرقطاء ناقع سمّها
ولها نيوب الذئب والأظفار

من أماني أبي العلاء وتمنياته

ولأبي العلاء المعري تمنيات مختلفة في شتى وجوه الحياة. ولهذا يصعب حصرها هنا. بل ويتعذر التعليق على ما يهدف إليه في كل أمنية قد أدرجها في عرض قصائده التي ضمنها ديوانه «لزوميات أبي العلاء»؛ لأن عامل الفلسفة كان محوراً لكثير منها... ـ ولكن وحتى لا نترك الاستشراف على أسلوبه في بعض تمنياته. أرى أن نقف على شي مما جاء في قصائده المقفاة بحرف ـ الراء ـ فقط؛ لأننا لو أردنا أن نتتبع بالتعليق والدراسة ما جاء في قصائده من تمنيات لاستخرجنا سفراً ضخماً.. ولكن في بعض ما جاء في قافية الراء ما يكفي على الاستدلال بتلون وتنوع أمنياته، وتفنن أمانيه:

يقول مخاطباً أم طفل نشأ بائساً قد عبست الدنيا في وجهه:

ولدْتِ يا أمُّ طفلاً شب في عنتٍ
فليت كشحك عن ذاك الجنين بُقِرْ

ويعلن عدم رضاه عن الحياة وذلك بتمنيه أنه لم يكن إنساناً، وإنما حجراً أو طائراً يغدو من وكره إذا انشق نور الصبح ويعود إذا جنّ عليه الليل.

فيا ليتني حجرٌ لا يحسُّ
بالخطب. أو طائر ما احتكر

إذا ما أنار صباح غدَا
وإن جنّ ليل عليه وكر



ويتمنى أبو العلاء المعري للرجل الذي له مقام في قومه أن لا يموت أبداً، وأن يتجدد عمره كلما هرم ليعود شاباً كما يتجدد البدر من الهلال.

فليت الفتى كالبدر جُدّد عمره
يعود هلالاً كلما فنيَ الشهر

ويذكّر الناس بمسؤوليتهم عن وجودهم في الحياة وما هو مطلوب منهم عمله، ويبعد المتقاعسين عن أداء ما كلّفوا به وجه الشبه بالنبات الطيب.

وما أنتم بالنبات الحميد
ولا بالنخيل ولا بالعشر(١)

وإنما يشبهم بالنبات المؤذي، وبالليل المظلم الذي يرجى طلوع صباحه.

ولكن قتاد عديم الحياة
كثير الأذاة. أبى غيرَ شرّ

وليلكم أبداً مظلم
فهل ترقبون صباحاً جشر(٢)

كل هذا القول في الناس، تمهيداً ليتمنى أنه مغيب بالثرى ومنفصل عنهم حتى يوم الحشر.

فيا ليتني في الثرى لا أقوم
إنِ اللّهُ نادكُمُ أو حشر

---

(١) العشر: نوع من الشجر لا تأكله الماشية.

(٢) جشر الصباح: أي طلع.

ابن خميس يداعب القصيبي.. والقصيبي يرد!!

وإذا وقعت المداعبة الشعرية بين شاعرن قديرين. فإنها تأتي بأدب رفيع وتخلف حكايات ممتعة عامرة بصدق التعبير.. - ولا أريد هنا أن أسوق أمثلة من الماضي وفي حاضرنا ما يفي بالتدليل على حسن المداعبة بين الشعراء.. فقد كان لابن خميس وهو شاعر سعودي وكاتب وأديب ومؤلف، واسمه عبد الله بن محمد بن خميس.. لا زال على قيد الحياة أثناء كتابتي هذا الموضوع في غرة محرّم ١٤١٣هـ، مزرعة في وادي بن عمار - العمارية، وهو قريب من الدرعية ولم يصل إليها الكهرباء من مدينة الرياض. فداعب الدكتور غازي عبد الرحمٰن القصيبي يوم كان وزيراً للصناعة والكهرباء. ومن هو الدكتور القصيبي إنه الشاعر والكاتب الحاذق والأديب البارع صاحب المؤلفات والدواوين الشعرية. وكانت مداعبة ابن خميس للقصيبي في أبيات من الشعر على أمل أن تكون وسيلة لاهتمام القصيبي بجلب الكهرباء إلى العمار، وما حوله من مزارع وقرى، فصنع ثلاثة عشر بيتاً استهلّها بقوله:-

على - الذبالة - و(الفانوس) و(الغازي)
عيشي ظلامَكِ حتى يأذن (الغازي)

ومنها قوله:-

وإن سألت لماذا ظل في غلس
(وادي ابن عمار) هزّ الراس كالهازي

أظل فيه بلا نورٍ يؤانسني
وفي حنادسه عطلتُ تلفازي

ويختمها بقوله:

أيشفع الشعر يا (غازي) أشفعه
أم رقية الشعر لا تجدي لدى غازي؟

وقد رد معالي الدكتور غازي القصيبي بأبيات على وزنها وقافيها وأسلوبها الدعابي بلغت عشرين بيتاً، صدّرها بقولها:

أوعزتُ للقوم حتى كل إيعازي
وقلت لا تتركوا صحبي على (الجاز)

وقلت هذا (خميس) الشعر جاءكم
يحدو (الشوارد) لم تهمز بمهماز

ومنها قوله:

لا ترجعوا هذه الأشعار خائبة
مدفونة بين أعذار وألغاز

ويختمها بقوله:

النور في الشعر لا الماطور منبعه
يعنيك شعرك عن «فولت» وعن «فاز»

والقصيدتين قد أوردهما عبد الله بن خميس كاملتين في ديوانه «على ربى اليمامة».

○○○○○

الشاعر القديم وفّى والمعاصر قصر!!

والأوائل من الشعراء رسموا لوحات لواقع حياتهم الاجتماعية، وصوروا كل ما دقّ وجلّ فيها من الأشياء فخلفوا لنا بذلك أدباً أصيلاً. أحالته السنون إلى تراث يتجدد بتجدد قراءتنا له.

أما المعاصرون من الشعراء، فإنهم يلهثون وراء العبارة التي يصفونها بالتجديد فشغلوا بالبحث عنها انشغالاً أهملوا به تصوير حياتنا وما يجب أن نخلفه لمن يعقبنا من الأجيال ليقولوا عنه: هذا تراث آبائنا. كما نقوله نحن الآن عما خلّفه أسلافنا لنا.

أما وضوح الصورة وفنية رسمها عند السلف، فإنها تتمثل في الشمولية، حيث لم يهملوا ذكر أو وصف أي جانب من جوانب الحياة مهما قلّت أهميته أو كبر شأنه، خاصة عند الشعراء منهم. فقد ذكروا جميع وسائل نقلهم، ووصفوا حياتهم التعاملية مع الطبيعة بكل ما فيها من حيوان ونبات... ـ وإنك لتقرأ في كتب التراث الأدبي فتجد أنهم قد وصفوا الأشجار، والثمار، والأزهار، وذكروا البحار، والجبال، والرمال، ووصفوا السيف، والرمح، والجمل، والأسد، والحصان، والثعلب، والبغل، والحمار، وكل ما لهم علاقة به مما يؤكل أو يشرب أو يركب. وجاؤوا فيما قالوه بالسهل الممتنع.

ـ أما شعراء عصرنا فقد غرقوا فيما يسمونه ببحر التجديد.. وما جاءوا بجديد، وإنما أعيتهم صنعة القدامى وفشلوا في تصوير حاضرنا تصويراً أدبياً، يبقى مادة تراثية فيما بعد.. غير أن القليل بل القليل جداً منهم هم الذين حاولوا وصف بعض ما نعايشه من مخترعات.. فوصفوا

مثلاً الطائرة بشكلها وهيكلها دون التعبير عن تكنولوجية صنع إجزائها أو قوة دفعها. وإنما شبهوها بالطائر، وكذلك الشأن في السيارة وغير ذلك مما هو بين أيدينا من مخترعات وأجهزة صوتية وغيرها مما يعمل ذاتياً في المطبخ والمكتب.. ـ ولعل أحداً من الناس يقول: إنما ذلك تقصير لا قصور من شعراء عصرنا. فأقول له: جئني بواحد وقف أمام سيارة، كما وقف الشاعر القديم أمام حصانه ووصف جميع أجزاء جسمه بعد أن ذكر قوته وسرعته وأدبه وأخلاقه.. وكذلك منه إذا وقف أمام وحش بري أو بحري فإنه يوفيه وصفه.. اسمع أبا حيان الأندلسي، واسمه محمد بن يوسف بن علي وهو يصف تمساحاً في قصيدة طويلة مملوءة بالمعلومات عن صفة التمساح وطباعه، منها قوله:

لـه ذنـبٌ مُـرْخـى طـويـل يـقـيـمـه
يلف به من كان في الناس يفقدُ

وأسـنـانـه أنْـثَـى عـلـى ذكـر أتـت
لكسر العظام الصُّلب منها تفقّد

ويـحـضـر فـي رمـل ويـدفـن بـيـضـه
يـعـاهـدهـا رغـبـاً إلـى حـيـن تُـولـدُ

ولا تـعـمـل الأسـيـاف فـيـه كـأنـمـا
عـلـى جـلـده مـنـه صـفـيـح مُـسَـرّد

ويدل الشاعر المناطق التي يصاب بمقتله. وذلك بقوله:ـ

ولـكـن تـحـت الإبـط لـيّـن جـلـدة
فـمـنـهـا الـمـنـايـا دونـه تـتـصـعـد

ويبيّن شيئاً من المعلومات المجهولة في صفة التمساح فيقول:

ولـيـس لـه دبـر فـيـخـرج نـجـوه
ولـكـن إلـى حـلـقـومـه يـتـردد

فـيـفـتـح فـاه ثـم يـدخـل طـائـر
فـيـلـفـظ مـا قـد كـان فـيـه تـدوّدُ

فـإن رام إطـبـاقـاً عـلـيـه فـإنـه
يكون لسقف الحلق بالريش يَفْصُدُ

○○○○○

الطرد والعكس

تستوقف القارئ بعض الأفكار التي يأتي بها بعض الشعراء الذين يحرصون على تنويع إنتاجهم الشعري، وجعله روضة ذات أزهار متعددة وألوان متنوعة وروائح مختلفة ولهذا نجد في بعض الدواوين الشعرية قصائد ومقطعات ذات مفهوم خاص، وذلك كأن تكون موقوفة على أسلوب التعمية، وإظهار المقدرة والمهارة في جانب يتمثل في تعريتها من حرف أو حرفين من الحروف الهجائية، أو ما إلى ذلك مما يكون له فارق في الأسلوب، وميزة عن الشعر العادي المعروف.

ـ قرأت في إحدى مقامات الحريري التي سمّها بـ «المقامة المغربية» ونهج فيها نهجاً تمثل في إيراد عبارات تقرأ طرداً ـ أي لا يغير من قراءتها أو معناها، عكس حروفها ـ وذلك كقوله: ساكب كأس، وقوله: لُمْ أخا مَلّ.

والمناسبة تذكرني بما قرأته مما جاءت فيه إشارة إلى أن هناك آية قرآنية ينسحب عليها اللون الطردي، وهي قوله تعالى في سورة المدثر آية ٣: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾.

وأعود إلى مقامة الحريري سالفة الذكر لأنقل بعضاً مما تضمنته من أشعار تقرأ طرداً، وذلك مثل قوله:

أُسْ أرمـــــلاً إذا عـــــرا

وارع إذا الــــمــــرء أســـا[1]

(١) أس: أعط الأرمل الذي نفد زاده وافتقر. وعرا: أتى طالباً للرفد. أسا: من الإساءة.

أسْنِدْ أخا نباهةٍ
ابِنْ إخاءً دنسا[1]

أُسْلُ جنابَ غاشم
مشاغب إن جلسا

أُسْرُ إذا هبّ مِراً
وارم به إذا رسا[2]

أسكنْ تقوّ فعسى
يسعفُ وقتٌ نكسا

أما بعض الهجائين من الشعراء، فإنه يلجأ في بعض الأحيان إلى أن يجعل مفهوم عكس الكلمات في أسلوب هجائه ما يريده من وصف للشخص الذي يتناوله بهجائه. من ذلك ما قرأته لأبي الحجاج، في كتاب «نزهة الأبصار في محاسن الأشعار» لشهاب الدين العتابي:-

حقيق بك أن تطعم
عفصا وهو معكوس

وإن تلبس حشاك الذي
معكوسه طوس

فهذا لك مطعوم
وهذا لك ملبوس

○○○○○

(١) أسند أعن وأرفع. ابن: أبعد وأقطع. دنس: من التدنيس.
(٢) أسر: كن سرياً أي سيداً. مرا: جدال.

من هو ابن سودون
الذي ملأ الدنيا بشعره الضاحك؟!!

إن لم تخني الذاكرة. فإنه قد مرّ بنا ذكر ابن سودون في موضوع فكاهي في أحد الأجزاء السابقة، لكنه ذكر متمثل في الإشارة إليه عند الاستشهاد بشيء من شعره.. لكنني وبعد أن قرأت موضوعاً يتصف بالدراسة والبحث في شخصية ابن سودون وترجمة لحياته بقلم عبد الغني العطري، أرى أن ألخص من ذلك البحث ما يمكن أن يعرف به قارئي العزيز شيئاً عن حياة ابن سودون بصفة عامة..

فابن سودون هو أبو الحسن علي نور الدين بن سودون اليشبغاوي، ولد بالقاهرة سنة ٨١٠ للهجرة، وهو شاعر ساخر يضمّن الفكاهة والنادرة والسخرية في أبيات شعرية. وقد قيل عنه أنه من رجال الفكر الذي كان لهم باع طويل في ميدان الفكاهة والسخرية. وقد عمل إماماً في بعض مساجد القاهرة؛ ثم انتقل إلى دمشق وعمل فيها صاحب خيال الظل الذي تسميه العامة «كره كوز»، ومات فيها لكنه قبل موته انصرف إلى قول الشعر هزلاً وسخرية.. وكتابة النثر فكاهة وتهكماً، وصار هذا اللون نهجاً عرف به. وقد جمع ابن سودون أعماله الشعرية والنثرية في ديوان سمّاه «نزهة النفوس ومضحك العبوس»، على أنه قد ضمّن ذلك الديوان قصائد حادة في الغزل، والهجاء، والمديح.

وهو في شعره الساخر بل الضاحك، لا يدع حتى نفسه حينما يريد ذكر جانب من حياته وتجاربه العملية. اسمعه وهو يقول:

وعـنـدي عـلـوم بـعـد هـذي كـثـيـرة
تـدل عـلـى أنـي مـن الـنـاس يـا فـتـى

ومـا عـلـمـتـنـي ذاك أمـي ولا أبـي
ولا امـرأة قـد زوجـانـي ولا حـمـا

ولـكـنـنـي جـربـتـهـا فـعـرفـتـهـا
وحققتها بالفهم. والحذق والحجا

فـيـا بـخـت أمـي. ألا يـا سـرورهـا
إذا سـمـعـت أنـي أفـوق عـلـى جـحـا

وفي موضع آخر من قصيدة ضاحكة له يتكلم عن مدى فهم أصول الأشياء وأساسياتها، وذلك بقوله:

وأني سأبدي بعض ما قد علمته
لتعلم أني من ذوي العقل والحجا

فـمـن ذاك أن الـنـاس مـن نـسـل آدم
ومنهم أبو سودون أيضاً وإن قضى

وإن أبـــي زوج لأمـــي وأنـــنـــي
أنـا ابـنـهـا. والـنـاس هـم يـعـرفـون ذا

وكـم عـجـب عـنـدي بـمـصـر وغـيـرهـا
فمصر بها نيل على الطين قد جرى

والقصيدة أطول من ذلك.

○○○○○

مواجهة الشعر الحرّ!!

لقد هبت الأقلام الغيورة على سلامة تراثنا الأدبي في وجه الشعر الحر الذي حل بصورته وهيئته المنكرة بساحة أدبنا العربي، ووجد ترحيباً من بعض الحداثيين والبنيويين الذين يحاولون فصل ماضينا الأصيل عن حاضرنا، وقطع علاقتنا بتراثنا المجيد، وذلك استجابة منهم للأصوات المروجة للآداب التي ليست من جنس آدابنا المسربلة بالفضائل.

ومما قرأته من تعريفات لمفهوم الشعر الحر قول الأديب، كريم خلف النويميس: ـ إنه لو لم يكن في الشعر الحر إلّا أربع لكفت لإبعاد المسلم الغيور عنه... ـ الأولى: أنه أتى من نصارى الشام عن نصارى الغرب. فما الذي نتوقعه من شعر هذا مصدره؟. ـ والثانية: ارتباطه بمنهج الحداثة الفكري المنحرف منذ نشأته.. ـ والثالثة: الغموض وأية متعة يجدها القارئ أو السامع في شعر لا يعرف معناه، أو لا معنى له إلّا أن تحتال له.. وأجزم أنك لو أتيت بعشرة من أنصاره وأعطيتهم قصيدة واحدة منه وطلبت منهم شرحاً لما وجدت فيها شرحين متطابقين. ورحم الله ابن سلام حيث عرّف الشعر بأنه كلام موزون مقفّى يدل على معنى. وكأنه يعلم بما يقال هذه الأيام من هراء لا معنى له. وأي معنى في قولهم: «لا ليل في الليل. لا صبح في الصبح. منهمر من سفوح الجحيم. وقعت صريع جحيم الذرى». والرابعة: فرضه على الناس بالقوة. فهو مفروض على الذوق العام فرضاً.. أما الشعر العمودي الأصيل فقد لقي ممارسة كبح وكبت مما حدا ببعض الشعراء أن يكتبوا قصائدهم على شكل الشعر الحر أملاً في نشرها.

أما الأديب الشاعر عبد الله بن خميس فقد قال: ـ فكرة الشعر الحر لا أؤيدها من أساسها قطعياً؛ لأن هذا واغل على الشعر وليس من الشعر في قبيل ولا دبير فأنا أعارض الفكرة من أساسها.

وإذا جاز لي أن أضيف شيئاً إلى تعريفات أدبائنا للشعر الحر المنشور في العدد ٣٤٨ من جريدة «المسلمون» في ٢٦/٣/١٤١٢هـ، فهو قولي: ـ ما الشعر الحر إلّا دائرة اختطت ـ بفرجار ـ لم تصنعه اليد العربية. ولذلك فإن محيطها لا يندلح أمام رؤية الناقد العربي كانداح القصيدة العمودية المقفاة التي يجد القارئ في أرجائها متعة لأنها مشحونة بالبلاغة، والبديع، والجمال اللغوي، واللفظي واللحن الموسيقي الذي ليس له في الشعر الحر وجود، والحس الشعري المعدوم في الشعر الحر ـ أما الشاعر محمد مصطفى حمام فقد وصف الشعر الحر بقوله من قصيدة له[1]:

هـذيـان لـم يـزل يـزهـو بـه
مـن قـلاه رشـده أو ودعـه

مـا احـتـيـالـي فـي قـبـيـل عـابـث
ضـيّـع الأذواق فـيـمـا ضـيـعـه

رب غـر مـنـهـم أفـسـده
جـاهـل قـرظـه أو شـيـعـه

فـازدرى شـوقـي وعـاب الـبـحـتـري
ورأى فـي نـفـسـه مـا أقـنـعـه

عـصـبـة يـسـتـهـزئ الـشـعـر بـهـم
ومـجـال الـهـزء فـيـهـم ذو سـعـه

(١) نقلاً عن جريدة الجزيرة العدد ٦٢٥٦، الثلاثاء ١٦ ربيع الثاني، عام ١٤١٠ هجرية.

تسجع الطير.. فتبدو بومة
منهم تنعب فينا مفزعه

والظباء الصيد أما سرحت
لاح ذئب منهم ما أبشعه

كاد نهر الشعر يبدو آسناً
بطفيليين شابوا منبعه

○○○○○

مع الراحلين إلى الدار الآخرة!!

في مساء يوم السبت ٢٢ شوال سنة ١٤١٢هـ، الموافق ٢٥ إبريل نيسان ١٩٩٢م، وافى الأجل المحتوم الأديب المفكر والشاعر الإسلامي الكبير عمر بهاء الدين الأميري وهو في مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، ورحل من دار الدنيا إلى الدار الآخرة عن عمر يناهز السابعة والسبعين عاماً قضاها في خدمة أمته العربية والإسلامية في مجال الأدب والشعر الإسلامي. وقد كان لنبأ وفاته وقع أليم في نفوس من عرفوه عن طريق قلمه وشعره وأدبه فضلاً عن أصحابه ومعارفه.

ولقد كان بودي أن أغوص بهذا الموضوع في أعماق أدب الأميري رحمه الله. إلّا أنني فضلت المضي في نقل بعض النقاط المهمة من سيرته الذاتية. فهو كما جاء في نبذة كتبها عنه الأخ محمد الأسعد في العدد ٩٩٩ من مجلة المجتمع، الصادر يوم الأحد ٢ ذي القعدة، عام ١٤١٢هـ ملخصها أن الأميري رحمه الله ولد في مدينة حلب عام ١٩١٥م، أي في عام ١٣٣٦هـ، وله ستة من الأولاد هم: البراء، ومنقذ، وسائد، وإيمان، وأوفى، ومجاهد ـ ومن البنات اثنتان هما: غراء، ووفاء. وقد بدأ بنظم الشعر وهو في التاسعة من عمره. . ـ وقد مارس السياسة في مقتبل عمره واعتبر من أبرز رجالات: سورية حيث شارك مشاركة فعالة مع جماعة الإخوان المسلمين، وعلماء سورية في تحرير بلاده من الاستعمار الفرنسي. . وقد تأصل فيه حب التحرير هذا وامتدّ إلى تحرير الوجدان الإسلامي من الملوثات التي خلفها الاستعمار. . ـ أما الأعمال الرسمية التي أسندت إليه بعد اشتراكه في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، فقد عمل سفيراً لبلاده في باكستان ابتداء

من عام ١٩٥٠م، ثم عمل سفيراً لبلاده في المملكة العربية السعودية عام ١٩٥٤م ثم دعي عام ١٩٨٦م إلى المغرب وعين أستاذاً لكرسي الإسلام بدار الحديث الحسنية في الرباط. . . ـ وقد كان يتقن إلى جانب لغته العربية اللغة الفرنسية، والتركية، ولغة الإردو. . . ـ أما انتاجه الأدبي المطبوع من الشعر والنثر فهو يربو على عشرين مؤلفاً منها عشرة دواوين أولها «مع الله»، وآخرها «رياحين الجنة». ـ وأقف هنا حائراً هل أتحف القارئ في ختام هذا الموضوع بشيء من شعره؟ أم بما رثي به من الشعر؟ فوجدت الجدير بذلك ما رثي به. ولهذا أنقل أبياتاً من قصيدة رثاه بها الشاعر الدكتور جابر قميحة.

وليس من حلّ قلبي غير واحده
عمر البهاء الأميري شاعر الدين

أبا البراء أأرثي فيك شاعرنا
وكيف أقدر أن يوفيك تأبيني

وأنت رب بيان عزّ مورده
كلؤلؤ فاتن الإشراق مكنون

ومنها قوله:ـ

يا سائحاً في سبيل اللّه غربته
وما ذللت وما استسلمت للهون

في الشرق والغرب تمضي تحت رايته
في درب أحمد والغر الميامين

ومنها قوله:ـ

وعانقت روحك السمحا متنها
في الذاريات وفي قاف وفي نون

وفي المثاني وجدت الري من ظمأ
وجنة الروح في طه وياسين

وكم صرخت بقلب يغتلي ضرماً
«يا جند طه أعيدوا مجد حطين»

والقصيدة طويلة إذ تبلغ ٤٠ بيتاً، وقد نشرتها جريدة «الندوة» في عددها ١٠١٤٢، الأحد ٨/ ١١/ ١٤١٢ للهجرة.

○ ○ ○ ○ ○

بَزَعَ... لفظة صحيحة. ولا غرابة في استخدامها!!!

كان أحد الأصدقاء يعاني من بعض المشكلات الاجتماعية التي يتطلب حلها رأياً ومشورةً، فنصحته أن لا يبزع برأيه وأن يتئد ويكثر من الاستشارة، ويأخذ برأي أهل التجارب وأصحاب الرأي الذين بازعوا الدهر واكتسبوا من مبازعتهم خبرة وحكمة وعلماً وثقافة... وثنيّتُ في نصيحتي ومشورتي له أن لا يتعجل في اتخاذ أي قرار إلّا بعد أن يتحقق له أنه سيأتي بنتائج مرضية.. ـ فقال بعض من كان حاضراً: ـ أيش معنى ـ تبزع ـ برأيك؟!! قلت: هذه كلمة نستخدمها في ناحيتنا في إقليم سدير وأعني بها أن لا يتصرف برأيه إلا بعد أن يعرضه على أهل الفكر وأصحاب التجارب.. فإن كان صالحاً وموافقاً مضى في تطبيقه وإن كان على عكس ذلك تراجع عنه وبحث عن بديل له.

وحتى لا يكون في صدرك حرج أيها المستغرب لفظة «يبزع»، ويزول الشك من نفسك في عدم صحة لغتها لزمني البحث عنها في بعض المعاجم فوجدت صاحب «لسان العرب» يقول: بَزُع الغلام.. بالضم بزاعة، فهو بَزِع: ظرف وملح. والبزيع: الظريف. وتبزّع الغلام: ظرف. وغلام بزيع وجارية بزيعة: إذا وصفا بالظرف والملاحة، وذكاء القلب، ولا يقال إلّا للأحداث من الرجال والنساء، والبزيع: الظريف من الناس. والبزيع: السيد الشريف ـ حكاه الفارسي عن الشيباني.. وقال أبو الغوث: غلام بزيع: أي متكلم لا يستحي. والبزاعة مما يحمدُ به الإنسان. وتبزع الشر: هاج وتفاقم. وبوزع اسم رملة معروفة من رمال بني أسد. قال رؤبة بن العجاج من أرجوزة له تبلغ ٢١٣ شطراً:

أَعْيَنُ فرّادٌ إذا تقمعا

برمل يَرْنا أو برحل بَوْزعا

بل أيها القائل قولاً أقذعا

أصْبِحْ فمن نادى تميماً أسمعا

وبوزع اسم امرأة.. كأنه فوعل من البزيع. قال جرير من قصيدة يهجو بها الشاعر الفرزدق ويذكر - بوزع -:

بأن الشباب حميدةً أيامه

ولو أن ذلك يُشترى أو يرجع

رجف العظام من البلي وتقادمت

سني وفيّ لمصلح مُسْتمتع

وتقول بوزع قد دببتَ على العصا

هلا هزئتِ بغيرنا يا بوزع

ولقد رأيتُك في العذارى مرة

ورأيتِ رأسي وهو داج أفرع

والقصيدة طويلة جداً إذ تبلغ نحواً من ١٢٤ بيتاً.

○○○○○

هل الصفار في المرأة ضرب من الجمال؟!!

يمضي شعراء الغزل في وصف المرأة من حيث الجمال وصفاء البشرة بالشمس حيناً.. وبالبدر في ليلة تمه حيناً آخر ناهيك عن ذكر الحَوَرِ وبياض الأسنان، ولين البنان، ونحول الخصر وحجم الأقدام، وما إلى ذلك من طول العنق والشعر، وبروز النهدين والهيف، وغير ذلك مما هو مضمن في قصائد الغزل.. لكن جعل الصفار لوناً من ألوان الجمال، فهذا ما يحتاج إلى التوقف عنده لاستجلاء الصورة المقنعة بواقع هذا اللون من الجمال.

أقول هذا حيث قرأت لبعض شعراء الجاهلية. بل وشعراء صدر الإسلام ما يقيم الدليل على ذلك.

- يقول قيس بن الخطيم واصفاً الجمال بلون طلوع الشمس أو بلون غروبها. وطبيعي أن لون الشمس يكون في حالتيها تلك أصفر.

فرأيت مثل الشمس عند طلوعها
في الحسن أو كدنوّها لغروب

وهذا النص صريح بأنه جعل الصفار لوناً من جمال المرأة؛ بل أكد ذلك في بيت آخر حيث يقول:-

صفراء أعجلها الشباب لداتها
موسومة بالحسن غير قطوب

تخطو على بَرْدِيتين غذاهما
غدق بساحة حائر يعبوب



وقد سايره ذو الرمة في أن الصفار لون من الجمال وذلك بقوله:ـ

بيضاء في دعج كحلاء في برج
كأنها فضة قد مسها ذهب

ويروي «صفراء» وبعده يقول:ـ

والقرط في حره الذفرى معلّقه
تبادر الحبل منه فهو يضطرب

تلك الفتاة التي علقتها عرضا
أن الكريم وذا الإسلام يُخْتَلب

وقبلهما بأبيات يقول:ـ

عجزاء ممكورة خمصانه فلق
عنها الوشاح وتمّ الجسم والقضب

وهذا يقرب في أسلوبه التفصيلي من قول الأعشى ميمون بن قيس:

رعبوبة فُنُق خمصانه ردح
قد أشربت مثل ماء الدر إشرابا

وإن كان لي تعليق على أن الصفار ضرب من ضروب الجمال. فإني أذكر أيام زمان أن العروس تدهن ذراعيها ووجهها دَهْناً خفيفاً بمادة سائلة مركبة من مسحوق الورد والكركم الأصفر أو العصفير مع أشياء أخرى ذات رائحة زكية. ولهذا أشار الشاعر النبطي في قوله:

أصفر معَصْفَر ليت محسن يشوفه
توه على غض الصبا ما بعد ذيق

OOOOO

لنا منهم.. ولهم منّا

ومن يا ترى الذين سنذكرهم هنا. ونفصح عما نالنا منهم إذا ما علمنا أن النوال أنواع مادية مختلفة، وألوان معنوية متعددة؟!!

ومن الطبيعي أن الذين ينالنا منهم الخير، ويسدون لنا الجميل أن نكافئهم بالحسنى وزيادة ولهم منا التقدير والكرامة. بل لهم منا إزاء ذلك الاعتراف بالجميل على مر السنين ليذكره الجيل منا بعد الجيل، ولا غرابة في ذلك. فتلك سجيتنا وديدن أخلاقنا في تعاملنا لكن الذي تقف منه النفس وقفة توجعيّة هو ما يُنيلنا إيّاه الأعداء من أنواع النوال المتمثل في الإساءة التي تصدر إلينا مغلفة حيناً ومكشوفة أحياناً.

وحينما أقول أعداؤنا فإنني أقصد بصفة عامة، أعداء العرب والمسلمين جميعاً الذي لا يألون جهداً في خذلاننا، وتنعيجنا وتشويه صورتنا وتفريق جمعنا وتشتيت آرائنا. ولهذا فنحن لا نرى بديلاً من مبادلتهم، ومجازاتهم، انتصاراً لكرامتنا.

- ولقد بيّن الشاعر محمود شوقي الأيوبي، المولود في شمال العراق سنة ١٣١٩هـ، والمتوفى في ذي الحجة سنة ١٣٨٥هـ، بعضاً مما نالنا منهم - وأعنى بهم أعدؤنا - ومما كان لهم منا... - وهي مقارنة أدرجها في قصيدة طويلة، كرر في عدد متوالي من أبياتها المعنى اللفظي - لنا - في صورة مملوءة بالبوح بما يخالج نفسه من سوء كنا نتلقاه من الأعداء حينا - وبما يفتخر به مما نملكه من خصال حميدة وعدة واعتداد حيناً آخر. فمما نتلقاه من الإساءة يقول:-

ـ لنا ـ الموت والقتل الذريع لنا الردى
ـ لنا ـ من يد الباغين تشتيت أبناء

ـ لنا ـ اليتم والترميل من كل غاشم
ـ لنا ـ الهد والزلزال من فعل أوباء

ـ لنا ـ الفقر والدمع السخين ـ لنا ـ الأسى
ـ لنا ـ الحسرات السود في دجن ليلاء

ـ لنا ـ السجنُ والإعدام للشيخ والفتى
على كل خضراء وفي كل بطحاء

أما فيما تفاخر به. يقول:ـ

ـ لنا ـ العز والمجد الرفيع ألا ترى
حنايا الروابي زاخرات بأشلاء

ـ لنا ـ الطعن والضرب المخيف على العدا
ـ لنا ـ الكرم المأثور في كل أنحاء

ـ لنا ـ الفأل يطوي المشرقين مرخما
لحون المعاني بين بحر وصحراء

ـ لنا ـ بهجة الإسلام والعلم والهدى
تضيء مدى الأجيال ما بين أرجاء

○ ○ ○ ○ ○

هجاء بأسلوب غير مألوف!!

والهجاؤون من الشعراء، لا يألون جهداً في شحن قصائدهم الهجائية بذكر مثالب من يتولون هجوهم. بل لا يتورعون من سياق التهم وكيل الشتائم التي يصعب عليهم تحقيق صحتها لو طلب إليهم ذلك.

وأساليب الهجاء تختلف بحسب اختلاف الوضع الاجتماعي للمهجو، فهم إما أن يتّهموا في نسبه أو يعيروه ببخله أو جبنه أو حمقه أو فساد أخلاقه. أو ما إلى ذلك من الخصال الممقوتة التي هي من أهم عدة الهجاء، بل هي العتاد والسلاح الذي يشهرونه في وجه مهجوهم.. على أن أسلوب السخرية من الطباع التي يطبع عليها الإنسان يعد في حد ذاته نوعاً من الهجاء لكنه هجاء يكون في بعض الحالات ملفوفاً في بعض العبارات الدعابية، وهذا النوع هو ما يحرص بعض المؤلفين القدامى على رصده في مؤلفاتهم كالثعالبي مثلاً الذي أودع منه في كتابه «يتيمة الدهر» ما هو ملفت للنظر. ولعل عذره في ذلك، أنه يسجل أدب عصره وما قبله ذلك العصر العباسي الذي بلغت فيه الدعابة والسخرية والأدب المكشوف والهجاء رقماً قياسياً في الجرأة والتطاول... ـ ومن تلك الصور التي عرضها أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٣٩هـ، في كتابة المذكور هذا الهجاء الذي حبكه الحجاج أبي عبد الله الحسن بن أحمد الذي سبقت ترجمته في هذا الجزء تحت عنوان «لأمرما يذم الشاعر شعره» في قصيدة طويلة بأسلوب يختلف عن الأساليب الهجائية المعروفة حيث تمادى في وصف من هجاه بأسلوب ساخر ذكر فيه أشياء ينقصها

الوصف البلاغي الذي يقبله العقل.. من تلك القصيدة الهجائية الطويلة قوله:ـ

يـا خـريـة الـعـدس الـصـحـيـ
ح الـنـيء والـخـبـز الـفـطـيـرِ
فـي جـوف مـنـحـل الـطـبـيـ
عـة والـقـوى شـيـخ كـبـيـرِ
يـخـرى فـيـخـرج سـرمـه
شـبـريـن مـن وجـع الـزحـيـر
يـا فـسـوة بـعـد الـعـشـا
بـالـبـيـض والـلـبـن الـكـثـيـر
وفـطـائـر عـجـنـت بـلا الـ
مـلـح الـجـريـش ولا الـخـمـيـر
يـا ريـح سـرقـيـن الـبـغـا
ل يـداف فـي بـول الـحـمـيـر

ومنها قوله:ـ

يـا عـش بـيـض الـقـمـل فـرّ
خ فـي الـسـوالـف والـشـعـور
يـا بـول صـبـيـان الـعـظـا
م ويـا خـراهـم فـي الـحـجـور

○○○○○

نماذج من الغزل المنثور.. والمنظوم!!

ونحن إذا ما بحثنا عن الغزل المنثور لنطلع عليه فإننا نجده كامناً أو مستقراً بالأصح في الروايات، والقصص الغرامية، وبعض الرسائل التي كانت متبادلة بين الجنسين وخلدها التاريخ في طياته.

وللغزل المنثور مجال واسع لا يقل في طبيعته ورقته وتركيب أساليبه عن الغزل المنظوم، لأن الخيال يلعب في كليهما والواقع يجوس ساحتهما معاً.

ومما يستطرف من أساليب الغزل المنثور ما أورده الثعالبي في كتابه الشهير «يتيمة الدهر» حيث قال: قرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال: كان الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخاص من سره. فقال لي مرة: أشعرت يا أبا عبد الله أني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين، فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة ـ يعني جارية له ـ فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفرتيها هواء لو رقد المحموم فيه لصحا.. فكان هذا عما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح.. وكان الشاعر الوأواء ـ الذي سبق أن ترجمت له في الجزء الرابع من هذا الكتاب، تحت عنوان: «الوأواء.. هو محمد بن أحمد» قد سمع ذلك فنظمه في قوله:

سقى اللّه ليلاً طال إذْ زار طيفه
فأفنيته حتى الصباح عناقا

بطيب نسيم منه يستجلب الكرى
ولو رقد المخمور فيه أفاقا



تملكني لمّا تملك مهجتي
وفارقني لما أمنت فراقا

ومن أساليب المغازلة النثرية المستطرفة التي يجري فيها اختبار صدق العاشق وصحة تغزله.. من المدعي العشق ادّعاءً... ما يروى من أن بعضهم قال لامرأة: قد أخذت بمجامع قلبي فلست أستحسن سواك.. فقالت له: إن لي أختاً هي أحسن مني وها هي خلفي. فالتفت الرجل فقالت: يا كذاب.. تدعي هوانا وفيك فضل لسوانا.

ونعود إلى الشاعر الوأواء.. لنستعرض شيئاً من رقيق غزله في قوله:ـ

أجرت من الكحل السحيق بخدها
سطراً تؤثره الدموع السُّبَّقُ

فكأن مجرى الدمع حلية فضة
في بعضه ذهب وبعض محرق

وقوله:ـ

خفتُ الرقيب فجللتني شعرها
وتجللتْ من خوف واس يَرْمق

فكأننا صبحان في ليل حوى
فجرين بينهما ظلام مطبق

نخفي إذا خفنا ونبدو تارةً
فيه وأحياناً يغيبُ ويشرق

○○○○○

جانب من مفهوم التحذير ودواعيه

وكثيراً ما تبرز كلمة «تحذير» في المجتمع الذي وقع بعض فئاته فيما هو مخالف للقاعدة التي تسير عليها حياة أفراده بصفة عامة.

ومفهوم التحذير لدى المجتمع المسلم أنه صوت داعية رأى شراً محدقاً بالأمة من جرّاء محرمات مرتكبة فهب ينذر من الاستهانة بمحارم الله. ويحذر من عقاب الله.. أو هو صوت سياسي متفانٍ في حب وطنه وخدمة أبناء وطنه أدرك بفطنته وذكائه أموراً منطوية على نوايا يقصد منها رمي بلاده بالشر.

وللتحذير مفاهيم توافق في لغتها وأهدافها ومعانيها ما ترمي إليه طبيعة المحذَّر منه «بفتح الذال»، إذ أنه غالباً ما تلحق كلمة «تحذير» بتعريف من المحذر منه «بفتح الذال»، كأن يقول المحذِّر «بكسر الذال»: خذوا أيها الناس حذركم من كذا وكذا. ثم يأخذ في ذكر الأسباب والتعليلات التي حملته على إطلاق ذلك التحذير.

والتحذير ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم ولمقاصد مختلفة. ففي تحذير الله الناس من نفسه تقدست أسماؤه وصفاته، قال تعالى في سورة آل عمران آية ٢٨: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ وفي نفس السورة يقول تعالى في الآية ٣٠: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾.

والدعاة الأسلاميون يحذرون الناس من كل شيء فيه مخالفة لمبادئ الإسلام وقواعده.

وإذا كان الداعية الإسلامي المحذر شاعراً فإنه يرسل تحذيره في أبيات شعرية مبسطة وذلك مثل التحذير الذي ضمنه الشاعر وليد الأعظمي قصيدته التي منها قوله:

يا فاعل المنكر في خلوته
وقاتل الأوقات في حانتهْ

يشرب منها خمرة مرة
كأنها العلقم في معدتهْ

ما خاف أن يوقعه شربها
في سخط اللّه وفي بطشته

ولاعب الميسر في ماله
مجاهر بالكفر في لعبته

يحرم من ذا المال أولاده
ويقطع الرحمة عن أسرته

دعه فإن النار مثوى له
والذي سار على خطته

يصلونها دعّاً على فعلهم
والمرء مجزي على فعلته

ومنها قوله:ـ

«يا أيها الناس اتقوا ربكم»
واخشوه إن الكون في قبضته

صور من الإثم والمجون..
والتوبة والزهد في شعر ابن سكرة!!

ونحن إذا تتبعنا اللغة الشعرية لدى بعض الشعراء المجان الذين يعلنون ارتكابهم للآثام. بل يفتخر بممارستها افتخاراً ربما جروا به ضعفاء النفوس جراً إلى قافلة ركبهم الموغل في مهامه الفسق والفساد. وارتكاب المحرمات.

أقول... عندما نتتبع أخبارهم نجد أن لهم اعترافات مخزية قد ذيَّلَتْ بتجليات مكونة من مزيج ثلاثي يدعو إلى الترحم عليهم. وهذا المزيج هو: إعلان الندم، وإشهار التوبة، والمبالغة في تأنيب النفس.. ـ وسوف لا أستشهد هنا بتوبة الحسن بن هاني «أبي نواس» صاحب الخمريات والاعترافات بارتكاب المجون. فهي ـ وأعني بذلك قصيدته التي ضمنها توبته ـ مشهورة عند أهل الأدب وغيرهم.. ولكن ما أود أن أعرج عليه هو أستاذ أبي الحسن. وملهمه شعر الفسوق ـ إنه ابن سكرة أبو الحسن محمد بن عبد الله ـ الذي قال عنه صاحب الوفيات: إنه من ولد علي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي ـ وقد حدد تاريخ وفاته في يوم الأربعاء ١١/٤/٣٨٥هـ. قال الثعالبي في «يتيمة الدهر»: إن لابن سكرة ديوان ضم فيما ضم عشرة آلاف بيت من الشعر قالها في قينة سوداء يقال لها: خمرة ـ وأضاف الثعالبي أن أبا طاهر ميمون بن سهل الواسطي قال: إن ابن سكرة حلف بطلاق امرأته ـ وهي ابنة عمه ـ أنه لا يُخْلِي بياض يوم من سواد شِعْرِ في هجاء ـ خمرة. ولما شَعَرَت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل زوجها من

صلاة الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم الغريم غير الكريم فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها.

وإذا سألنا. لماذا تزهد إن كان صحيحاً تزهده الذي أفصح عنه بقوله مخاطباً نفسه:ـ

محمد.. ما أعددتَ للقبر والبلى
وللملكين الواقفين على القبر؟

وأنت مصرّ لا تراجع توبةً
ولا ترعوي عما يذمّ من الأمر

تبيتُ على خمر تعاقر دنها
وتصبح مخموراً مريضاً من الخمر

سيأتيك يوم لا تحاول دفعه
فقدّم له زاداً إلى البعث والحشر

فإن ذلك كان أسفاً وندامة على قوله:ـ

ويوم لا يقاس إليه يوم
يلوح ضياؤه من غير نار

أقمنا فيه للذات سوقاً
نبيع العقل فيه بالعقار

وعلى قوله:ـ

مَرّ لي في العمر يوم
لا أجازيه بشكر

بين غزلان النصارى
أمزج الريق بخمر

زوبعة!!

يحدث أحياناً في بعض الأوساط ما لم يكن مألوفاً.. فتلتفت إليه الأنظار.. وترتسم حوله علامات استفهام استغرابية لحدوثه.

وإذا ما حدث ما ليس بالمألوف في الوسط الأدبي فإنه يشد الانتباه إليه، ويأخذ الناس في رصد ما يفرزه ذلك الحدث.. - وأكثر ما تكون طبيعة الحدث في الوسط الأدبي متمثلة في النقاش الحاد بين أديبين أو كاتبين أو شاعرين عندما تختلف وجهات نظرهما أو تبرز في أساليبهما عبارات اتهامية. فيأخذ كل منهما بتبرئة نفسه وتخطئة صاحبه... ويعد ما يدور بينهما أدباً طالماً كانا ملتزمين بأساليب أدب الكتابة.

وإذا لم يطل النقاش وتستمر التعقيبات فيما بينهما وينحسم الموضوع بمجرد انسحاب أحدهما من أرضية المناقشة فإنه يوصف بالزوبعة الصغيرة الحجم التي يسعها الفنجان، فيقولون: زوبعة في فنجان، أو يصفون سرعة جسمه - وأعني بذلك الموضوع - سحابة الصيف التي سرعان ما تنقشع.

والداعي لهذا الكلام هو ما حصل بين شيخينا في الآونة الأخيرة حمد الجاسر علّامة الجزيرة. وأبي عبد الرحمٰن بن عقيل من تلميحات دخلت في ميدان العنف التي بدأها أبو عبد الرحمٰن بن عقيل في موضوع نشرته جريدة «الجزيرة» في عددها ٧١٧٠، يوم السبت ١٤/١١/١٤١٢هـ، تحت عنوان: «عندما يفتضح الآل»، وقد لزم حمد الجاسر عند هذا الحد جانب الصمت إلّا أنها تحركت أقلام



تنافح عنه وتناصره، كقلم محمد رضا نصر الله الذي كتب في جريدة «الرياض» العدد ١٨٧٢٩، الاثنين ١٦/١١/١٤١٢ موضوعاً تحت عنوان: «أهكذا تقدر الجاسر يا بن عقيل؟» وفيه تحامل على أبي عقيل تحاملاً لا يليق به. وفي العدد ٨٧٣٢، الخميس ١٩/١١/١٤١٢ من جريدة الرياض» كتب الشاعر عبد العزيز عبد الله الرويش شعراً تحت عنوان: «لا نرتضي سبة أو منطقا كذباً» وفيه بعض اللوم لأبي عبد الرحمٰن منه قوله:ـ

لا تقبل النفس ايذا الصِّيد والنجبا
فكيف يا بن عقيل نلت من وُهبا

علامة الشرق لا تزريه سبتكم
سل المحافل كم أعطى إذا خطبا

يغيظ مثلك تحقيق القديم لنا
بثابت الرأي كم عانى وكم كتبا

خطو العليم بآثار البلاد بدا
يقصي عن الدارس المجهول ما حجبا

قل لابن جاسر سرفينا بتكرمة
لا نرتضى سبة أو منطقا كذبا

عش في البلاد مناراً في أصالتها
وفي المحافل كم أعطيتها الرِّغبا

للَّه كم لك من باع يجلُّ له
أهل المعارف فيما قيل أو نسبا

صحبت شيخي في حل وفي سفر
فما رأيت سوى إرغام من غصبا

فما كان من ابن عقيل إلّا أن اعتذر في مقال له نشرته جريدة «الجزيرة» في عددها ٧١٧٧، السبت ١٤١٢/١١/٢١هـ تحت عنوان: «إنما هجوت القمر.. فمعذرة أيها الكبير».. قلت.. وأنا ممن حمد أبا عقيل على اعتذاره.

ooooo

وقفة. والتفاتة في يوم العيد!!

وإذا ما تصفحنا التاريخ واستنطقنا ما في أعماقه من أخبار السلف الصالح وجدنا صفحات كثيرة منها، سطرت عليه المفاخر والبطولات بأحرف تشع نوراً يهدينا إلى معرفة حياتهم العامة.. ومنها صفحات أختصت بأخبار قدسية الأعياد وغيرها من المناسبات الدينية..

ونحن عندما نمعن النظر في قراءة تلك الصفحات المشتملة على الأخبار القدسية من أجل المقارنة بينها وبين صفحاتنا التي ما زال حبرها رطباً ومجالها متسعاً للإضافات. نجد أن العيد عند السلف نقطة توقف والتفاتة ينطلقون منها في مواصلة العمل التكافلي الذي يمسح دمعة اليتيم، ويخفف وطأة الزمان عن كاهل الفقير، ويمد يد العون للمحتاج، تتحد فيها القلوب على المحبة والتآخي، فيتساوى الناس جميعاً في يومه من حيث المظهر. إذ كل يرتدي جديداً ويبتسم سعيداً... ـ أما في زماننا هذا فقد قل اهتمام الناس بالعيد وما له من قدسية ومظهر ديني. ولم يكن موضع التفاتة ذات عطف تشمل بحنانها القريب المحتاج والجار الفقير. وكل ذي حاجة وعوز.. والبحث عن السبب الذي أقام هذا الفارق العظيم بين واقع أعياد سلفنا وحالة أعيادنا هو ضعف الحالة التكافلية من ناحية، ومن ناحية أخرى طغيان المادة على أصحابها. ذلك الطغيان الذي يكاد يقتل الحس الإيماني في نفوس أهل زماننا.. يضاف إلى ذلك وجود عنصر حداثي يحاول طمس التقاليد والعادات وقطع صلة التراث الأدبي والديني بحاضرنا.. وذلك لمحاولة إغفال مظاهر الأعياد... ـ لكن الذي يبعث على الأصل أنه ما زال فينا من ينبه إلى ذلك ويحذر منه ويغتنم مناسبات الأعياد ليدعو فيها إلى

الاستمساك بعادات وتقاليد سلفنا في أعيادهم والتي ذكرت طرفاً منها آنفاً. . . ـ ومن الصور التي تقف مذكرةً بما للعيد من قدسية تلك الصورة التي رسمها الشاعر رفعت عبد الوهاب محمد ـ المرصفي ـ في قصيدة له عنوانها: «همسة في يوم العيد». منها قوله:ـ

أهلاً بعيد الفطر بعد صيام
أهلا بيوم مشرق بسّام

طوبى لمن صلى وصام طهارة
طوبى لمن يسعى إلى الأيتام

العيد يدعو المسلمين ليلتقوا
بالخيْر بالإيمان بالترحام

العيد يدعو أن نكون كحائط
لا أن نؤيد دعوة الإهدام

العيد يدعو أن نزور مقاطعاً
على الخصوص زيارة الأرحام

ومنها قوله:ـ

العيد يأتي والجميع بداره
والكل في شغل وفي إحجام

البعض يلهو في الحياة بنفسه
والبعض يجري ورا أوهام

أين التواصل والتآخي بيننا
أين المسير بشرعة الإسلام

○○○○○

فرحات... يرد على المستغرب عليه قول الشعر!!

ولا أريد هنا أن أعلق على أبيات الشاعر المهجري فرحات.

إذ أن فيها من الوضوح والتفصيل في التعبير ما يكفي ويشفي عن أي تعليق.. لكنه يحسن بي الوقوف على معرفة مصدر المادة التي يصنع منها شعره، والإشارة إلى تفنيده الواضح للأشياء التي كانت تلهمه قول الشعر في أسلوب فضل صياغته في سؤال موجه إليه بلهجة تستغرب عليه قول الشعر.. وهو الذي لم يدرس العروض ولم يكن طالب علم.. يقول في ذلك السؤال:ـ

يقولون: عمن أخذت القريض
وممن تعلمت نظم الدرر

وأين درست العروض وكيف
تلقيت هذا البيان الأغر

وما كنت يوماً بطالب علم
فإنا عرفناك منذ الصغر

فكان جوابه على ذلك حاضراً وبديهياً، لا بل منطقياً ومفصلاً، إذ قال أنه تعلم صناعة الشعر، ومعرفة علم العروض، مما يشاهده ويسمعه من عالم الطبيعة المحيط به. وذلك بقوله:ـ

فقلت أخذت القريض صبيا
عن الطير وهي تغني السحر

وعن خطرات النسيم العليل
يمر فيشفي عليل البشر

وعـن نـظـرات الـحـسـان الـلـواتـي
يـكـدن يـغـلـغـلـنـهـا فـي الـحـجـر

وعـن عـبـرات الـحـزانـى الـضـعـاف
فـفـي عـبـرات الـحـزانـى عـبـر

هذه هي إجابته التي لن يتردد أحد في القول بأنها إجابة منطقية ومقنعة.. إذ ليس لديه ما يستوحي منه شعره غير تلك المصادر التي ذكرها في أفصح تعبير، ورسمها في أوضح معنى.

ولم يقف الشاعر فرحات عند ذكر هذا الجانب الملهم الشعر فحسب، بل وصف نفسه بأنه يدرس في جامعة الجامعات، التي ما من فرع من فروع المعرفة بأنواعها إلّا وتدرسه لطلبتها بصفة دائمة ومنتظمة... وأنه يؤم تلك الجامعة كغيره من الناس. وهو في نفس الوقت من الذين يستفيدون من واحد من أعلم وأكبر أساتذتها. وذلك بقوله:ـ

وذا الـكـون جـامـعـة الـجـامـعـات
وذا الـدهـر أسـتـاذنـا الـمـعـتـبـر

○○○○○

العذر يقبل إذا قاد الجهل عقلاً أمياً!!

في تاريخنا السياسي والأدبي يوجد بعض التعليلات التي أتى بها المؤرخون تعليقاً على بعض المواقف السياسية التي مَرّت بها أمتنا العربية.. وهي في الحقيقة تعليقات واقعية لها مكانتها ودلالتها من التاريخ.. خاصة منها ما له علاقة بالسياسة الوطنية، وما بلغته من تردي في الحقبة التاريخية الواقعة فيما بين القرن الثامن والثالث عشر من الهجرة. حيث أخذ الجهل يمد ظلاله، بل ظلامه ويبسط نفوذه في العالم العربي حتى استقطبها إلّا ما شاء الله.

ولعل اللوم على التفريط في العلم قد أيقظ ضميراً غط في الجهل غطيطاً عميقاً استمر حتى بداية القرن الرابع عشر للهجرة حيث استيقظ من نومه وتنبه من غفلته.. لكنه وجد مقاليد أمره قد سيطر عليها عدوه، وأنه ليس له بد من المباشرة بالمطالبة بحقه وبتسليم أرضه.. مرّة بالاحتجاج السياسي والمنطق الأدبي.. ومرة بالعنف والسلاح وبذل الأرواح إلى أن تحررت معظم أجزائه تحريراً صورياً، لكنه أعطى في نفس الوقت فرصة لانتهال أبنائه من مناهل العلم والمعرفة فأخذوا من العلم نصيباً وافراً. هم به الآن متمتعون.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه مع بداية القرن الخامس عشر للهجرة هو.. كيف نجهل الأهداف التي رسمها الأعداء الآن للقضاء على عقيدتنا. و.... ونحن قد بلغنا من العلم ما بلغنا؟. فإن كان تغاضياً ينتهي بنا إلى التحقير والإذلال فتلك مصيبة.. وإن كان جهلاً منا بسياسة أعدائنا فالمصيبة أعظم.

والعذر يقبل في كل خطأ سياسي بل وأدبي إذا قاد الجهل عقلاً أمياً.. لكنه لا يقبل بأي حال من الأحوال والعقل قد أخذ من العلم بنصيب يرتفع به عن الأميّة الموقرة بالجهل.

ولقد رسم جانباً من هذه الصورة المؤلمة لحالنا الحاضرة الشاعر مقبل عبد العزيز العيسىٰ في قصيدة له، منها قوله:

فكر قومي لم يزل مستعمراً
يا زمان القهر حسبي كدرا

تسكن الأحزان نفسي كلما
أصبح الجهل لقومي قدرا

والأسى يدمي فؤادي إن همو
جرحوا فكراً لهم قد أثمرا

كل جرح نال منهم وطراً
هو لولا جهلهم ما انتصرا

لا يقاس الجرح في تعذيبه
بعذاب الجهل مهما كبرا

ومنها قوله:ـ

إنما نحن شعوب خدعت
وقليل من توخى الحذرا

ومنها قوله:ـ

يا لقومي إنني من كدر
لا أرى الأيام إلا عبرا

روح هذا الدين كم نشري به
فكر قوم بالهدى ما أمرا

اتهام القريحة وقصيدة في القصيدة!!

يَهمُّ الشاعر في بعض الأحيان بكتابة قصيدة فلا تسعفه قريحته ويبتعد عنه الخيال وتنغلق عليه الخاطرة. فيطوي أوراقه وقلمه وفي نفسه على عدم استجابة القريحة لرغبته.. لكنه لا يترك البوح بتلك المعاناة التي صادفته وثنت عزمه عن المضي في رحلة شعرية كان قد نوى القيام بها.

والشاعر الذي يمنى بالفشل في مثل هذا الموقف الذي عدّ فيه العدة لإنشاء قصيدة ما.. يعود إلى ذاته ليقيم الحجة على ملكة شعره بأسلوب تأسفي مشوب باتهام نفسه بالتقصير. وكأنما هو يتشفى بذلك من قريحته التي خانته حينما استنجد بها.. ـ لكن واقع الحال ينبئ بأن الشاعر قد لاقى معارضة ضد شكواه من خمول قريحته واستكانتها عن تحقيق رغبته... ـ بل إن حساً قد استوقفه وقال له: ـ إن للشعر أوقاتاً وله مناسبات ودواعي.. أما أن تأخذ القلم وتبسط الورق وتريد أن تكتب شعراً دونما مناسبة تحرك المشاعر من الداخل، فهذا ما لا يجب أن تلوم عليه نفسك وتتهم بالخمول قريحتك.. لكن الشاعر لا يتوقف عند واقع هذه المعارضة ويسلم بحقيقتها. بل إنه إذا ما خلا وفاضه من الأسباب التي تدعوه لقول الشعر أخذ في مخاطبة الشعر نفسه، ومناجاة القصيدة مناجاة تكوّن في حد ذاتها قصيدة جيدة.

وهذا اللون من جفوة الشعر للشاعر، قد مرّ به الشاعر محمود بن سعود الحليبي فأنشأ فيه قصيدة يعاتب فيها سيدته القصيدة. وقد جعل عنوانها «سيدتي» القصيدة، واستهلها بقوله:ـ

حزني بنفسي وسلوى فيك سيدتي
وأنت بابي إلى أنسي ونافذتي

وأنت إن نكس التهمام لي علماً
من السعادة. راياتي وألويتي

وإن تأهب قلبي للرحيل إلى
أنس حملت على جنبيك أمتعتي

ومنها قوله:ـ

يا تاج رأسي إذا زرت المحافل أو
طفقت أتلوك غارت منك مكتبتي

إني أعيذك من هجري معذبتي
ومن جفاءٍ لقلبي أو مخيلتي

إذ كيف يرقص قلبي دونما وتر؟
وكيف تدرج دون الماء ساقيتي؟

وهل تسير سفين دون أشرعة؟
أم هل يحلق طير دون أجنحة

قصيدتي أنت برادي ومدفأتي
وأنت مخزن أدوائي وأدويتي

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢١ بيتاً، وقد قرأتها في العدد ٥٥٥، من مجلة «الشرق» الصادرة في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٤١٠هـ، الموافق ١٦ يونيه سنة ١٩٩٠م.

○○○○○

أبيت اللعن!!

والرجل البارز، أو المقدم في قومه هو الذي دائماً وأبداً يشار إليه بالأنامل. وهو الذي ترصد حركاته ـ. وهذا أمر لا يحتاج إلى دليل فنحن لا نقرأ من أخبار الناس إلّا الزعماء منهم والسياسيين البارزين.. ولا غرو في ذلك فهم محط الأنظار وقطب الرحا كما يقولون.. ـ إن أحسنوا مُجِّدُوا. واستقصيت فيهم المدائح المحشوة بصيغ المبالغة... ـ وإن أساؤوا لم يسلموا من الهجاء العلني إن كان الهاجي بعيداً عن متناول أيديهم... ـ أو بالهجاء الرمزي الذي يجد من خلاله الهاجي مخرجاً إن فسر كلامه بغير ظاهره. وهُمَّ بمعاقبته.

والعرب تلعن المسيء وتكيل له أساليب الذم الذي تتشفى به من جراء إساءته... ـ أما العرب القدامى فهم يأتون بلفظة اللعن في مدائحهم بقصد نفي وقوعها على ممدوحهم. لذا فإنه قلّ ما نقرأ لهم قصائد يمتدحون بها ملكاً أو شخصاً مهاباً إلّا ونجد هذه العبارة «أبيت اللعن»، ماثلة في مخاطبتهم له سواء كانت تلك المخاطبة شعراً أم نثراً.

يروى أن النعمان بن المنذر كان بمجلس كسرى يوماً فقال له كسرى: هل في العرب من قبيلة تشرف على قبيلة. قال: نعم. قال: فبأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء. واتصل ذلك بمزية رابعة فبيته أشرف بيت إليه تنسب القبيلة، وبه تعلو على غيرها. قال: أحضر من هذه صفتهم. فطلبهم النعمان فلم يصبه إلّا في آل حذيفة بن بدر، وآل ذي الجدين. وآل الأشعث بن قيس بن كندة فأحضرهم في جملة من عشائرهم. فعقد لهم كسرى مجلساً عاماً حضره

الحكام والعدول والأعيان. ثم قال: ليتكلم كل منكم بمآثر قومه وليصدق.. فكان ممن امتدح كسرى من ذلك الوفد وضمن مدحه الشعرى «أبيت اللعن» التي يقصد بها أنك لا تفعل ما يوجب لعنك بل تفعل ما تحمد عليه... شاعر بني شيبان الذي ألقى قصيدة، منها قوله:ـ

لعمريَ بسطامٌ أحق بفضلها
وأول بيت العزعز القبائل

فسائل أبيت اللعن عن عز قومها
إذا جدّ يوم الفخر كل مناضل

فيخبرك الأقوام عنها فإنها
وقائع جدٍّ لا ملاعب هازل

ألسنا أعز الناس قوماً وأسرة
وأضربهم للكبش يوم التخاذل

وشاعر بني تميم الذي من قصيدته قوله:

لقد علمت أبناء خندف أنا
لنا العز قدماً في الخطوب الأوائل

وأنّا كرام أهل مجدٍ وثروة
وعز قديم ليس بالمتضائل

فكم فيهم من سيد وابن سيد
أغرّ نجيب ذي فعال ونائل

فسائل أبيت اللعن عنا فإننا
دعائم هذا الناس عند الجلائل

○○○○○

حديث الشاعر عن الشعر أصدق من غيره!!

وإذا جاء الحديث عن الشعر من شاعر فإنه لا يحتاج إلى دليل يوثق واقعه؛ لأن الانتماء إلى أي فن من الفنون يعطي المقدرة على وصف حاله والكشف عن طبيعته.

وحديث الشعراء عن الشعر كثير جداً بل إن منه ما اعتبره النقاد مادة يرجحون بها رأيهم في القول عن الشعر سواء كان قولاً إيجابياً يناصر واقعية الشعر أو سلبياً يناهضه.

ولعل أحدث قول قيل عن الشعر وواقعيته هو قول الشاعر السعودي الكبير محمد حسن فقي وذلك عندما سئل: هل الشعر دائماً انعكاس للمعاناة؟ قال: طبعاً الشعر ليس رصاً للكلمات. وأكثر شعر نابع من الحزن لما أراه من مآسي في هذه الحياة، وصدقني أنني أحزن لأحداث تقع في أقصى بقعة من العالم.. ـ وسئل عن ولادة القصيدة عنده.. هل تأتي دفعة واحدة أم على مراحل؟ فقال: قد تولد دفعة واحدة خاصة عندما يكون الدافع قوياً وسريعاً، فتراني أتأثر وأتجاوب دفعة واحدة. لكنها قد تكون أحياناً على مراحل حيث تولد الفكرة ثم تختلط في اللاوعي إلى أن تختمر فأعمل على تسجيلها.

والحقيقة أننا لو توجهنا بتلك الأسئلة لشاعر متقدم على محمد فقي، لأجاب بمثل إجابته خاصة فيما يتعلق بمعاناة صناعة الشعر.

والشاعر محمد حسن فقي غنيّ عن التعريف، فهو صاحب قصائد مطولة وفي نفس الوقت صاحب مقطعات تتمثل في رباعيات ـ أي قطع مكونة من أربعة أبيات ـ وقد سئل عن سبب ميله إلى قول الرباعيات

فقال: أنا أرى أن الرباعيات وجبة خفيفة مضغوطة من الشعر. وهي نتيجة: انفعال فكري وحسي لما يدور حولك. وهي إشراقة من الإشراقات النفسية أو الفكرية، وهي قابلة للتداول، ويحفظ بسرعة فكثيراً ما أنسى بعض ما قلته من هذا الشعر وأجد غيري يحفظه... - أما رباعيات الفقي، فمنها قوله:

كل يوم تودع النفس شخصاً
غالياً في التراب ثم تعودُ

إن فوق التراب صرعى يمشو
ن وتحت التراب صرعي رقودُ

أتراهم يشقون في باطن الأر
ض شقاء الأحياء؟ أم هم شهود

أفهذي نهاية الحس والفكـ
ر؟ رفات يضمه أخدود؟

وقوله في رباعية أخرى:-

لو أن معشار الوعيد
ونصف معشار الوعودْ

كانا قتالاً لم يكن
في الأرض ظل لليهود

نحن الرقود وليس شذّ
اذ اليهود هم الرقود

هذا الخصام.. ألم يكن
أولى به الخصم اللدود؟

○○○○○

مفاهيم الدهر في بعض أشعار أبي العلاء المعري!!

وأبو العلاء المعري يكثر من نقل بعض الصور التي تترجمها لفظة واحدة ويضعها في مواضعها، بل ويلونها بالألوان التي تتفق والمعنى الذي من أجله جاء بها.. ويضعها بشكلها الطبيعي أمام الناس للاعتبار حيناً آخر.. ـ فإذا ما اصطحب كلمة «الدنيا» مثلاً في أشعاره، فإنه يأتي بها على عدة وجوه بدءاً بمفهومها، ومروراً بواقعها في حياة الإنسان وانتهاءً بما له من رأي فلسفي فيها.

ولكي يتحقق لنا فنّية أبي العلاء في التعامل مع اللفظة التي تتكرر عنده في كثير من المواضيع وكيف أنه يستطيع تحجيم معناها وتلوينها تلويناً يوائم الظروف التي أملت عليه استخدامها. فإنه لا بد لنا من أن نقف على بعض من تعامله مع لفظة معينة لنرى كيف يضعها ملونة باللون الذي يناسب الموضوع الذي يطرقه.. ولتكن لفظة: «الدهر» وفيما جاء في قصائده المقفاة بحرف ـ الراء ـ فقط لأن البحث عنها في جميع أشعاره أمر يطول.. إذا ما قسناه بما ورد في تلك القصائد الرائية التي ضمتها لزومياته فقط. حيث ناف عددها على ٤٥ لفظة للدهر.. منها قوله في مطلع قصيدة له عنوانها: «قتلتكم الدنيا»:

الدهر يَصْمُتُ وهو أبلغ ناطق
من موجزٍ نُدُسٍ ومن ثرثار

والندس: هو الفطن.

ويرفض أبو العلاء ذم الدهر وإسناد شي من المغيبات إليه. وذلك بقوله من أبيات له.

والدهرُ لم يشعر بما هو كائن
فيه. فكيف يذمُّ في الأشعار

وفي موضع آخر يرى أن الدهر سجلٌ موثقٌ:

وسيرة الدهر ما تنفك معجِبَةً
كالبحر. تغرق في ضحضاحها السيرُ

لكنه يصوره في قصيدة أخرى مخيفاً ومذهلاً للعقل.

ولو تصور أهل الدهر صورته
لم يمس منهم لبيبٌ وهو مسرور

ويرى أبو العلاء أن الدهر عادل في تعامله فهو قد ساوى رب الحسام بحامل المئشار - المنشار -

والدهر مُفْتَنُّ الغوائل مهلك
رب الحسام وحامل المئشار

وذو العقل يدرك أفاعيل الدهر وحروفه.

والعقل أنذرنا بما هو كائن
في الدهر ثم تشعب الإنذار

ويصف الدهر بأنه أب للعالم. ولكنه أب غادر.

والعالم ابن. والدهر والده
نجل غَويٌّ ووالد غدار

ويرى أن المرء إذا كان على علم تام بفواجع الدهر فإن جميع الحوادث لم تشغل فكره وتقلق باله.

إذا صح فكر المرء فيما ينوبُهُ
من الدهر. لم يشغل بحادثةٍ فكرا

أما هاجسه الإسلام.. فلا!!

يا أستاذ جهاد فاضل: مهلاً.. ودع الحديث عن الشاعر رشيد سليم الخوري ـ القروي ـ لغيرك. فأنت إما جاهل بأساليب أعداء الإسلام والطرق التي يسلكونها ليدخلوا منها إلى وسط الأمة الإسلامية؛ لينصّروا أبناء الإسلام بأساليبهم خاصة العرب النصارى منهم فضلاً عن المستشرقين الذين يجيدون اللغة العربية، ويمجدونها تمجيداً يقصدون من ورائه التفاف السذج أمثالك يا جهاد.. هذا إن لم تكن نفسك داعية لمبدئه الذي كان ينادي به. وهو الوحدة العلمانية التي لا يجمعها دين ولا مذهب.. أو مؤيداً لقوله الكفري الصريح:

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

وكيف يا جهاد يكون من هذا منطقه وقوله ـ هاجسه العروبة والإسلام ـ والحقيق أننا لا نعرف ما ترمي إليه من دراستك لشخصية القروي تلك الدرامة التي نشرتها لك جريدة «الرياض» في عددها ٨٧٥٣، الخميس ١٠/١٢/١٤١٢هـ، وفيها تأيدك لما جاء في سيرة مسطرة للقروي كتبها أحد أشياعه أو من خدع بأسلوبه والتي اشتملت على قوله: ـ والواقع أن القروي كان مسلماً حقيقياً.. هكذا يقول أدبه وشعره اللذان يمتلئان بشواهد لا تحصى كلها تترنم بحب الإسلام ورسوله.

ونحن نقول: إن الذي يريد أن يدخل الوسط الإسلامي وبيوت المسلمين ويعلم أسرارهم. هل تراه إلّا فاعلاً أو قائلاً مثل ما قاله

القروي من عبارات مزوقة يلمع ظاهرها بحبه للعرب والإسلام. بل إنه يرى أن في التلفظ بحب الرسول ما يدنيه من المسلمين، فعمد إلى ذلك وقال على حد قولك: ـ إن لنا نحن العرب ديناً أنزل على مبنى عربي بلغة عربية في أمة عربية ووطن عربي، الدين الوحيد الذي يؤلف بين الفصائل المتفرعة عن الشجاعة والمحبة.. ـ يا جهاد هل ترى أننا أغبياء إلى الدرجة التي كان يتصورها القروي حينما أخذ يتمسح بحبه للعروبة وما قاله عن اللغة العربية التي ليست في حاجة إلى شهادة منه؟. إن كنت تظن يا جهاد ذلك وتريد أن تترحم عليه وتقتفي أثره وتغالي في العروبة مثل مغالته الخادعة فاسمع ما تلقاه ومن رد على قصيدته، التي ورد فيها البيت المتقدم وهذا البيت الذي لا يقل عنه في الدعوة إلى العلمانية:

بلادك قدمها على كل ملة

ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

أليست تلك دعوة إلى تصنيم البلاد؟ وهل بعد التصنيم كفر وإلحاد؟.

أقول اسمع ما تلقاه من رد شعري من واحد من مئات الشعراء الذي عروّه من تلبسه وتمسحه: بالعروبة.. يقول الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الدوسري في أثناء رده عليه من قصيدة طويلة تبلغ نحواً من (٤٨٠) بيتاً، منها ما يتعمد برده على تصنيمه البلاد:

كذبت بلادي الطين والطين كله

مدى الأرض ميراث من اللّه يا عمي

أسير بها زحفاً بدين مقدسٍ

وملة إبراهيمَ أنعمْ وأكرم

ومنها:ـ

إذا كان كل عابد لبلاده
فمن يعبد الرحمٰن يا طائش الدم؟

تمنيتموا مومية الجنس دونما
ملاحظة المنشى لها والمقدم

ومنها قوله :ـ

جهرت بنبذ الدين تدعو مقدساً
لكل من الطين المنوع والدم

فهل حصل التوحيد بينكمو إذاً
أم ازداد أنواع الخلاف المذمم؟

ㅇ ㅇ ㅇ ㅇ ㅇ

لا.. يا أبا العلاء

يا أبا العلاء المعري: - أبعث إليك هذه الرسالة التي تقطع في الذهاب إليك مسافة زمنية معاكسة لدوران عجلة الزمن بما يقدر بـ «٩٦٤» سنة من عامنا ١٤١٣هـ، هذا إن صح أنك قد رحلت من عالمنا صبيحة يوم الجمعة ثالث من شهر ربيع الأول عام ٤٤٩هـ.. وقد تستغرب يا أبا العلاء عنوان هذه الرسالة. وقد تستنكر عدم وضع ديباجة لها كسائر الرسائل.. - لكن الرغبة في مساءلتك عن المعاني والأفكار وما يوحي به ظاهر قصيدتك التي جعلت عنوانها: «آدم وذريته» بل وما تنطوي عليه من عتاب لأبينا آدم عليه السلام واتهامه بسعيه في إذاء ذريته.. قد حال دون ذلك. ولأقول لك إن الناس يرون أنك تعترض على إرادة الله وحكمته في تكوين خلقه؛ في قولك:

سعى آدم جد البرية في أذى
لذرية في ظهره تشبه الذّرا

ومن مفهوم هذا البيت نقول لك: لا يا أبا العلاء - بل إن الله في ذلك حكمة يقصر تفكيرك عن فهم أهدافها.. - وإذا كنت تنظر إلى الدنيا بمنظار أسود ينبئ عنه قولك:

إذا وصلت بالجسم روحٌ فإنها
وجثمانها تصلى الشدائد والضرا

فإننا نقول لك: لا يا أبا العلاء - ليس كل جسم وصلت به الروح محتوم عليه بالضر وتلقي الشدائد. فلله عباد تملأ الطمأنينة



نفوسهم. والسعادة قلوبهم. . - وإذا كنت تؤول عرس الإنسان وفرحه بزواجه باختياره لسوء الفعال. في قولك:

بدا فرح من مُعْرِسٍ... أفما درى
بما اختار من سوء الفعال وما جرا

فإننا نقول: لا يا أبا العلاء - فتلك سنّة الحياة. والله أمرنا بذلك لنعمر الأرض ولتكون لنا عقبى فيها. . - ونقول لك أيضاً: لا يا أبا العلاء. لقد أخطأت في قولك:

تلا الناسُ في النكراء نهج أبيهم
وغُرّ بنوه في الحياة كما غُرّا

ولقد أسأت القول في تمنيك في قصيدتك التي جعلت عنوانها «ليت آدم طلق حواء» ونظرت إلى الناس جميعاً نظرة شؤم. ورميتهم جميعاً بالنجاسة حينما قلت:

يا ليت آدم كان طلق أمهم
أو كان حرمها عليه ظهار

ولدتهُمُ في غير طهر عاركا
فلذاك تُفقد فيهم الإطهار

فلا يا أبا العلاء - المسلم لا ينجس، وإنما غاب عنك قوله تعالى في سورة التوبة آية ٢٨: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾. . وقولك من قصيدتك «الشر مبثوث في الناس»:

سراء دهرك لم تكمل لدى أحد
فليت طفلك لم تقطع له سُرر

هو أمنية غرسها فيك شؤمك من الحياة فأخذ تتمنى أن لا يولد لأحد مولود... ـ وإذا كنت لم ترغب في الزواج أو صدفك عنه صادف. واتخذت التبتل فلسفة من فلسفاتك البعيدة عن العقلانية فلماذا لا تقصر هذا على نفسك وتدع قولك، ووصاياك المسمومة التي فيها دعوة لقطع النسل، والتي منها قولك:

وإذا أردتـــم لـــلـــبـــنـــيـــن كـــرامـــة

فالحزم أجمع تركهم في الأظهر!

○○○○○

السخرية المقبولة نوعاً ما!!

والأدب الممزوج بالسخرية ـ وأعني بالسخرية التعبير اللفظي والمعنوي المقبول أدبياً ـ لا أشك في أن القارئ يجد فيه بعض المتعة والراحة النفسية، التي يحلق بعدها إلى حيث يريد من أنواع القراءة في فروع المعارف التي تتطلب قراءتها استحضار الفكر والذهن ليحصل الفهم ويتم الاستيعاب.. ولهذا حرص بعض أصحاب الأقلام البارعة ومن لهم في ميدان الفكاهة خطى واسعة على مزج صناعاتهم الأدبية بشيء من النوادر والفكاهة، والطرف البعيدة عن التهكم والتجريح والإساءة الخلقية وغير ذلك مما لا يناسب الذوق الأدبي.

والسخرية إذا كانت خالية من الهجاء الذي يلطخ العرض بالتهم، ويصور ما لم يكن وكأنه كائن في ذات المهجو. فإنه تجد لها مكاناً في صفحات الأدب التي يكون لها حظ من القراءة.

أما إذا كانت السخرية مشتملة على تعريضات لا تمس عقيدة ولا نسباً، وإنما هي تصوير لفعل حركي سواء كان قائماً فعلاً أو هو من تلفيقات الساخر وتصوراته غير الواقعية. بل التي لا أساس لها من الصحة..

والسخرية التي تكون مقبولة نوعاً ما من لدن القارئ، هي مثل تلك السخرية التي وجهها أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج إلى أبي أحمد بن ثواب حينما شرب دواء مسهلاً في أبيات شعرية، منها قوله:ـ

يـا أبـا أحـمـدٍ بـنـفـسـي أفـدٍ يـ

ك وأهـلـي مـن سـائـر الأسـواء



كيف كان انحطاط جعسك في طا
عـة شـرب الـدواء يـوم الـدواء

كيف أمسى سبال مبعرك النذ
ل غريقا في المرّة الصفراء

يا أبا حمدٍ ونُصْحك عندي
واجب في الإخاء فاحفظ إخائي

رُبّ ريح يوم الدواء دَبُورٍ
شوّشت في عصاعص الأغبياء

قدّروها فساً وقد كمن الجعـ
س لهم في مهب ذاك الفُسَاء

ومنها قوله ناصحاً لأبي أحمد في أسلوب ساخر وتهكم، وضع نفسه منه موضع المجرب الذي يحذر عن علم ودراية وحنكة:

والغذاء الغذاء فاحذر بأن تفـ
ـسو فوق الفراش بعد الغداء

احترس إنها نصيحة شيخ
حنكته تجارب الآراء

ooooo

قبّل رأساً تريد قطعه!!

ويدور في موضوع المداراة أحاديث شتى.. ـ وقد تبارت الحكماء في إيجاز الصيغ التي يوصون بها الناس بأن يدرأوا بالمداراة شرّ من لا يستطيعون دفع شره، ولا مقاومته وإحباط بطشه. فقالت حكماء العامة: ـ «يد ما تطولها صافحها». وقالت أيضاً: ـ «قبل رأساً تريد قطعه». وقال أيضاً: ـ «دارهم ما دمت في دارهم». وقالت أيضاً: ـ «لا تطاول من هو أطول منك». ويقول المثل الإنجليزي: من تعجز عن هزيمته انضم إلى جيشه.. ولا أريد هنا سرد ما قيل في المداراة، بقدر ما أريد من القول بأن الأخذ بالحكمة في مسايرة الأمور التي تجري عكس ما يريده الإنسان. وذلك كمخاتلة القوة الظالمة المسيطرة ومخالسة الفرص التي تمنح المقدرة والشجاعة والإقدام على تحويل التيار المعاكس للإرادة وصرفه عن كل ذي قوى خائرة ومعنوية هزيلة.. أما الإقدام بلا سياسة ومخاتلة ومخادعة فيعد ظلماً للنفس وجرأة على تعريضها لما لا تستطيع التعامل معه.

وتقبيل يد الشخص الذي يغمط الحق ويجور في المعاملة ويركب الظلم بفعل ما يمتلكه من سلطة مطلقة يعد من باب الحكمة الواردة في مفهوم المداراة ولا يمت إلى إذلال النفس بأي صلة بقدر ما هو يفتح باباً للخلاص من براثن الظلم والتجبر واتقاء التسلط المضر...

ـ وحكيم الفلاسفة أو فيلسوف الحكماء أبو العلاء المعري الذي وقف في لزومياته على كل دقيقة وجليلة قد وقف على قضية المداراة. وبيّن ضرورة اللجوء إليها عندما لا يكون بد من التعامل بها من جانب

الضعيف بطبعه أو المستضعف في مجتمعه.. من ذلك قوله من قصيدة له عنوانها: «ظلم القوي للضعيف»:ـ

يقول لك العقل الذي بَيّنَ الهدى
: إذا أنت لم تدرأ عدواً فداره
وقبل يد الجاني الذي لست واصلاً
إلى قطعها. وانظر سقوط جداره
وما الوقت إلّا طائر يأخذ المدى
فبادره إذ كل النهى في بداره
رأتك البرايا ظالماً يا ابن آدم
وبئس الفتى من جار عند اقتدار

ويقول في موضع آخر:ـ

إذا كنت لا تستطيع دفع صغيرة
ألمتْ ولا تستطيعُ دفع كبير
فسلم إلى اللّه المقادير راضيا
ولا تسألن بالأمر غير خبير

وفي هذا المعنى من المداراة يقول عبد الله السابوري:ـ

ولا غنى للفاضل الكبير
عن المداراة ولا الصغير

أما الكاظمي فيرى أن الاستكانة أو المداراة لا تليق بمن يملك وسيلة تدفع عنه ذل الاستكانة، وانكسار المداراة.

وعجبت من يستكين وعنده
عزم يفل شبا الظبي مطرورُ

دعوة إلى وليمة.. وتهديد بالهجاء!!

ومما جرت به العادة أن الدعوة إلى الوليمة توجه للأقرباء والأصدقاء والمحبين. . وهؤلاء وأولئك. بل جميع من لهم علاقة ودية بالداعي. . يستقبلون بالحفاوة والترحيب. ويعمل على إكرامهم، ويقبل عذر من يحول بينهم وبين تحقيق الدعوة ظروف قاسية وقاهرة تفرض عليهم بطبيعتها التأخر عن الحضور إلى الوليمة.

لكن الذي تفاجئنا به كتب التراث والتاريخ الأدبي عن بعض المواقف يكون خلافاً لتلك الحالة التي وصفتها. حيث نجد أنه قد سجل نوعاً من بطاقات الدعوة بأسلوب غريب يدعو إلى السخرية بصاحب الدعوة. إذ أن هناك دعوات قد وجهت من بعض الساخرين والعابثين بأدب الدعوة بإضافة تهديد ووعيد بالهجاء إن لم يحضر المدعو إلى الوليمة.

ـ وعلينا أن نتصور حالة من يُدعى إلى الوليمة بالتهديد كيف تكون حاله وشعوره تجاه صاحب الدعوة. خاصة إذا كان الداعي من أصحاب الألسن السليطة، الهجائين الذين يجيدون فن السخرية بالناس.

ومن صور الدعوة المصحوبة بالتهديد بالهجاء والسخرية ما أورده الثعالبي في كتابه المشهور «يتيمة الدهر» من أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر العباسي المتوفى سنة ٣٩١هـ، الذي طبع على قول العبارة الشعرية السخيفة والسخرية التي يصل فيها بعض الأحيان إن لم يكن في غالبها إلى درجة الإقذاع. والتندّر والتهكم بالناس.

قال الثعالبي: اتخذ ـ والمعني بالطبع ابن الحجاج ـ دعوة كبيرة



في أيام عز الدولة، ودعا إليها أقواماً شتى من رجال الدولة، وحذر من عدم الاستجابة لدعوته في قصيدة طويلة، منها قوله:

قـل لـلأمـيـر الـمـرتـجـى
مـن جـاءنـي فـقـد نـجـا
ومـن أبـى فـذ قـنـه
فـي عـصـعـصـى قـد لـجـجـا
يـسـبـح فـي بـحـر خـرا
إذا جـرى تـمـوّجـا

ومنها قوله:ـ

مـن لـم يـجـيء فـذقـنـه
فـي أست الـذي اسـتـدعـى فـجـا
فـقـل لـمـن لـجـج فـي
جـوابـه أو مـجـمـجـا
سـبـالـك الـمـحـفـوف قـد
حـرّك مـنـي مـخـرجـا
مـؤزراً بـالـجـعـس فـي
حـافـاتـه مـصـهـرجـا
تـدفـعـه مـقـعـدتـي
بـعـد الـعـشـا مـلـهـوجـا

ㅇㅇㅇㅇㅇ

الاعتذار... مفهومه التعليلي... وواقعه الحقيقي!!

والمعتاد عند المعتذرين عن الاستجابة لأي مطلب مادي أو معنوي منهم. يأتي في كثير من الأحيان وفيه نسبة كبيرة من المبالغة في وصف ما يمنع من تحقيق ما طلب منهم خاصة إذا لم يكن الطلب مفاجأ، فإن عبارات الاعتذار تحبك حبكاً جيداً وتصاغ صياغة تحظى بالقبول من صاحب الطلب وتقي المطلوب من الملامة وألسنة اللوام... ـ أما بعض الأعذار فتكون صريحة خاصة إذا كانت مأخوذة من الواقع المشهود.

والأعذار تختلف في مفهومها المعنوي بحسب اختلاف قيمة الحوائج الداعية إلى تقديمها كما أن قبولها يختلف بحسب اختلاف ضرورة الحاجة.. إذ أن هناك مطالب ليست بذات ضرورة وهذه لا يتعمق في مدى معرفة قوة العذر وواقعيته. من ضعفه أو عدم صحته.

ومما أعجبني من أساليب الاعتذار التي لا تخلو كتب الأدب من نماذج لها.. ذلك الاعتذار الذي ضمنه الشاعر السعودي المعاصر محمد حسن فقي قصيدته التي جعل عنوانها «الطالب والمطلوب» ونشرتها جريدة «المدينة» في عددها ٩٢١٥ الجمعة ٩ صفر عام ١٤١٣هـ. وقد كانت رداً اعتذارياً على رسالة بعث بها إليه معالي الدكتور راشد الراجح رئيس النادي الأدبي بمكة المكرمة. ومدير جامعة أم القرى يطلب منه المشاركة في النشاط الموسمي للنادي. فجعل الشاعر محمد فقي عذره عن المشاركة الكبر وضعف القوى وتأثير الشيخوخة على كثير من الحواس التي تتطلبها المشاركة في النادي..

من تلك القصيدة الطويلة التي تبلغ نحواً من ٣٣ بيتاً، أقتطف من مقاطعها قوله:ـ

أراشدي الراجحَ.. إني امرؤ
غاض معيني وخبت جذوتي

فليس لي بعد شبابي الذي
ولّى سوى راعِشٍ شيخوختي

ومنها قوله:ـ

واليوم لا حُسْنَ.. ولا صبوةٌ
بعد أفول البدر من ليلتي

ومنها قوله:ـ

يا راشدي الراجح.. ليت المنى
تسخو على المبيضِّ من لمتي

فانظم الشعر بلا عائق
يعوق من هذا الخوي المسكت

ومنها قوله:

فهل أنال الصفح من سيّدٍ
يطلب مني الشدو في عزوتي

يا ليتني أقوى فأطوي المدى
إليه كي أسعد من رحلتي

ويختمها بقوله:

يا راشدي الراجح كن عاذري
فهذه يا سيدي قصتي!

كم فاطر شربت في جلد حوار!!

وقول العامة: ـ كم فاطر شربت في جلد حوار ـ يعني أن الموت يصيب الصغير والكبير على حد سواء. ولهذا فإنه كثيراً ما يموت الحوار ـ وهو ولد الناقة حين ولادته ـ. فيصنع من جلده حوضاً للماء فتشرب فيه الناقة الفاطر ـ والفاطر هي المسنّة ـ لكن واقع الأمر هو أن الكبير المسن من كل شيء أقرب إلى حوض المنية من غيره. إذ هو يشبه في الدنيا بالفارس الذي أوشك أن يصل إلى خط النهاية في حلبة السباق.. أما الصغير في سنّه من كل شيء فهو حينما تتخرمه المنية كالفارس الذي انطلق من خط البداية في ميدان السباق فكبا به فرسه ساعة الانطلاق أو بعدها بزمن فاندق عنقه.

والناس لا ينكرون أن هناك معتركاً لا خروج منه.. وأن هذا المعترك يبدأ في الغالب من العقد السابع من العمر.

كان بعض أصحاب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يسألونه بين وقت وآخر عما مضى من سني عمره. فيقول: مضى كذا؛ حتى بلغ الستين. وبعدها كان يقول إذا سئل: أنا في معترك المنايا.

وبالرجوع إلى واقع المثل الذي ذكرته آنفاً أن العامة كثيراً ما تردده نرى أن للشعراء في مفهومه أقوالاً كثيرة... ولأن الشاهد على ذلك لا تتطلب حالته حشداً كثيراً من الأبيات الشعرية: فضله الاكتفاء بما نوه به شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبو العلاء المعري، فقد قال في هذا المعنى من قصيدة له. عنوانها: «ضحك الدهر مكر»:ـ



ليس بالسن تستحق المنايا
كم نجا بازل وعُوجلَ بَكْرُ

وعوان حازت حُليّ كعاب
فاجأتها من الحوادث بِكر

ويقول في طفل سألت أمه المنجم عن مدى حياته فقرر أن يعيش مائة عام فمات في شهره الأول:

سألتْ منجمها عن الطفل الذي
في المهد: كم هو عائش من دهره

فأجابها: مائة ليأخذ درهماً
وأتى الحِمامُ وليدها في شهره

ويقول من أبيات له:

ما باختياري ميلادي ولا هرمي
ولا حياتي فهل لي بعدُ تخيير

ولا إقامة إلّا عن يديْ قَدَرٍ
ولا مسيرَ إذا لم يُقْضَ تسيير

ويقول في هذا المعنى:-

يدري الفتى كم عاش من أيامه
يوماً. وما هو كم يعيش بداري

وتجوز معرفتي بمسقط هامتي
في الورد. لا بالقبر في الإصدار

○○○○○

تجنب الخسارة في التجارة

مقتبس من التوبة من الذنوب!!

وإذا كان التاجر يراجع حساباته ودفاتره بين حين وآخر ليتبين ربحه من خسارته ويعرف بالأرقام الحقيقة مقدار ذلك. ومن ثم يستأنف العمل التجاري آخذاً الحذر من التعامل في الجانب الذي لا يرى فيه مكسباً واضحاً.. ومتجنباً الجانب الذي كشف له الحساب عن خسارته فيه. فإنه من الأجدر بالمسلم الذي يملأ اليقين قلبه بأن يدرك بأنه مهما كثر رصيده من المال فإنه لن يدفع عنه أجل محتوم يخلف بعده ذلك المال وراءه، ويمضي لمواجهة ما قدم من عمل.. ـ أقول إنه من الأجدر به أن يراجع علاقته بربه، ويفتش صفحات حياته وسجل أعماله الروحية لينقي شوائبها ويمحص ما فيها من أخطاء بين حين وآخر. ثم يعلن النتيجة لذاته إعلاناً يشفعه بقرار توبة من الخطايا التي اكتشف وجودها في أعماله بشيء من انكسار الخاطر والندم وبأسلوب كله تذلل لمن لا يغفر الذنوب ويقبل التوبة إلّا هو.

والتوبة حينما تعلن من مرتكب المعاصي والآثام إعلاناً صريحاً غير ملبس بنية جلب الثقة له، أو تعديله والشهادة له بالاستقامة، وإنما هي خلوص عما شاب دينه فإنها تعد ماحية لأخطاء كتبت ومنقية لصفحات معدة للعمل.

ـ وإعلان التوبة ليس بمستغرب من المسلم الذي يعلم بأن الله يتوب على من تاب. بل إنه لا يرى في الاعتراف بأنه مذنب أي حرج يلزمه الإصرار عليه... ـ ولهذا فهو يتوب ويشفع التوبة بدعائه لصالح

دنياه وآخرته. وليثبت في نفس الوقت للتاجر أن تجنب الخسارة في التجارة مقتبس من التوبة.

ـ شعر من صور التوبة: ـ يقول الشاعر علي أحمد سالم الغامدي من قصيدة له عنوانها: «التوبة»:

رباه إني قد وقفت
بباب جودك أطلب

ووقفت بالباب فمن
عن فيض فضلك يحجب

رباه أنت خلقتني
وإليك ربي.. أرهب

أرجو رضاك ورحمة
يا رب إني.. مذنب

رباه أرجو توبة
تشفي الكلوم وتذهب

ومنها قوله:ـ

رباه حسبي ما ذرفت
من الدموع وأسكب

فلقد أتيت من الذ
نوب الكثر ما لا ترغب

لكن جودك مأملي
وكريم عفوك. أقرب

○ ○ ○ ○ ○

عدم ذكر محاسن الأحياء فيه رأي...
وذكر محاسن الأموات واجب!!

وإذا رحل علم من أعلام الفكر والأدب من الدنيا جدّ الناس في ذكر مناقبه. وهذا عمل جيد يتفق مع الحديث الشريف الذي أورده الترمذي في «سننه» عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم». والعذر في عدم ذكر مناقب الأعلام ما داموا أحياء يتمثل في الخشية من تفسيره بالتملق والتزلف إليهم بذكر بعض صفاتهم التي تمتزج بشيء من المبالغة. . - والحقيقة أن صاحب القلم يقف من هذه القضية موقفاً ربما شابه شيء من الحيرة الواردة في التعليل السابق والذي لا يزول إلّا بزوال صاحبه من الدنيا. . - أقول هذا بعد أن رصدت الكثير من هذه الظواهر. . - ولعل أحدث ما رصدته في ذلك ما قيل عن الشاعر الإسلامي الكبير عمر بهاء الدين الأميري. الذي وافته المنية في الرياض في ١٤١٢/١٠/٢٢هـ. فقد قال عنه محمد قطب: لقد كان الأميري في شعره بناء جيل وموجه أمة ومخطط منهاج، وهو في المتأخرين من شعراء الإسلام ممن سيصنفهم تاريخ الأدب العربي يوماً في صف حسان بن ثابت في صدر الإسلام. ومحمد إقبال في أمس المسلمين القريب. . وقال عنه بكر بصفر: - كان الأميري وسيظل بإذن الله علماً من أعلام الأدب الإسلامي. وستبقى ذكراه حاضرة في وجدان أمته التي أغدق عليها من نبعه الفياض بأعذب القصيد. وقال عنه أبو الحسن الندوي: - وجدت في شعر الأميري مزيجاً منسجماً من صور الفن ووهج العاطفة ولباب الفكر. وسبائك اللغة. - وقال عنه محمد المبارك: - شعر الأميري صورة من التكوين

النفسي مزيجة من الحرية الطليقة الجريئة ومن التقوى المتصلبة العنيدة.
ومن تلك التقريظات التي قيلت في أعماله الشعرية قول عباس محمود العقاد: ـ ديوانك مع الله عمل جليل سيضع اسمك ولا شك في الصف الأول من الشعراء الإسلاميين.

وقول محمد أسعد: ـ إن أمتنا يوم تجمع شعرها الإسلامي الملتزم وإن نقادنا حين يعكفون على دراسة هذا الشعر وتقويمه آنذاك سيكون لديوان «مع الله» ولصاحبه عمر بهاء الدين. شأن وشأن. ـ أما دواوين شعره المطبوعة فهي: ـ مع الله ـ ألوان طيف ـ من وحي فلسطين ـ أشواق وإشراق ـ أبي.. أمي ـ ملحمة النصر ـ الهزيمة والفجر ـ الأقصى وفتح والقمة ـ ملحمة الجهاد ـ ألوان من وحي المهرجان ـ صفحات ونفحات ـ أذان القرآن ـ لقاءان في طنجة ـ نجاوى محمدية ـ قلب ورب ـ رياحين الجنة ـ؛ وممن رثاه يوم مات الشاعر حيدر الغدير. فمن قصيدة له قوامها ٢٦ بيتاً، نشرتها جريدة «المسلمون» العدد ٣٧٩ الجمعة، ٦/١١/١٤١٢هـ، قوله:

الشعر تاجك وهو روض مشرق
والفضل دوح في رحابك مورق

وعلى مرابعك الفسيحة خيمة
نسج الإباء جلالها والمنطق

فيها السماحة والبشاشة والندى
ومروءة في سيبها تتدفق

ستظل مثل الشمس في رأد الضحى
وعلى غلائلها البهيجة رونق

وتظل للوراد شهداً سائغاً
ونميره أبداً يفيض ويغدق

أأبا البراء وأنت رائد عصبة
وحداء قافلة تغذ وتعنق

نم في جوار الأكرمين - يحفهم
ويحفك الرضوان والاستبرق

نم في البقيع جوار جدك هانئاً
وازاءك الأبرار فيه تحلقوا

○○○○○

مضى الأميري يوم السبت
وتبعه زيدان يوم السبت الثاني

ما فرغت من كتابة جانب من السيرة الذاتية للشاعر الإسلامي الكبير عمر بهاء الدين الأميري الذي وافته المنية في يوم السبت ٢٢ شوال سنة ١٤١٢هـ، تحت عنوان: «مع الراحلين إلى الدار الآخرة»، إلّا ويفاجئني خبر وفاة الأديب والكاتب والمؤرخ السعودي محمد حسين زيدان في يوم السبت الثاني أي في ٢٩/شوال سنة ١٤١٢هـ، وكأنما موت الأميري دعامة انهدمت فتبعها الركن المقابل لها. . ـ وإلى هذا الحد من الخبر عن الزيدان أقف حيث لا أدري من أي جانب أتحدث عن حياته وأدبه ونشاطه الفكري؛ لأن التعبير الإنشائي في هذا المقام غير مناسب مني لأنني لا أعرفه إلّا من خلال كتاباته ومؤلفاته لذلك عمدت إلى نقل بعض ما كتب في عجالة عنه من قبل أصدقائه ومن لهم صلة به على صفحات بعض الصحف. ففي صفة شخصيته وحياته قالوا أنه ولد في حوش خميس شمال المدينة المنورة عام ١٣٢٥هـ، ودخل أول مدرسة في حياته في مدينة ينبع. وتقلب في عدة مناصب حكومية ذات مسؤولية. قال عنه أبو عبد الرحمٰن بن عقيل: الزيدان تاريخي المادة أدبي التعبير يستحضر مسيرة التاريخ أحداثاً وأعلاماً آدمية ومكانية وينسج خيوطاً قزحية مضيئة من فلسفة التاريخ وفقهه. وقال عنه محمد منصور الشقحاء: ـ كان بسيطاً في كل شيء لقد كان ينال محبة الجميع لأدبه الجم. وقال عنه عبد الواحد محمد راغب: ـ زيدان. . ملك زمام الكلمة، يصول بها ويجول. . يطوعها أنى شاء ليصنع منها أساليب البديع في أروع أدائه والبيان في أجمل معانيه. وقال عنه هاشم زواوي:

ـ الزيدان كان ذا كلمة مميزة لم يستطع أحد من الكتاب أن يقلدها أو يجاريه فيها. وقال عنه الشاعر يحيى توفيق: ـ كان الزيدان متحدثاً لبقاً. وكانت لعباراته المجنحة أبلغ الأثر في نفوس سامعيه. كتب في الأدب والتاريخ والسيرة وكان مميزاً فيما يتناوله من كتابات. . ـ وأنا أقول: رحم الله الزيدان فقد كان يتحاشى في حديثه وكتاباته استخدام حرف واو العطف في كثير من المواطن. فهو يعطف الجملة على الجملة والكلمة على الكلمة بلا واو فكأنما بينه وبين الواو عداوة فإذا ما أراد الحديث عن شخص مرموق في عالم الأدب مثلاً فتراه ينعته بمثل هذا الأسلوب: ـ هو صاحب فكر هو صاحب قلم. لا يشق له غبار. لا يجاري في كذا. له صولات له جولات. يعرف من أين تؤكل الكتف. وهكذا لا يأتي على ذكر الواو إلّا في موقع لا بد من الإتيان بها فيه. ولعله أراد بذلك تمييز حديثه وكتاباته عمن سواه.

ـ ورثاه الشاعر محمود عارف بقصيدة منها قوله:ـ

مات زيدان والمرارة تبدو
في لسان الكتّاب والشعراء

في ضحى السبت فارق الروح حتى
عرف الناس منتهى الأحياء

ومنها قوله:ـ

ذاق زيدان قسوة الداء شهراً
راضياً بالسكوت والانطواء

كان في مجلس الصفاء أنيساً
يمتع الجالسين حلو الصفاء

وهو في المنتدى أديب مجلّى
يتوخىٰ شعائر الفضلاء

ملهم في البيان حلو المعاني
كل حرف يصوغه باعتناء

قلم بارع يخط كنوزاً
وكنوز التاريخ أصل الثراء

وكنوز الأسفار تثبت حقاً
جهده والمحك في الاحتواء

○○○○○

هذه القصيدة يرجو صاحبها
أن ينشدها في نادٍ من أهل الجنة!!

ومن القصائد ما يحملك شاعرها بإحكام صنعها على إعادة قراءتها مرات ومرات تفضي بك إلى حفظها عن ظهر قلب. خاصة إذا كانت تتسم بالحكمة أو تصف علاج مشكلة ذات عمق في الحياة الاجتماعية.

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال يقول: لمن تكون مثل هذه القصيدة؟ وعند الإجابة على ذلك تتزاحم نوادر القصائد طمعاً في أن تكون كل واحدة منهن هي المرشحة لذلك. وهي التي تتوفر فيها عوامل الإجابة على ذلك السؤال. لكنني سوف لا أذكر شيئاً من القصائد المشهورة التي ترد عيون أبياتها على الألسن. وإنما سأعرض أبياتاً من قصيدة ليست بذات شهر في الوسط الأدبي رغم جودتها وإحكام صنعها وعظمة بنائها، وهي قصيدة للشاعر أمحمد بن محمد بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبي المعروف بأمحمد بن طالب ينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب عارض بها ميمية حميد بن ثور الهلالي الصحابي رضي الله عنه وقال بعد فراغه من إنشادها: أرجو من الله أني وحميد بن ثور ننشد قصيدتينا في نادٍ من أهل الجنة فيحكمون بيننا؛ ومطلع قصيدة حميد بن ثور التي عارضها به محمد المختار هو:

ألا هَـيِّـمـا مـمـا لـقـيـت وهـيـمـا
وويْحًا لـمـن لـم ألـق منـهـن وَيْـحَـمَا

وآخرها قوله:ـ



ألا هل صدى أم الوليد مكلّم
صداي إذا ما كنت رمسا وأعظما

وهي طويلة تبلغ نحواً من مائة وثمانية وثلاثين بيتاً. وقد أوردها أحمد الأمين الشنقيطي في كتابه «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط».

أما قصيدة ابن محمد المختار التي تبلغ نحو من أربعة وتسعين بيتاً فمطلعها:

تأوّبه طيف الخيال بمَرْيما
فبات مُعَنّى مستجناً مُتَيَّمَاً

ومنها قوله:ـ

وما مات من أبقى ثناءً مخلداً
وما عاش من قد عاش عيشاً مذمما

وهي مشحونة بمثل هذا البيت من الحكمة. وقد ختمها بهذه الأبيات التوجيهية الموغلة في الحكمة:

وإن جهل الجهال فاحلم وربما
يكون عليك العار أن تتحلما

وبالحسن ادفع سيئاً فإذا الذي
يعاديك كالمولى الأحمَّ وأرحما

ولا تقربن الظلم والبغي فاطّرح
فغبهما قد كان أردى وأشأما

وما اليمن إلّا البر والعدل والتقى
وما الشؤم إلا أن تخون وتأثما

والقصيدة موجودة بكاملها في المرجع المشار إليه آنفاً.

هل أعذب الشعر أكذبه؟ أم هل أعذبه أصدقه؟!!

والقول المشهور الذي يستشهد به بعض النقاد ودارسو الشعر هو قولهم: أعذب الشعر أكذبه

ـ وهذا القول قد يتفق وواقع الشعر من ناحية لغوية تنبثق من زاوية المبالغة فتحمل الموصوف ما لا يحتمل،وتصفه بما ليس فيه خاصة في مجال الغزل أو الفخر أو الهجاء. لكنني قرأت مقابلة أجريت مع الشاعر السعودي الكبير محمد حسن فقي. ونشرتها جريدة «البلاد» يوم السبت ١٤/١١/١٤١٢هـ، العدد ١٠١٨١، وفيها ما يخالف مفهوم ذلك القول إذ قال: ـ أنا أرى نقيض قولهم إن أعذب الشعر أكذبه ـ وعندي أن أعذب الشعر أصدقه.. والذي قال إن أعذب الشعر أكذبه ربما أنه يقصد التوشية لا اللب الشعري. التوشية اللفظية وتوشية الخيال.

وقد اشتملت تلك المقابلة على بعض النقاط التي لها صلة بالأدب. إذ علل الشاعر حسن فقي عدم مشاركته في الأندية والأمسيات بأنه لا يجيد الإلقاء الذي قال عنه إنه يحي أو يميت الموضوع سواء كان شعراً أو نثراً بل عزا ذلك إلى أنه عندما يلقى الشعر يتجسد شخوص أمامه فلا يملك دمعه ويأخذ في البكاء.. ـ وحول شاعريته ومعاناته وغزارة شعره قال: ـ الدجاجة لا تستريح إلّا بعد أن تبيض. وأنا لا أستريح إلّا بعد أن أنظم القصيدة وأتممها. ولهذا فأنا أشقى بالشعر وأسعد به.

ولعله من المناسب جداً أن أختم هذا الموضوع الذي اشتمل على

جانب من حديث الشاعر محمد حسن فقي بشيء من شعره. وليكن من قصيدته: «ضريبة.. وانتفاع»، التي تبلغ نحواً من خمسة وثلاثين بيتاً، منها قوله:ـ

إنـي بـلـوت الـنـاس مـن قـدم
فـشـقـيـتُ فـي صـغـري وفـي كـبـري

ولـقـد وثـقـتُ فـضـعـت مـن ثـقـتـي
حـتـى اهـتـديـتُ بـهـم إلـى حـذري

لـم ألـق مـنـهـم غـيـر مـضـطـغـن
يـبـدي الـوداد وغـيـر مُـتَّـجـر

ومنها قوله:ـ

لا يـخـدعـنـك مـن أبـالـسـة
لـيـن كـلـيـن الأرقـم الـذكـر

قـد كـنـت أحـسـبـهـم غـضـافـرة
فـإذا بـهـم مـن أسـوأ الـحـمـر

ولـقـد ظـفـرت بـهـم فـزهـدنـي
فـيـمـا ظـفـرتُ خـسـاسـة الـظـفـر

قـد كـنـت أنـكـر قـبـلـهـم وسـنـي
والـيـوم أنـكـر بـعـدهـم سـهـري

ويختمها بقوله:

لـولاهـمـا مـا غـصـت فـي لـجـج
أهـدتْ إلـيَّ نـفـائـس الـدّرر

○ ○ ○ ○ ○

الصدقة اختيارية. والزكاة جبرية!!

والمرء مجبول على حب الدنيا. ومطبوع على جمع المال وإنمائه بكل ما يملك من طاقة فكرية وقوة بدنية. . ـ ولكون المال دعامة أساسية لحركة الحياة بصفة عامة أحبه الناس حباً جماً. . وتسابقوا في جمعه وادخاره والتكاثر به. . وليس هذا بمستغرب لأن طبيعة الحياة تفرض ذلك. . ولهذا صار المال محكوماً بمفهوم يحدد أبعاد جمعه وأساليب تثميره ويضعه في إطار عقيدي إسلامي يعود بالاستمساك بمبادئه بالنفع على صاحبه في حياته وبعد مماته. وذلك بإخراج زكاته. والتصدق مه. وهذان العاملان. . أحدهما اختياري له مردود حسن على صاحبه من الناحية الاجتماعية والدينية وهو التصدق به. أما الآخر فهو إجباري يعاقب صاحبه على عدم تطبيقه عقاباً شديداً في الدنيا والآخرة. . ففي الدنيا يحارب وتعلن حرابته. . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما آلت إليه الخلافة بعد موت رسول الله ﷺ وارتد بعض الناس عن الإسلام من بدو وحضر وامتنع بعضهم عن دفع الزكاة التي كانوا يدفعون إلى رسول الله ﷺ: ـ والله لو منعوني عناقاً. وفي رواية: عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال. والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. وقد أبر بيمينه رضي الله عنه وأرضاه حيث قاتل الممتنعين وألزمهم بدفع الزكاة.

أما في الآخرة فقد ورد نوع العقاب الذي سيناله مانع الزكاة في نص هذه الآية الكريمة: ـ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾. ـ ومن الشعراء من يلفت النظر إلى هذا الموضوع

ويجدد التذكير به لينبه الغافلين عنه وذلك مثل قول الشاعر محسن عبد المعطي عبد ربه من قصيدة له قوامها ٢٨ بيتاً قرأتها في مجلة «منبر الإسلام» عدد ١٢، ذي الحجة سنة ١٤٠٩هـ.

واسلك سبيلك لا ترضى البديل به
ما دمت تبغي رضا الموصوف بالقدم

وانسج ثياب التقى من نبع تجربة
تحيا بها في غد موفورة الكرم

لا تلق بالاً لمال كنزه شرك
يوم القيامة يحمى المال في الضرم

يكوى به كانز للمال في شغف
ذق ما كنزت بدنيا الناس من نقم

فز بالعلوم تعش كالنجم في أفق
يسعى إليه جميع القوم في نهم

لا تسأل الخلق في ديوان بخلهم
وسل بديع الورى والكون من عدم

ويختمها بقوله:ـ

المال ينفد والذكرى معطرة
عام يفيد الورى من طيب الكلم

ويخلد العلم والغفران ديدنه
ما أجمل العلم في صفح وفي عظم

○○○○○

الشعراء والباء الموصولة بالهاء!!

ونحن حينما نستعرض قصائد الشعراء ذات القوافي المختلفة.. نرى أن بعضهم قد أضفى على القافية رونقاً وبهاء وعذوبة لفظية، وأنه قد توّجها بمعان بلاغية انسجمت مع وحدة بنائها وعضويتها. فانتظمت له عباراتها انتظام اللؤلؤ في السلك الحريري الذي يحفظها من التبعثر.. ـ لكننا إذا ما انتقلنا إلى شعر شاعر آخر ووقفنا منه على نفس القافية التي وقفنا عليها عند الشاعر الأول، وجدناها على نقيض ما أسلفنا ذكره إذ لا نجد فيها تلك المرونة والسلاسة. وإنما نجد نشوزاً وعسراً وتلكؤاً بل نجد نفوراً لا تنسجم معه الأذن، وعسر ولادة قطع كل صلة وثيقة بما يسبقها من عبارة تجعلها مبعث طرب للسان والأذن.. الأمر الذي يقف منه القارئ موقف الباحث عن مفقود مستحيل العثور عليه.

وإذا ما أردنا أن نبحث عن سبب لذلك، وجدنا أن المقدرة على تذليل القافية وتطويعها لا يتم إلّا للشاعر المطبوع، وإن لم يكن على درجة كبيرة من علم اللغة والمعرفة.. وإذا لم يكن مطبوعاً فإنه وإن كان عالماً بأسرار اللغة ومتبحراً في المعرفة والثقافة لا يأتي بمثل ما يأتي ذلك المطبوع؛ لأن الشاعر المطبوع شبيه بالرسام الفني الذي يعرف كيف يمازج بين الألوان ليخرج منها منظراً جميلاً يخلب لب صانع مادة الألوان.

ونحن نعلم أن حرف الباء المجردة هي من الحروف التي تساعد على الإسهاب في القصيدة.. أما إذا وصلت بحرف آخر؛ كالهاء مثلاً ظهر عامل القدرة وبرز الشاعر المطبوع على تطويع القافية من الشاعر المتكلف.

وبعد هذا يحسن بنا أن نستمتع بقراءة أبيات من قصائد مقفاة بحرف الباء الموصولة بالهاء لنرى ما فيها من عذوبة وجمال وسحر بيان.. فمن ذلك قول بشار بن برد من قصيدته التي امتدح بها مروان بن محسن بن مروان وقيس بن عيلان:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه
مفارق ذنبٍ مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقول طرفة بن العبد من قصيدة له:ـ

فكيف يُرجّي المرء دهراً مخلداً
وأعماله عما قليل تحاسبه

أما عنترة بن شداد فقد قال قصيدة على هذه القافية. منها قوله:ـ

كم يبعد الدهر مَنْ أرجو أُقاربه
عنّي ويبعث شيطاناً أحاربه

فيا له من زمان كلما انصرفت
صروفه فتكت فينا عواقبه

دهر يرى الغدر من إحدى طبائعه
فكيف يَهْنَا به حُرٌّ يصاحبه

جرّبته وأنا غِرٌ فهذّبني
من بعد ما شيبتْ رأسي تجاربه

وسوسة النفس!!

يكثر الحديث عن النفس ويتفرع تفريعات منها ما يشتمل على توصيات بعدم الانحراف معها فيما تميل إليه وتأمر به ما لم يكن موافقاً في منهجه للآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة.

والنفس في حد ذاتها تملك مقدرة فائقة في السيطرة على جميع مراكز قوى الجسم وحواسه، ولهذا فإن مقاومتها صعبة ولا يتصدى لها إلّا حكيم أو ذو عقل رزين.

ولأهمية تأثير النفس على الإنسان، وردت صور عديدة في القرآن الكريم فيها ما يثبت جنوحها وحمل صاحبها على ارتكاب الأخطاء الجسيمة من ذلك قوله تعالى على لسان امرأة العزيز في قصة يوسف: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٣]؛ وقال تعالى على لسان السامري في سورة طه آية ٩٦: ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾﴾، وقال تعالى في قصة قتل قابيل أخاه هابيل: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠]. ويشير القرآن الكريم وسورة النفس وذلك في قوله تعالى في سورة ق آية ١٦: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾. وفي قصة يوسف مع إخوته قال تعالى على لسان نبيه يعقوب مخاطباً أبناءه الذين ألقوا بأخيهم يوسف في البئر، ثم قالوا لأبيهم أكله الذئب وجاؤوا بقميصه ملطخاً بالدم كشاهد على صدق قولهم: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ

لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [يوسف: ١٨]. . . - والإنسان يكون له مع نفسه حديث يصل إلى درجة تأنيبها في بعض الأحيان. وذلك مثل حديث الشاعر محمد أمين الشيخ مع نفسه الذي ضمنه قصيدة، منها قوله:-

لمتُ نفسي أي شيء دهاها
فتمادت في غيها.. وهواها

استكانت إلى اللذيذ من العيش
واستراحت لرغده.. فسباها

ايه يا نفس.. ما طريقي الذي
سلكت. ولا غايتي.. ولا منتهاها

ليست الغاية الشريفة قصرا
نعتليه.. أو ضيعة تتباهى

إنما الغاية الشريفة الفكر
زوديها وغني في أيكها وسماها

أنت نفس لشاعر فأفيقي
إنما الشعر قمة لا تضاهى

لست نفسي.. إذا مضيت لغث
وسفاها ما تطلبين.. سفاها

فارفعي الرأس عزة لا تبالي
ليس بعد الإله نلقى إلها

○○○○○

هل انتشار الفكاهة مؤشر انحطاط
أم مؤشر ازدهار؟!!

والفكاهة أسلوب يتخذه الإنسان للترويح عن نفسه غير أنه من الصعب تحديد الزمن الذي بدأت فيه بالانتشار وأصبحت وسيلة ترفيه وترويح. وذات قيمة في حياة الناس. . ـ أما السؤال عن مفعول الفكاهة. وهل هي ظاهرة تشير إلى انحطاط العصر الذي تكثر فيه؟ أم هي مؤشر يدل على ازدهار ثقافة العصر الذي تنتشر فيها ويكثر مؤلفوها ورواتها؟. فإن البحث عن الإجابة ربما يأتي بنتيجة تعادليه في السلب والإيجاب. فإذا ما قلنا إن وجودها يكون دليلاً على أن هناك إبداعاً ثقافياً وصناعة أدبية. . فإن هذا القول يعني أنها علامة ازدهار ثقافي ومعرفي لأن صناعتها تتطلب خيالاً وفكراً وفلسفة تسبر أعماق المجتمع المحاط بسياسة قمعية تحارب واقعية الفكر الناتج عن وجهات النظر التي تتبلور عادة في الأسلوب الأدبي الجاد. . . ـ أما إذا قلنا إن الفكاهة هي آخر ما يستمسك به المجتمع الذي تخلف عن قطار الحياة العلمية والمعرفية أو انسحب من تحت أقدامه في غفلة من علمائه بساط الثقافة والمعرفة. ولم يعد في مقدورهم استدراك ما فات فلجأوا إلى تعويض ذلك بصناعة الفكاهة ونشرها لتصبح وسيلة مسلية. فإن هذا القول وبلا شك علامة تقهقر فكر وعلم وأدب.

وإذا كان لا بد لي من أن أورد هنا لوناً من ألوان الفكاهة. فإن الإتيان بشيء من الشعر الفكاهي الضاحك وارد وذلك وفقاً لشرط تأليفي لهذا الكتاب «الأدب المثمن»، والمدون في مقدمة الجزء الأول منه.

أما الشعر الفكاهي الضاحك الذي وقع الاختيار عليه فهو للشاعر ابن سودون الذي سبقت ترجمته في هذا الجزء تحت عنوان: «من هو ابن سودون الذي ملأ الدنيا بشعره الضاحك؟»؛ فهو رثاؤه لأمِّه. إذ يقول:ـ

لموت أمي أرى الأحزان تحنيني
فطالما لحستني لحس تحنين

وطالما دلّعتني حال تربيتي
خوفاً على خاطري كيلا تبكيني

أقول ـ نم نم ـ تجيء بالأكل تطعمني
أقول ـ أمبو ـ تجيء بالماء تسقيني

إن صحت ليلا ـ وأوا ـ لأسهرها
تقول ـ ها ها ـ بهزٍّ كي تنسيني

كم كحلتني. ولي في جبهتي جعلت
ـ صوصو ـ بنيلي وكم كانت تحنيني

وربما ـ شكشكتني ـ حين أغضبها
وبعد ذا ـ شكشكتني ـ كي ترضيني

وزغرطت في ظهوري فرحة وغدت
تنثر الملح من فوقي وترقيني

وفي زواجي تصدت للجلاد عسى
على المنصة تلقاني بتزيين

والقصيدة أطول من ذلك.

○○○○○

ابن سينا متهم بإحراق مكتبة الأمير نوح

والذي يريد أن يكتب كتابة موجزة عن الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا الذي ولدته أمه ستارة في صفر عام ٣٧٠هـ، وتوفي بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٤٢٨هـ، وقيل بأصبهان... - يحتار في أي جوانب يختاره من جانب نشاطاته الفكرية التي بلغ بها الرئاسة. كعلم الفلك والطب والمنطق وعلم الحساب والهندسة والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم الطبيعة.. - وقصة اتهام ابن سينا الذي له باع طويل في الأدب وصناعة الشعر تتلخص في أنه لما برع في علم الطب وصار يعالج الناس تأدباً لا تكسباً ذكر عند الأمير نوح بن نصر الساماني الذي تولى حكم خراسان وما وراء النهر بعد أبيه نصر بن أحمد سنة ٣٣١هـ، وبقي في الحكم حتى توفى سنة ٣٤٣هـ، وقد قيل عنه أنه حسن السيرة كريم الأخلاق. وقد استدعى ابن سينا لعلاجه من مرض ألم به فعالجه وشفي من مرضه لذلك قربه نوح منه وأطلعه على مكتبة عنده عديمة المثل فيها من كل فن. فصار ابن سينا يختلف إليها وقد ألم بأهم ما حوته من كتب من علم الأوائل.. - لكنه اتفق أن احترقت تلك المكتبة فتفرد ابن سينا بعلم ما حوته من علوم. فكان يقال إنه هو الذي تسبب في إحراقها لينفرد بمعرفة ما حصل عليه من علوم منها. ونسبه إلى نفسه.

وإذا لم تكن هذه الحكاية مدسوسة في سيرة حياة ابن سينا. فإن ابن سينا لم يكتم ما تعلمه بل دونه وبينه للناس في أكثر من مائة مصنف له، ولم يكن أنانياً.

وما ينفي عنه إقدامه على إحراق المكتبة المذكورة يقال عنه أنه إذا استعصى عليه فهم مسألة توضأ وقصد المسجد وصلى ودعا الله أن

يسهلها عليه ويفتح مغلقها له.. ورجل هذه صفته ويعرف الله حق المعرفة ومتقن علم القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره. لا يجلب ضرراً لغيره ولا يقدم على مثل هذا العمل التخريبي.

أما نشاطه في مجال الأدب والشعر فهو لا يقل أهمية عن سائر نشاطاته العلمية، وشعره يتسم بطابع الفلسفة، وله قصيدة فريدة تناقلتها كثير من كتب الأدب، عنوانها: «النفس» وعدد أبياتها ٢٠ بيتاً، منها:

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنُّعِ

وقوله:ـ

وتظل ساجعة على الدّمن التي
درست بتكرار الرياح الأربع
إذ عاقها الشرك الكثيف وصدّها
قفص عن الأوج الفسيح المرْبَع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى
ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كُشف الغطاء فأبصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلَّف
عنها حليف الترب غير مشيع

وقوله:ـ

وهي التي قطع الزمان طريقها
حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع

فلسفة قص الشارب وضرر إعفائه!!

والشارب قد تكون تربيته وإعفاؤه من القص في بعض المجتمعات غير الملتزمة بآداب الإسلام أو المجتمعات غير الإسلامية، معني للفتوة، ورمزاً للعنترة والشدة والشجاعة وقوة البأس.. وهذه الصفة مأخوذة من شريعة الغاب. بل هي تقليد لسيد الحيوانات ـ الأسد ـ.

وأساليب المدح غير الملتزمة بآداب الإسلام تأتي في بعضها ممجدة لأصحاب الشوارب الطوال.. بل إن بعض المادحين يجعل من طول الشارب وكثافته قياساً لشخصية ممدوحه. ومستوى مضاءته وجرأته وحزمه في أفعاله... ـ أما الإسلام فقد مقت بشدة إعفاء الشارب وحلق اللحية. وأمر بعكس ذلك تماماً، حيث وردت أحاديث كثيرة في هذا المجال، منها ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفطرة خمس: الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط». وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «احفوا الشوارب واعفوا اللحى» وعن ابن عمر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا المشركين احفوا الشوارب وأوفوا اللحى». وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ جزّوا الشوارب وأرخوا اللحى» وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» قال زكريا ابن أبي زائدة.. وهو أحد رواة الحديث: قال المصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. قال وكيع: انتقاص الماء، يعني الاستنجاء... ـ

وإذا رجعنا إلى الناحية الصحية من حيث إطالة الشارب وجدنا إطالته منافية لقواعد الصحة، كيف لا وهذا الشاعر المسيحي رشيد سليم الخوري الذي لا يعترف بتعاليم الإسلام ير أن إطالة الشارب فيه معارضة للصحة إذ يقول من قصيدة ساخرة له:ـ

قالوا حلقت الشاربين
ويا ضياع الشاربين

فأجبتهم: بل بئس ذا
ن ولا رأت عيناي ذين

الشاغلين.. المزعجين
الطالعين.. النازلين

ويلي إذا ما أرهفا
ذنبيهما كالعقربين

ومنها يقول:ـ

فإذا أردت الأكل يقت
سمان بينهما وبيني

وإذا أردت الشرب يمـ
تصان كالإسفنجتين

فكأنني بهما وقد
وقفا بباب المنخرين

عبدان من أشقى العبـ
يد تقاضيا ملكا بدين

○ ○ ○ ○ ○

ما هو على وزن ـ فاعول ـ ولامه ـ سين ـ !!

وإذا كان العالم باللغة شاعراً فإنه كثيراً ما يترك أثراً يتحف به الناس. خاصة إذا كان يتصيد غرائب اللغة وعجائبها. ويرصدها في أبيات شعرية.

ـ وعلى هذا فإنه من الواجب علينا البحث فيما يخلفه العلماء من أثر علمي وتراث أدبي بصفة عامة لنستخرج منه الغرائب التي أزاحوا عنها الستار ووضعوها في قالب شعري جميل ومشوق.

ومن العلماء الذين كان لهم صيد في بحر التفعيلات وأوزان الكلمات، العالم المجيدري بن حبيب الله الشنقيطي واسمه محمد. قال أحمد الأمين الشنقيطي مؤلف كتاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»: يقال له.. محمد ـ بالذال المعجمة ـ مصحف محمد ـ... ثم روى عنه أبياتاً فيما جاء على وزن ـ فاعول ـ ولامه ـ سينا. ـ كناقوس، وجاسوس، حيث قال:

خذ ما أتى وزن فاعول وآخره
سين فمنه لداء الطفر داحوس

ولم يحصل من المؤلف شرح لهذا البيت. لذا عادت بي الذاكرة إلى أننا كنا في ناحيتنا في منطقة سدير نسمي قريحة تخرج في أصابع اليد بالداحوس فبحثت عن صحة لغتها فوجدت في «لسان العرب» معانياً ل ـ د ح س ـ منها أن الدحس: الإفساد بين الناس. ودحس ما في الإناء دحساً: حساه. والدحاسة: دويبة تحت التراب وجمعها دحاسيس. والدحس: إدخال اليد بين جلد الشاة وصفاقها لسلخها. والدحس:

امتلاء أكمة السنبل من الحب. وقد ذكر ابن منظور غير ذلك من معانيها، وأعود إلى القصيدة.

وقيل للنار مأموس وموضعها
أيضاً كذاك وبعض الطير طاووس

وللنصارى بأوقات الصلاة يرى
ضرب لعود وذاك العود ناقوس

ومظلم الليل داموس وصاحب سر
الشر والخير جاسوس وجاسوس

وللأخير بنا موسى مرادفة
وللعواقل في الحيَّات فاعوس

وذو النمامة فانوس وفي بقر
نوع يقال له بمصر جاموس

والبحر معظمه القاموس عندهم
وللرضيع من الأطفال يابوس[1]

ووزن فاعلة من دَبَّ متسم
بها اسمها عندهم فاحفظه عاطوس

قال الشارح: وبقي على الشاعر ذكر ـ الكابوس ـ وهو ما يقع على النائم بالليل لا يقدر معه أن يتحرك.

○ ○ ○ ○ ○

(١) اليابوس: الصبي الرضيع. وكذلك ولد الناقة يقال له: يابوس أيضاً.

صورة فكاهية يرسمها بشار لحماره!!

والصورة الفكاهية التي سأتحدث عنها وأعرض جانباً منها هي أشبه بما نعرفه اليوم بالصورة الكاريكاتيرية. ولكن بريشة من يا ترى؟ إنها بريشة الشاعر العباسي بشار بن برد المولود سنة ٩٦هـ، والمتوفى ١٦٦هـ، الذي خلف وراء صفحات عديدة عليها من الصور الكاريكاتيرية ما لفت النظر شأنه في ذلك شأن الكثير من الشعراء الذين يميلون إلى الفكاهة اللاذعة في أشعارهم. ولهذا فإن الدارس لصور الفكاهة في شعر بشار يحتار في أي منها يعرضه لقارئه.

أما أنا فقد اخترت لك أيها القارئ العزيز صورة حمار.. كان التعليق الشعري عليها بلسان بشار... يقول: لقد انتخبت ذلك الحمار من بين حمير كثيرة لأن لونه أبيض كلون القمر لكنه كثير الضراط الذي ربما كان علامة قوته ونشاطه.. ـ وقد عدّ بشار ضراطه مرة فأخطأ ولم يحزم أهي سبعون ضرطة أم مئة. لكنه لم يخطئ في عد ضراطه وهو يتمرغ فقد عدله ألف ضرطة طيرت تراب المراغة وصار ترابها كأمس الذاهب إذ يقول:

كثر الحمير وقد أرى في صحبتي
منهن أقمر منعجاً بالراكب

يعدو فيضرط من نشاط عارم
سبعين أو مائةً حساب الحاسب

وإذا تمرغ عدّ ألفاً كاملاً
يَدَعُ المراغة مثل أمس الذاهب



ويمضى بشار في التعليق على صورة حماره الكاريكاتيرية الفكهة مبيناً بعض صفاته الخشنة، والتي منها أنه يرامح من يدنو منه، وأنه ضخم المقذ الذي هو نهاية شعر الرأس:

أشر ببطنته يرامح من دنا
ضخم المقذ شديد شَغْب الشاغب

ولم يغفل بشار عن الإشارة إلى تطبيع حماره تطبيعاً يستجيب بموجبه لأي زجر يوجهه إليه:

إن قام يسرجه الغلام زجرته
لزيادة منه وحق واجب

وبعد هذا يدخل بكلامه عن حماره في شبه دائرة فلسفية. تاركاً الفكاهة والتعليق الكاريكاتيري الذي أخذ به في بداية رسم صورة حماره. إذ يقول:

خلّيت مركبه ورحت لحاجتي
مشيا يكلفني لُغُوب اللاغب

وأرى الصحابة شيعتين.. فمنهما
أُنْسٌ وبعضُهُم غبورةُ حالب[1]

ولقد مشَيْتُ عن الحمار تكرماً
والمشي أكرمُ من ركوب الصاحب

○○○○○

---

(١) غبورة: البقية فيما يظهر من سياق الكلام.

مستوى الشعر الغزلي في الجاهلية
وبعد ظهور الإسلام!

والذي يمعن النظر في جانب الغزل في الشعر الجاهلي بقصد المقارنة من حيث مستوى اللفظ الأدبي بينه وبين غزل بعض الشعراء الذين عاشوا في كنف الإسلام وتحت ظله. يجد فرقاً واضحاً وبوناً شاسعاً من حيث الجرأة على الإسفاف في الوصف الوضيع في الغزل لدى بعض الذين عاشوا في الإسلام ولم يتأدبوا بآدابه. . . ـ والغريب في الأمر أن بعض النقاد الذين يطربهم الأدب المكشوف ذي الألفاظ المبتذلة يعد ذلك الإسفاف وتلك السخافات اللفظية جانباً من أساليب التجديد في الغزل. . . لكن الواقع الأدبي يرفض هذا التعليل. كيف لا. ونحن ما قرأنا شعراً غزلياً لشاعر جاهلي ووجدنا فيه لفظة مبتذلة تستبدل في مكانها بأصفار لسخافتها وهبوط معناها الذي لا يليق بالكاتب المؤدب أن يعرضها بنصها للقارئ. . مثل ما نقرؤه لبعض الشعراء الذين عاشوا في كنف الإسلام.

وكشاهد على حشر بعض شعراء الإسلام للألفاظ الرخيصة الساقطة: هذا البيت الذي أورده أبو حيان التوحيدي في كتابه «الرسالة البغدادية»:ـ

ذات عـجـز لـه مـجـال فـسـيـح
يـلـعـب «...» فـيـه الـطـبـطـاب

ولا أريد أن أزيد من الاستشهاد بمثل هذا تأدباً معك أيها القارئ بقدر ما أريد اتحافك بنماذج من أبيات غزلية لبعض شعراء الجاهلية

لتقيم الحكم بنفسك.. فمن ذلك قولهم في الحاجب. والقائل هو قيس بن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة

بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ويروى أن عبد الرحمٰن بن عوف كان في سفر، وكان رباح يغنيه، فأدركه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما هذا يا عبد الرحمٰن؟ قال: نقطع به السفر. فقال عمر: إن كنت لا بد فاعلاً فخذ:

أتعرف رسماً كالطراد المذاهب

لعمرة وحشاً غير موقف راكب

وذكر البيت السابق وهو الذي ـ وأعني بذلك البيت ـ قيل أن النمر بن تولب صاغه في بيت له هذا نصه:ـ

فصارت كأن الشمس تحت قناعها

بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ومن صور الغزل الرفيع عند الجاهليين قول الأعشى ميمون بن قيس:

رعبوبة فُنُق خمصانه ردح

قد أشربت مثل ماء الدر إشراباً

تميل جثلا على المتنين ذا خصل

يحبو مواشطه مسكا وتطبابا

ويصف الشاعر الجاهلي أحيحة بن الجلاح الأوسي جيد مليكه قائلاً:ـ

ما أحسن الجيد من مليكة والـ

ـلبات إذ زانها ترائبها





ويقول الحطيئة واصفاً قوام أمامه ومنتقبها أي موضع النقاب:

طافت أمامه بالركبان آونة يا حسنه

مـــن قـــوام مـــا ومـــنـــتـــقـــبـــا

ومع هذا فأنا لا أبرئ الغزل الجاهلي من السقطات، لكنه لا يقاس بمبتذل الغزل في الإسلام وممعن النظر يدرك ذلك.

○○○○○

صفات وتعريفات في أبيات

يمر الشعراء بمواقف يعرفون الناس فيها نفسهم وصفاتهم. وأحياناً يحصل منهم التعريف لمن يتناولونه بالمدح أو الهجاء.

وبطبيعة الحال فإن تعريفاتهم كثيراً ما تأتي في أبيات سلسة يسهل حفظها وتتداولها الألسن. وتدور حولها تفسيرات ويحصل عليها تعليقات تبرر وجودها.

والبحث عن شواهد لذلك ينقلنا على جناح السرعة إلى قول المتنبي الذي عرف نفسه بقوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

وبعد هذا البيت بأبيات يشير المتنبي إلى أن هناك أشياء تعرفه غير بني الإنسان إذ يقول:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

أما التعريف بالغير من باب الامتداح وفي مجال الرفع من مقام الممدوح أو التذكير بمكانته وعلو شأنه وقدره. فأوضح شاهد على ذلك قول الفرزدق في زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حينما أراد رجل من أهل الشام أن ينتقصه بسؤال هشام بن عبد الملك عنه وإنكار هشام معرفته لأمر ما. وقد كان الفرزدق حاضراً، فقال: أنا أعرفه ثم اندفع وأنشد قصيدة طويلة تبلغ ٢٧ بيتاً، استهلها بقوله هذا الذي تنكر معرفته يا



هشام تعرف أشياء جمادية فضلاً عن الإنسان وذلك بقوله:ـ

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

وبعد هذا البيت بيتين يؤكد الفرزدق بأن هذا الشخص الذي تجاهلته يا هشام تعرفه العرب والعجم قاطبة وأنه لن يضيره إنكارك له:

وليس قولك من هذا بضائره

العرب تعرف من أنكرت والعجم

وقد أخذ الشاعر جحظة البرمكي نص البيت الأول عاكساً التعريف الذي تضمنه ومثبتاً في بيت آخر الأشياء التي تعرفه. وهي على حد قوله الضر والبؤس والعدم. إذ يقول:

لست الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت تعرفه والحل والحرم

أنا الذي دينه إسعاف سائله

والضر يعرفه والبؤس والعدم

وهذان البيتان من جملة أربعة أبيات لجحظة المتوفى ٣٢٦هـ، تقريباً وقد وجدتها مدونة في كتاب «الفكاهة في الأدب.. أصولها وأنواعها» للدكتور أحمد محمد العوفي، وهي في جملتها عبارة عن إجابة من جحظة على سؤال وجه إليه بهذا النص:

وقائل قال لي من أنت؟ قلت له

مقال ذي حكمة واتت له الحكم

ثم ذكر البيتين المتقدمين وبعدهما جاء قوله في صيغة تكرير للتعريف السابق:

أنا الذي حبُّ أهل البيت أفقره

فالعدل مستعبر والجور مبتسم

نظرة في واقع الفتاة ومستقبلها

لقد كتبت كثيراً عن الأم ودورها في حياة المجتمع عامة وحياة النشء خاصة. وذلك في موضوعات متفرقة في الأجزاء التي تقدمت هذا الجزء. واستشهدت بالكثير من أقوال الشعراء في دورها الريادي والقيادي.. ـ لكنني في هذا الموضوع أحببت الوقوف والنظر إلى واقع الفتاة التي لم تصبح أماً بعد. واستيقافها لمناقشتها عن مدى استعدادها النفسي الذي يؤهلها بأن تكون أماً يشار إليها بأصبع الاعتراف بجميل صنعها عندما تبني النفوس وتهذب الأخلاق وتغرس الفضائل فيما ستخلفه من أبناء يكون لها في صلاحهم يد بعد الله.

ـ لكن الذي يجب أن نقف عنده قبل مناقشتها هو مساءلة أنفسنا كولاة أمر لها عما قدمناه لها. فهل نحن قمنا بما يجب علينا نحوها وعلمناها تعليماً ممزوجاً بالتربية والأدب وهل عرفناها بما يجب أن تكون عليه الأم الصالحة. ورسمنا لها خطوطاً عريضة تنطلق من عاداتنا وتقاليدنا الإسلامية. إن كنا قد فعلنا ذلك أدرجنا في مناقشتنا لها القول بأن العلم لا يكفي وحده لإعداد فتاة لتكون أماً مطبقة لمعنى الأمومة.. ثم نسوق لها من الأمثلة التي يكون للأدب التربوي فيها أثر لا يقاس بأثر العلم وحده.

ثم لنطربها بما ورد في ذلك من شعر على لسان شاعرنا وأديبنا الكاتب والمؤرخ عبد الرحمٰن عبد الكريم العبيّد الذي يقول في مستهل قصيدة له عنوانها: «إيه فتاة بلادي»:

والعلم إن لم يتوج بالهدى نزعت
منه المفاخر حتى عاد ممتهنا



وكم فتاة زهت بالطهر صادقة

إذ لقنت بيتها القرآن والسننا

وكم فتاة هوت من أوج منزلها

بالانحراف وراحت تدفع الثمنا

إذاً الأدب الذي يتمثل في التزام الخصال الحميدة والصفات الحسنة هو القاعدة الأساسية لتهيئة الفتاة لتكون أماً ناجحة. وعلى هذا فإن تربية عقل الفتاة وتهذيب أخلاقها وإعدادها بأسلوب الأدب التربوي المؤثر يحملها طواعية على أخذ دورها في الحياة بدافع الأمل في أن تصبح أماً ناجحة:

ومن صور التوجيه اللبق قول العبيّد من تلك القصيدة.

إيه فتاة بلادي والدعاء له

باب يدق وتمجيد وفيض ثنا

أعانك اللّه إن العقل محمدة

فيه التقى وعفاف يصلح البدنا

أعانك اللّه للأجيال مدرسة

تساقط الخير من أفنانها ودنا

لا يستوي مخلص للّه يعبده

بشرعه وغوي يعشق الفتنا

ومن يطبق دين اللّه ملتزما

لا يخشى هماً ولا غمًّا ولا حزنا

○○○○○

تقاول في قصيدة

يصنع الشعراء تقاولات شعرية في بعض قصائدهم صناعة يقف منها القارئ موقفاً بين المشكك في صحتها وبين المصدق بواقعها.. فإذا ما قرأ قصيدة فيها من التقاول ما فيها. وتبادر إلى ذهنه أثناء قراءتها قولهم «إن أعذب الشعر أكذبه» لزم جانب الشك في صحة ما تضمنته القصيدة من تقاولات. وحملها على أنها خيالات طافت بذهن الشاعر فسجلها في صورة تقاول. ليس إلّا.

ـ لكنه إذا ما قرأها ـ وأعني بذلك القصيدة المشتملة على التقاولات «أي قلت وقالت أو قالت وقلت» ـ وتبادر إلى ذهنه أن الشاعر كثيراً ما ينقل الصور التي شهدها مجسدة بحذافيرها في أبيات تفيض بدقة الوصف الذي يقوم بواقعه مقام مخبر يعتمد عليه في نقل الخبر. ولا يشك في أمانة نقله له.

ولقد حصل مني إشارة في موضوع تقدم في الأجزاء السابقة إلى التقاول عند الشعراء واتخاذه وسيلة للبوح بما يخالج نفوسهم من أمور يتطلب توضيحها شيء من الأسلوب القصصي المتمثل في قالت وقلت وقلت وقالت...

والشعراء يلجأون في غالب الأحيان إلى ذلك التقاول في تغزلاتهم التي يبتعدون فيها عن الرمزية وأساليب التعمية.

ومن صور التقاول هذه الأبيات التي أقتطفها من قصيدة للشاعر محمد فرج الذي جعل المبتدئ في ذلك التقاول فتاته. وذلك بقوله:ـ

قالت فتاتي وقد فاضت مواجعها
على الخدود بدمع سال هتانا



لم افترقنا وحالت بيننا زمنا
أسوارهم بناها الشك بهتانا

لم افترقنا وقد كانت مواسمنا
ملء الغصون بشدو الطير الحانا

فأجابها بقوله:ـ

فقلت: لا تجزعي إن لفنا حلك
فربما قد تغيب الشمس أحيانا

وربما لبدت آفاقنا سحب
وأمطرت في ليالي الهجر أحزانا

لكنما لم تزل بالقلب أغنية
تشدو بحبك أياماً وأزمانا

غداً تعود الطيور الراحلات.. غداً
سينبت الروض أزهاراً وريحانا

فيا فتاتي تعالي لم يزل أمل
يمور في أضلعي حبا وتحنانا

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ١٤ بيتاً وقد نشرتها «المجلة العربية» ـ في العدد ١٧٨، ذي القعدة سنة ١٤١٢هـ.

○○○○○

معارضة قافية. وعشق فلسفة!!

في موضوع تقدم في هذا الجزء عنوانه «ابن سينا متهم بإحراق مكتبة الأمير نوح» أشرت إلى أن للرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا قصيدة فريدة وأوردت منها ثمانية أبيات ومطلعها:ـ

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنُّعِ

وقد تناولتها بعض الأقلام التي تهوى الخوض في الفلسفة، وتعشق التفلسف. وكان منها ما هو مؤيد لفلسفة ابن سينا فيها. ومنها ما هو معارض لآرائه التي ضمنها إيّاها. ولا أريد هنا ذكر شيء من تلك الآراء إذ هي مدونة في كثير من الكتب الأدبية ذات الطابع الفلسفي.

والذي حملني على الإشارة إلى قصيدة ابن سينا هنا هو عثوري على قصيدة طويلة ذات مقاطع متعددة للشاعر مصطفى متولي والتي جعل عنوان أحد مقاطعها «الروح» وفي ذلك المقطع الذي بلغ ثلاثة عشر بيتاً تحدث فيها إلى الروح أو إلى نفسه بقوله:

كان الصفاء عليك يوماً والهدى
ولك المعزة والمحل الأرفع

وبعد هذا البيت ينطلق في مخاطبة نفسه التي تحولت من حالة كانت فيها كالطفلة الصغيرة المدلّلة التي تملؤها البراءة والطهارة.

يا نفس كنت كطفلة في مهدها
تلهو كما شاء النعيم وترتع[1]

يا نفس كنت كطائر في روضة
يشدو بآيات الجمال ويسجع

إلى حالة أصبحت ببلوغها مكلفة بأشياء لا تخلو من جلب الشقاء إليها.

والآن يا نفس هبطتِ إلى الثرى
وشقيت بالدنيا فبئس الموضع

ويذكرها بما يريده الله منها ليحملها على أخذ الحذر من الانغماس في المآثم ويطالبها باستمراريتها مواصلة البراءة والطهارة التي كانت عليها يوم أن كان شاباً.

يا نفس إن اللّه يكره أن يرى
عبداً تخب به الشرور وتوضع

يا نفس إن اللّه يكره أن يرى
عبداً يشب على النفاق وييفع

وحتى لا تيأس من غفران الله ورحمته فتلج في تيهها في الضلال وتعمد إلى العناد يذكرها بأن الله يفتح باباً لكل تائب آيب.

يا نفس إن اللّه يفتح بابه
للتائبين فما لهم لم يسرعوا

○ ○ ○ ○ ○

(١) ليته قال: «كما شاء الإله»، وجعل المشيئة لله لا للنعيم.

جانب من واقع التّمنّي

ولقد ورد في القرآن الكريم ذكر التمني بـ «ليت» في عدة مواضع لعدة أعراض. منها التمني بنيل مظاهر الحياة الدنيا والتقلب في نعيمها ورغد عيشها، وذلك ما ورد على لسان قوم قارون في سورة القصص آيـــة ٧٩: ﴿. . . قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ وهذا تمنٍّ جاء نتيجة مشاهدة لواقع سلب عقول الذين يحبون الحياة الدنيا ولا ينظرون إلى الآخرة ونعيمها المقيم.

- ومن التّمنّي ما يكون وليد كسل وخمول يحول بين صاحبه وبين اللحاق بالذين يعملون ويغنمون. ومنه ما تكون نتيجة تفريط أو تعنت وتكبر وتجبر وهذا كثير ما يعبر به الخاسرون يوم القيامة. وما جاء به القرآن على ألسنتهم قوله تعالى في سورة الفرقان آية ٢٧، ٢٨: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الفجر آية ٢٤: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ وقوله تعالى في سورة الأحزاب آية ٦٦: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾، وقوله تعالى في سورة النبأ آية ٤٠: ﴿. . . يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾. ومنها ما هو نتيجة لتطلعات لأشياء لم ترها العين وإنما هي تصور تحشده خواطر تطوف بمخيلة من يختار الدعة على المثابرة والخمول على الحركة والكسل على العمل ويكتفي بصياغة عبارات التمني وهو مخلد إلى الأرض لا يسعى ولا يعمل وإنما تذهب به الأمنيات وترجع وهو على جنبه مضطجع.

ويمر بالإنسان مواقف تجعله يفصح عن رغبته بتمني الموت وذلك مثل ما جاء على لسان مريم في قوله تعالى في سورة مريم آية ٢٣: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾﴾.

وكثيراً ما تتوافد الأمنيات على الإنسان عندما يذهب به التفكير في الانتقال من حالة إلى أخرى يستحيل عليه تطبيقها عملياً لأسباب تعود إلى تكوينه، وذلك كتعشقه صفة لمخلوق ليس من جنسه وتمنيه لو أنه طائر يحلق في السماء وينتقل من مكان إلى مكان آخر ويغرد بحرية فوق كل شجرة.. وهذا ما عبر عنه الشاعر مصطفى متولي في قصيدة له منها قوله:

يا ليتني طير يحو
م بين أجواء المُثُل

حتى أرى كنه الحقا
ئق دون زيف أو دجل

حيث البراءة والطهارة والـ
وسامة والأمل

في عالم غمرته أنـ
وار الإلوهة فاكتمل

يا ليتني طير يغـ
رد في المساء وفي السحر

مستلهما أشهى الأما
ني شاديا أحلى السمر

متطلعا نحو الكما
ل مجانبا دنيا البشر

بين النسائم والخما
ئل والجداول والزهر

قصيدة متقاعد!!

والحديث عن التقاعد والمتقاعدين يطول ويعرض من حيث أهمية واقعه وخلفياته.

ولست هنا بصدد ذكر ما يجب على المتقاعد فعله. ولا بصدد الحديث عن نظام التقاعد وأحكامه. ولكن الذي كنت ألتمس رصده هنا هو شعور المتقاعد لحظة مغادرته مكان عمله وزملائه. فوجدت أن الذي يستطيع التعبير عن ذلك هو الذي كان يمتلك معنوية راقية. ونفساً ثابتة لا تقبل تفسير وداعه لمكان عمله وزملائه بأنه توديع الحياة وصفو عيشها.

وقبل أن أنقل الصورة التي رسمه المتقاعد بألوان متفائلة في أبيات شعرية شابة. أرى نقل خبر له علاقة بذلك. وهو ـ أنه في آخر أيام شهر شعبان من عام ١٤١٢هـ، دعا الأستاذ الكبير والعالم الجليل أبو عبد الرحمٰن بن عقيل الظاهري عدداً من أصدقائه إلى مائدة الغداء. وقد كنت ومعالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر من المدعوين فاستقلينا سيارة واحدة وهناك وجدنا عدداً من الأدباء والشعراء من بينهم الشاعر عمران محمد العمران. وبعد الانتهاء من تناول طعام الغداء ونحن في طريق عودتنا سألت الدكتور الخويطر قائلاً: هل صحيح أن عمران قد أحيل إلى التقاعد؟ قال: نعم ـ قلت: ما أظنه إلا قائلاً شعراً في ذلك. وعند ذكر الشعر امتدح الخويطر الشعر وتمنى لو أنه كان شاعراً مجيداً ثم رحنا في حديث عن الشعراء والتراسل بالشعر وغير ذلك. ـ وبعد شهر تقريباً طالعتنا المجلة «العربية» في عددها ١١٧، لشهر شوال سنة

١٤١٢هـ، بقصيدة للشاعر عمران العمران وقد جعل عنوانها من واقع سني عمره «من وحي الستين» وفيها بث شعوره وباح بارتياحه وسروره لبلوغ الستين من عمره. وملأها بأحاسيسه المفعمة بالنشاط والحيوية.
- منها قوله:

لأن فزعتَ من «الخمسين» مذعوراً
وخلتَ حالك منها اليوم ممرورا

فإنني بمديد العمر مغتبط
وإنني بـ ـ ـ بالستين ـ مسرورا

أودعتها من شجوني كل شاجيةٍ
ونمتُ في جفنها نشوان محبورا

أودعتها بوح إحساسي فما ختلتْ
يوماً ـ ولم يك منها السر منشورا

عبرتُها.. ناصع الوجدان مبتهجا
جزل القناعة.. جم الحمد مستورا

أصون من وجناتي ماءها أنفا
وارفع الهام.. لا أخشى محاذيرا

ما نال مني الهوى جنبا وما علقت
روحي بطيف الخنا.. فعلا وتعبيرا

وما حملت من الأضغان أوهنها
أو كنت من زلةٍ هوجاء موثورا

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ خمسة عشر بيتاً.

○ ○ ○ ○ ○

الأغلال في القرآن

لقد ورد ذكر الأغلال في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها أنه جاء رداً على اليهود الذين قالوا: يد الله مغلولة. وذلك بقوله تعالى في سورة المائدة آية ٦٤: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ ...﴾ الآية، وقد جاء ذكر الأغلال كناية عن قيد في الرقبة وذلك في قوله تعالى في سورة يس آية ٨: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾، وقوله تعالى في سورة سبأ آية ٣٣: ﴿... وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. لما جاء الغل كناية عن السرقة أو الخيانة وذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران آية ١٦١، نافياً سبحانه وتعالى عن أنبيائه تلك الصفة: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾.. والغل نوع من العذاب يشمل الذين لا يؤمنون بالله ويسبق إدخالهم جهنم وتصفيدهم في سلاسلها. قال تعالى في سورة الحاقة آية ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ وقال تعالى في سورة الإنسان آية ٤: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾.

والالتزامات الصعبة التي تكلف الإنسان فوق طاقته تعد من الأغلال وذلك كتلك العادات والتقاليد الجاهلية التي وضعها الرسول ﷺ واستبدلها بما هو خير لأمته قال تعالى في سورة الأعراف آية ١٥٧: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ . . .﴾ الآية.

ومن هذه المفاهيم المجازية والحقيقية للغل يستوقفنا سؤال يقول: هل المرء يغل نفسه بنفسه؟ أم أنه يدخل في شرك الغل دون أن يشعر في بداية الأمر ثم يرضخ لربقته ويظل منغمساً في سوء حاله؟ والإجابة على ذلك تحتاج شرحاً طويلاً يدخل بنا من الناحية المجازية في العقائد. ويطوّف بنا بمعناه الحقيقي حول بعض ما يرتبط بالتعامل الدنيوي. إذ له معاني لغوية كثيرة سأذكر شيئاً منها في موضوع لاحق إن شاء الله ـ في هذا الجزء ـ.

أما غل النفس بالنفس فلا أرى له تفسيراً أوضح من كونه الرضا بالجهل الذي لا يعفي من الجزاء والعقاب. والأبشع من هذا أن يكون الإنسان مستنيراً بعقله وفكره فيعمد إلى الدخول في أغلال تحد من استنارته وتكبل أفكاره وتشطح به عن الطريق المستقيم، فلا يجدي فيه نصح. ولا يصرفه عنه عذل. قال الشاعر مصطفى متولي. واصفاً الذين يغلون أنفسهم:ـ

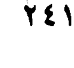
عرّفتهم قصد السبيل فأعرضوا
عني وزادوا شرة وتجبُّرا

هذي نفوس لو أضأت لها السبيـ
ل لأغمضت وتهيبت أن تنظرا

حب الجهالة قد تملك لبها
وأبت من الأغلال أن تتحرّرا

كم من فتى ضاقت به الدنيا إذا
شق الطريق إلى الرجاء تعثرا

عجباً لأحداث الزمان فإنها
تقصي الأبيّ وترفع المتكبرا





ترمي الذكي العبقري ببأسها
حتى ترد مضاءه متكسرا

وتبيح للقدم اللئيم نعيمها
فيعيش موفور النعيم ميسرا

أرأيت روما كيف كان مصيرها
لما بنار الحقد أفنت قيصرا

○○○○○

بؤس يفضي إلى السأم من الحياة!!

واليأس إذا استولى على قلب الإنسان جرده من الأمل. وأضعف فيه المقدور على العمل. فهو مرض يصعب تشخيصه. وداء لا يمكن تخصيصه.

والذي يستسلم لليأس تؤول حياته إلى بؤس وشقاء وتعاسة. وتتحول حياته إلى أوهام وشكوك تسيطر على قواه العقلية وتوهن قواه المنكرة وأحاسيسه المدبرة بحيث تجعله يمل من الحياة، ويستبطئ الموت.

- والذي يبوح بيأسه من العيش في الحياة يأتي بالعجيب من أوصاف يأسه وقنوطه من الحياة.

وحول هذا الموضوع. قرأت قطعة شعرية للشاعر أحمد العاصي في الجزء الأول من ديوانه استهلها بقوله:-

غداً الرحيل وفي غد سنودع

هل من حبيب قلبه يتصدع

وشكه في أنه لا أحد يحزن لرحيله، لا يكفي للبوح ببؤسه، وأنما يلحق ذلك بنص يحقق فيه سأمه من العيش. إذ يعيد التساؤل عما إذا كان هناك صديقاً أو حبيباً يألم لفراقه، أو يحزن لموته.

عشنا بها حتى سئمنا عيشها

هل بعد فرقتنا تفيض الأدمع

والبؤس الذي يفضي إلى السأم من الحياة يجري على لسان الذي





قد عانى من ذلك التصريح بعيافة المقام في الحياة.

عفت المقام بها وما لي حيلة
إلّا الرجوع لمن إليه المرجع

إن كان حقاً ما فعلت فغبطة
أو لا فعفو اللّه عني أرفع

ولا تجدي الشجاعة إذا دب البؤس في النفس وتسلل السأم إلى القلب لأن البؤس، والسأم يحجب الرؤية عن صاحبه فتضيق أمامه جهات الدنيا. فيحصل منه الاستسلام.

أنا من علمتم في الحياة شجاعتي
وتصبري والخطب خطب أروع

ضاقت بي الدنيا وضقت بوصلها
إني أشيعها وتلك تشيع

والبؤس لا يترك للبائس بدأً من التفكير غير المنقطع في مفارقة الحياة.

وإذا الفراق تعددت أسبابه
أزمعته والخير فيما أصنع

وإلى جانب هذا فالبائس كثيراً ما يكون محباً للموت. ولا يتوجع من لقياه.

فبوجه صرف الموت قلبي مولع
ولبعد وجه العيش لا أتوجع

○○○○○

الشفاء في القرآن

وقراءة القرآن العظيم تزيل الأوهام وتبرئ الأسقام وتصفي النفوس وتشحذ الأذهان وتقوي العزائم... ـ وأهل القرآن يتداوون به من كل نازلة لأن قراءته تنفي الهم والغم وتجلب الاستقرار والسعادة والسرور للنفس، وتطرد الوساوس وتبعد الشياطين.

ولقد جاءت لفظة شفاء في القرآن نصاً في مواضع كثيرة. منها قوله تعالى في سورة الإسراء آية ٨٢: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه. ـ ومنها قوله تعالى في سورة التوبة آية ١٤: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾، ومنها قوله تعالى في سورة الشعراء آية ٧٩، ٨٠: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾، ومنها قوله تعالى في سورة يونس آية ٥٧: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ ومنها قوله تعالى في سورة النحل آية ٦٨، ٦٩: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾، ومنها قوله تعالى في سورة فصلت آية ٤٤: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ

﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٤٤﴾... ـ ولقد أشار بعض الشعراء إلى أن الشفاء في القرآن من كل سقم وبلى. ومن أولئك الشعراء الشاعر محمد بن عبد الهادي العجيل الذي يقول من قصيدة له:ـ

اللّه سبحانه الشافي لمرضانا
والمنقذ الأعظم الواقي لبلوانا

سبحانه نزل القرآن فيه شفا
للمؤمنين به يا قوم نجانا

الطب فيه بلا شك لمن عرفوا
ومن أراد له الرحمٰن برهانا

سل الجحاجيح في طب ومقدرة
من أصبحوا للهدى والدين أركانا

من استضاؤوا بنور من شريعتهم
وراقبوا اللّه إسراراً وإعلانا

ومنها قوله:

إن الطبيب ملاك في طبائعه
يعالج الناس أرواحاً وأبدانا

إذا استقام على دين الإله فقد
أدى الأمانة إسلاماً وإيمانا

ومنه قوله:ـ

أعجاز قرآننا نور يضئ لمن
أعطى له اللّه بين الناس وجدانا

○○○○○

فتخيري... وتثبتي!!

لقد اختار الشاعر محمد علي جمعة الشايب هذا العنوان «فتخيري وتثبتي» القصيدة له نشرتها مجلة «منبر الإسلام» في عددها الخامس من سنتها الثامنة والأربعين الصادر في جمادى الأولى سنة ١٤١٠هـ . . . وقد وقفها وأعني بذلك القصيدة على موضوع حاول فيه تسليط الضوء على تفادي العنوسة من ناحية، وحسن اختيار الزوج من ناحية أخرى في أسلوب تحاوري جعل فيه اختيار الفتاة ينصب على الرجل المستقيم الملتزم لدينه، والذي لم يكن له سوابق مشينة قد سود بها أولى صفحات حياته، وذلك بعد صرف النظر عن المظهر الذي ربما يستتر خلفه من ليس بالكفؤ لها.

والحقيقة أن مثل هذا الموضوع التوجيهي يجب أن يتكرر وأن يكثر الشعراء والكتاب من صناعة مثله؛ لأنه يعد أحد الوسائل التي توقظ في النفس جانب الحذر من ارتكاب أمور تسبب له رفض خطبته وتشويه سمعته.

ونحن إذا ما استعرضنا بعض حالات الزواج الفاشل وجدنا السبب يعود إلى أن هناك تبطيناً غير سليم في الأساليب والمظاهر المخالفة للواقع إبان الخطبة. وبعد ما يتم الزواج تتمزق تلك الأبطنة فيبدأ الخلاف الذي كثيراً ما ينتهي بالفراق.

سأل الشاعر الشايب تلك الفتاة التي اختارها للتحاور في هذا الموضوع قائلاً:ـ

أعـزيـزتـي قـد دق بـابـك خـاطـب

ذو مـنـصـب يـبـدو عـلـيـه يـسـار



قد مسه كف الأناقة مبدعا
فتعلقت ببهائه الأبصار

ولقد أتى لك غيره من قبله
ولو الكريمة خيرت تختار

فتخيري واسترشدي وتثبتي
إن لم يصح الرأي فهو عثار

فتجيبه تلك الفتاة إجابة صادقة عن سبب اختيارها لذلك الرجل الذي سعدت بالزواج منه قائلة:

قالت ورن الصدق في نبراتها
وسنا الصراحة للحديث شعار

اخترت ذا دين يفيض محبة
للناس لم تعلق به أوزار

ثم بعد ذلك تقطع الكلام على السائل بتبرير لاختيارها لذلك الزوج بقولها:

لا تسألوني ما اختياري بعده
أفبعد دين اللّه هل أختار

لا تذكروا لي من يتيه بماله
يا رب مال كان فيه دمار

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ خمسة وعشرين بيتاً.

○○○○○

إن تكن مع الناس.. يكونوا معك!!

ومن الطبيعي أن تثمر المعاملة الحسنة التي يعامل بها المرء مبنى حبسه بثمرة حسنة يلمس مردودها فيما يقابل به من لطف وتقدير.

والناس في واقع حياتهم يمثلون تماسكاً تسهم في بروزه جميع الأيدي.

ـ ومن قال إن يداً واحدة يستغني عنها ذلك التماسك.. أو هي في غنى عنه فليجرب ذلك في نفسه ويعتزل الناس اعتزالاً يصحبه رفض أي خدمة يقدمها له الناس. ويتجرد من كل ما للناس من يد في بنائه أو صنعه أو زراعته أو نسجه ليرى كيف تكون حاله!!. إنه وبلا شك سيجد نفسه عارياً وجائعاً وظامئاً.. ـ وإذا كان الناس في جملتهم يقومون بصنع متطلبات الحياة كل حسب مقدرته واختصاصه، وفهمه، فإنه من الأجدر بكل إنسان أن يعامل الآخر معاملة الشاكر له على مساهمته في تأمين أمن الحياة المتعدد الجوانب.

ـ والقاعدة العريضة لواقع الحياة لا تقوم إلا على مساهمة جميع من يحياها سواء كان ذلك على المستوى اليدوي المنتج أو الفكري المنظم من قبل الفرد أو الجماعة.

ـ ولعلي أصيب مقتلاً بالوصف إذا قلت إن الحياة بلا تعاون كالهيكل بلا روح.

وينقل لنا الشاعر أحمد العاصي في الجزء الأول من ديوانه صورة من جانب اندماج الإنسان في مجتمعه أو نفوره منه في أبيات جميلة منها قوله:ـ



كن مع الناس تر الناس معك
ولدى العثرة كل دعدعك

وإذا روّعك الهم ترى
كلهم حرباً على ما روّعك

وإذا أبكاك دهر غادر
مسحوا عنك جميعاً أدمعك

وإذا استوحشت بالدنيا ترى
كنهم يؤنس فيها أربعك

لكنك إذا ما انحرفت عن هذا المبدأ التعاوني فإنك لن تجد هذا التعاطف ولن تنال تلك المبرة ولا تحظى بذلك الاحترام.. وإنما تلاقي العكس من ذلك متى ما أظهرت ضيقاً بلقائهم.

إن تضق أنت بقوم ساعة
فلقد أقلقت حقاً مضجعك

وإذا ناديت في خطب فما
أحد ممن تنادي أسمعك

وإذا ما سرت تسعى بينهم
فبعين السوء كل شيعك

ويختم تلك الأبيات الجميلة بقوله:

فاعرف الناس تعش ما بينهم
آمنا والكل في وفق معك

○○○○○

دين الإسلام منهج وشرعة!!!

ومهما بحث المرء في معنى الإسلام فلا بد أن ينتهي به البحث إلى هذا النص: - «الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك».

وقد عرف الله سبحانه وتعالى الدين الذي ارتضاه لعباده وبلغه لهم على لسان رسوله ﷺ - بالإسلام - فقال تعالى في أول الآية ١٩ من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾.

وقد ورد ذكر الإسلام في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى في سورة الزمر آية ٢٢: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾. وقوله تعالى في سورة الصف آية ٧: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

وكل دين غير دين الإسلام مرفوض من لدن خالق الخلق وبارئه بنص الآية ٨٥ من سورة آل عمران: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

وإذا أراد الله هداية إنسان شرح صدره للإسلام. قال تعالى في سورة الأنعام آية ١٢٥: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

وليس كمثل الإسلام دين يحمي الحقوق ويوفر الأمن ويحافظ على الأعراض ويبني المجتمع ويقوي الروابط والعلاقات بين الناس.. من

حاربه خذل ومن عاداه ذل. ـ السعادة كل السعادة في اعتناقه، والبؤس والشقاء في اجتنابه.

يقول الشاعر عمر موسى البرعي من قصيدة له:ـ

اسلك سبيل شريعة الإسلام
تنعم بحب اللّه ذي الإكرام

فالمرء بالإسلام يعلو شأنه
قدراً ويسمو فوق كل مقام

ما الدين عند اللّه جل جلاله
لمن ابتغى دنيا سوى الإسلام

هو ما ارتضاه اللّه. أما غيره
فديانة بنيت على الأوهام

ضمن السعادة للعباد جميعهم
بمبادئ تسمو على الأفهام

ومنها قوله:ـ

من حارب الإسلام فهو مضلل
متخبط في ظلمة الإجرام

ومن ابتغى في غيره هدياً فقد
ضل الطريق وعاش في أوهام

وقد ختمها بقوله:

هو خاتم الأديان ما من بعده
دين يدان به ليوم زحام

ooooo

المعنى الحقيقي والمجازي للغل والأغلال

أشرت في موضوع تقدم تحت عنوان «الأغلال في القرآن» إلى أنني سأبحث في المعنى اللغوي للأغلال. وها أنذا أستعرض المعاجم اللغوية لأستخرج منها المعنى الحقيقي والمجازي للغل والأغلال فأقول:

ـ لقد أجمعت المعاجم على أن الغُلّ والغُلّة والغلل والغليل: شدة العطش وحرارته. ويقال: غُل يُغَلُّ غللاً فهو مغلول ـ والغِل بكسر الغين: الغش والعداوة والحقد والحسد قال تعالى في سورة الأعراف آية ٤٣: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ...﴾ الآيـــة.

ـ وأغل يغل بمعنى: خان. والغلل اللحم الذي ترك على الأهاب حين سُلخ ـ وقيل: الغلل، الماء الجاري أو هو الذي يجري بين الأشجار ـ وقيل: هو السيل الضعيف ويجمع الغل على أغلال ـ والغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وقبل بطائن تلبس تحت الدروع. وقيل: هي مسامير الدروع التي تجمع بين رؤوس الحلق واحدتها غليلة ـ والغلان بطون الأودية. والغالة: ما ينقطع من ساحل البحر فيجتمع في موضع ـ وغل بصره: حاد عن الصواب.. وأغل بصره إذا شدد النظر ـ والغليل: القت والنوى والعجين يخلط وتعلف به الدابة ـ والغلغلة سرعة السير يقال تغلغوا فمضوا ـ والمغلغلة بفتح الغين: رسالة محمولة من بلد إلى بلد ـ وبكسر الغين الثانية: المسرعة ـ والغل جامعة توضع في العنق واليد والجمع أغلال يقال في رقبته غل من حديد.. وقد غُل بالغل لجامعة يغل بها فهو مغلول ـ والغلغلة إدخال الشيء في الشيء حتى يلتبس به ويصير من جملته ـ وفي ناحيتنا.. في منطقة سدير يعبرون عمن يحاول فتح باب أو قفل بمفاتيح غير مفتاحه بقولهم: يغلغله ـ

والمرأة إذا أرادت أن تعبر عن كيدها لصاحبتها تقول: فعلت كذا أو سأفعل كذا. وغل يغلك ـ ويقولون في المرأة السيئة الخلق ـ غُل قِملُ، وأصله أن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً غَلّوه بغُل من قد وعليه شعر فربما قمل في عنقه إذا قب ويبس فتجتمع عليه محنتان.. الغل والقمل. فضرب به مثلاً للمرأة السيئة الخلق الكثيرة المهر لا يجد بعلها منها مخلصاً والعرب تكنى عن المرأة بالغل ـ وفي الحديث: «إن من النساء غُلا قَمِلا يقذفه الله في عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلّا هو». ومن شواهد الشعر على الغل والأغلال التي على قافية اللام قول ذي الرمة في تغلغل العرق في الأرض:

يُحفّر عن كل ساق دقيقة
وعن كل عرق في الثرى متغلغل

وقول كعب يصف عروق الشجر المتغلغلة في الأرض:ـ

وتفتر عن غر الثنايا كأنها
أقاحي تُروى عن عروق غُلاغِلِ

وقول النابغة يصف صفاء الغلائل التي تجمع رؤوس حلق الدرع:ـ

عُلين بكذبونٍ وأبطن كرةً
فهن وِضاء صافيات الغلائل

وقول أحدهم:ـ

كفاها الشباب وتقويمه
وحسن الرواء ولبس الغُلل

وفي هذا المعنى يقول لبيد:ـ

لها غلل من رازقيّ وكرسف
بإيمان عجم ينصفون المقاولا

وقوله يصف ماء تستخرجه السنابك بأنه يداوي العطش:ـ

يفرج بالسنابك عن شراب
يداوي حر أجواف غلال

وفي معنى آخر يقول لبيد:ـ

إذا ما اجتلاها مازق وتزايلت
وأحكم أضغان القتير الغلائل

وقول الدكن يصف سرعة الفرس:

ينجيه من مثل حمام الأغلالْ
وقع يد عجلى ورجل شملالْ

○ ○ ○ ○ ○

أبو زيد السروجي يخاصم زوجته عند القاضي!!

وأبو زيد السروجي هو الشخصية الوهمية التي تحدّث باسمها الحريري في مقاماته المشهورة. والتي جاء في الكثير منها بالنوادر والأضاحيك. وأسند روايتها إلى شخصية وهمية أخرى اختار لها اسم «الحارث بن همام» الذي روى أن أبا زيد السروجي خاصم امرأته عند قاضي الأسكندرية. ذلك القاضي الذي أعطى الكلام في مجلس القضاء للمرأة: فقالت في احتجاجها ومحاجتها زوجها: - أيد الله القاضي - وأدام به التراضي. - إنني امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة - وأشرف خؤلة وعمومة شيمتي الصّون. ولزوجي نعم العون. بيني وبين جاراتي بون. كان أبي إذا خطبني بُناة المجد. وأرباب الجد. سكتّهم وبكتهم - واحتجّ بأنه عاهد الله ألا يصاهر غير ذي حرفة. فقيض القدرُ لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخدعة نادي أبي. وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة. وباعها بمبلغ - وقدره - فاغتر أبي برخرف مقاله وزوجنيه قبل اختبار - فلما رحّلني عن أناسي. وأوقعني في أسره. وجدته قعدة نُوَمة.. - وكنت صحبته برياش وزي وأثاث فما برح يبيعه ويتلف ثمنه.. حتى مزق مالي بأسره. وأنفق مالي في عسره. فلما أنساني طعم الراحة. قلت يا هذا انهض للاكتساب ببضاعتك واجتن ثمار براعتك. فزعم أن بضاعته رميت بالكساد لما أصاب الأرض من الفساد - ولي منه سلالة لا تجف من الطوى لها دمعة.. وقد قدته إليك. واحضرته لديك لتعجم عود دعواه. ولتحكم بيننا بما أراك الله - قال القاضي لأبي زيد: لقد وعيتُ ما قصته زوجك. فبرهن الآن عن نفسك. وإلا كشفت عن أمرك. وأمرت بحبسك. فجاء قول أبي زيد شعراً منه:

اسمع حديثي فإنه عجب
يضحك من شرحه ويُنْتَحَبُ

أنا امرؤ ليس في خصائصه
عيب ولا في فخاره ريبُ

سروج داري التي ولدت بها
والأصل غسان حين أنتسبُ

وشغلي الدرس والتبحر في
العلم طلابي وحبذا الطلب

ومنه :ـ

فإن يكن غاظها توهمها
أن بناني بالنظم تكتسبُ

أو أنني إذ عزمت خطبتها
زخرفت قولي لينجح الأرب

فوالذي سارت الرفاق إلى
كعبته تستحثها النجب

ما المكر بالمحصنات من خلقي
ولا شعاري التمويه والكذب

فكان الحكم عليها لا لها لأن الفقر لا يعيب الرجل.. والحكاية فيها من الترويح عن النفس ما فيها. وفيها ما فيها من المغازي الأدبية، فهي أضحوكة، وهي عبرة، وهي سخرية في آن واحد لأنها اشتملت على تفضيل الرجل صاحب المهنة على غيره وفيها إشارة إلى أن الشعر في زمن الحريري كان كاسداً. وفيها إشارة إلى أسلوب المخادعة والمكر. أما السخرية فتتمثل في أسلوب وطريقة طرح القضية في إطار المرافعة القضائية.

الإسلام قاعدة عامة للسعادة!!

ومهما يكن من أمر فالإسلام بمفهومه الحقيقي وواقعه الذي يرتفع عن كل السلبيات التي تكتنف سلوك الإنسان الذي لا يتخذه منهاجاً لحياته. قد تفرد بتحقيق ما يصلح شأن الإنسان ويرفع من قدره.

وحينما يوصف الإسلام بأنه قاعدة عامة للسعادة الأبدية ومنطلق حقيقي لإسعاد البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة.. ولو لم يكن ذلك لما كان خاتم الأديان. ورضيه الله ديناً قيماً لكافة أهل الأرض من الجن والإنس..

قال تعالى في الآية الثالثة من سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾.

وواقع الحال يثبت أن العزة في الإسلام.. ومن أسلم فقد اهتدى واستسلم لله، قال تعالى في سورة آل عمران آية ٢٠: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾.

ونحن نقرأ انتصارات سلفنا الذين هم أهل الإسلام في المعارك التي تدور رحاها بينهم وبين أعداء الإسلام الذين يفوقونهم عدداً وعدة فلا نجد تفسيراً واقعياً لانتصاراتهم إلّا لأن الإسلام كان مستقراً في نفوسهم فجعل منهم قوة لا تقهر.

ونحن إذا نظرنا إلى ما أصاب أهل زماننا من وهن وضعف وتقهقر أمام أعدائنا وطلبنا تفسيراً لذلك. وجدنا أن ذلك ناتج عن عدم الاعتماد على الإسلام وتعاليمه في ميدان الحروب وملاقاة العدو، وعدم



النظر إلى توجيهاته التي تحقق النصر وتضمن الظفر للآخذ بها.

وحول مفهوم انحسار القوة بسبب العزف عن الإسلام قال الشاعر السعودي رضوان عدنان بكري قصيدة، منها قوله:

نسوا الإسلام والأمجاد عنهم
وللبابا وللحاخام قاموا

فليت قيامهم يتلوه عز
وليت الذل يدفعه القيام

ولكنّا اشتغلنا بالدنايا
وألهانا عن الدين الطعام

وقوله:ـ

وكم كنا نشيد المجد صرحاً
ويرجو فضل أيدينا الأنام

وكانت شرعة الإسلام تعلو
فلا ظلم يمور ولا ظلام

وكنا أهل مفخرة وعز
وكان الجار فينا لا يضام

وقوله:ـ

لقد كنا خيار الناس طراً
وفي أيماننا كان الحسام

ويختمها بقوله:ـ

هو الإسلام ليس لنا سواه
معز أو فعزتنا.. حرام

مصارعة الثيران

والعرب تفخر بتدريب الخيل على الكر والفر. وتعتز بامتلاك أعنتها. وتفخر بالتحكم في تصريفها وتوجهها في ميادين المعارك حيث القتال ومطاعنة الفرسان. وكذلك الشأن ببقية الحيوانات التي لتدريبها ارتباط بمصلحة الإنسان العربي.. وذلك كتدريب الجمال والحمير والثيران على السني وجر المحراث وحمل الأثقال من مكان إلى مكان، وما إلى ذلك من الأشياء التي لا يستغني عن مساعدة الحيوان في توفيرها له.

أما الإنسان الغربي وبخاصة الأسباني الذي شغل الفراغ الذي أحدثه رحيل العرب من الأندلس قبل خمسمائة عام تقريباً بمصارعة الثيران، وغير ذلك مما تستهلك به الوقت من ألعاب لا ترتبط بمصلحة الإنسان بصفة عامة.

ـ ومصارعة الثيران تأتي على رأس قائمة الألعاب المتسمة بالعنف... لكن ما الذي يحققه المصارع من فائدة إذا انتصر على الثور؟، أو ما الذي يخسره إذا انتصر الثور عليه؟. النتيجة بطبيعة الحال، سلباً في سلب.

وهناك حكاية تفيد بأن عنترة بن شداد وهو المشهور بالشجاعة والإقدام قد تنحى عن ثور كان هائجاً. فسئل: لماذا تنحيت عن الثور وأنت الذي تذل لك الأبطال؟ فأجاب: وهل يعلم الثور أني عنترة!!

... ـ وأعود إلى حكاية مصارعة الأندلسيين للثيران لا لأزيد فيها توضيحاً أو وصفاً للمصارعة... فكاميرات التلفزيون، وعدسات تصوير



الأفلام السينمائية وغيرها من وسائل الإعلام المرئية قد كفتني ذلك.
وإنما لأنقل أبياتاً من قصيدة للشاعر مصطفى متولي عنوانها: «أرض المرح»، وتصور بل تصف مصارعة الأسبان للثيران. حيث يقول:ـ

أنس وحب وانسجام يا ترى
هل شعب إسبانيا تفرّد بالطربْ؟

قد صارعوا الثيران في حفلاتهم
والثور يصعب كبحه عند الغضبْ

ومصارع الثيران يقفز تارة
ويدور أخرى كالسعير الملتهب

منديله مثل النجيع يمده
للثور حتى يستبدّ به الكَلَبْ

فيقاتل الرجل المدجج ناصباً
قرنيه كالصمصام يكنفه العطب

والفارس الصنديد يحمي نفسه
حتى يخور الثور من وقع التعب

فإذا تهالك عاجلته مُدية
للفارس العادي يحوز بها الغلب

يتهافت الأسبان كلهمو على
تلك المشاهد كل أسبوع وقب

○○○○○

مقارنة بين أدب الإنسان وأدب من يعايشه الإنسان!

والإنسان حينما يجري مقارنة بين سلوكياته وأخلاقياته. وبين عادات وطباع وظواهر ما يعايشه من حيوانات وأشجار وغير ذلك. فإنه كثيراً ما يجعل كفة ما يعايشه هي الأرجح. وذلك اعترافاً منه بأنه مقصر. هذا إن لم يشر إلى أنه يخرج في بعض تصرفاته وسلوكياته عن الأدب الإنساني الذي كان يتميز به عن سائر المخلوقات، ويصف نفسه بأنه أقل مستوى إدراكي من المخلوقات التي يختارها حينما يشرع في رصد المقارنة بينه وبينها.

يقول الشاعر مصطفى متولي في إحدى قصائده التي ضمنها ديوانه «مورد الصفا ومنهل الشفاء»:

لا فرق بين الخنفساء بجحرها
ومتوّج في عرشه متأله

وسواد لون الخنفساء طبيعة
وسواد وجه الآدمي لفعله

لا تفتك الحشرات قط بمثلها
والآدمي بغى الهلاك لمثله

وينتقل في نفس القصيدة إلى سياق لون آخر من ألوان المقارنة بين طباع الإنسان وما يعايشه من مخلوقاته فيجعل للكلب الغلبة في مجال الوفاء والإثارة على النفس وحب الصاحب.

ما خان كلب صاحباً أو سيداً
والآدمي رمى أخاه بنبله



ويزيد من استعراض الأمثلة التي ينخفض فيها مستوى الإنسان بالمقارنة بينه وبين الأشياء التي ألفها:

النخل تضربه بأحجار الثرى
فيردها ثمراً ينمُّ بنبله

ما أعجب الإنسان يوغل في الأذى
متنكراً لإلهه ولعقله

حمل الأمانة فاستهان بحملها
والأرض توشك أن تضيق بحمله

أما الوسيلة التي يرتفع بها الإنسان في تلك المقارنة، فهي تنقية القلب من كل الشوائب التي تقلل من مستواه الأدبي والخلقي وتضعه في موقف المقارنة في درجة أقل من مستوى المخلوقات التي ذكرها الشاعر في الأبيات المتقدمة:

هيهات يسمو المرء نحو إلهه
حتى ينقّى قلبه من غلّه

OOOOO

مقارنة نسبية بين القرون!!

والإسلام.. هو الملة الثابتة. والباقية لأنه نظام عبادة وعمل وتعامل شامل؛ ولأنه خُتمت به الرسالات السماوية التي أرسل بها آخر الرسل محمد بن عبد الله ﷺ.

والتغير من حال إلى حال في التعامل بالإسلام والعمل به يطرأ على فئة كثيرة من الناس.. وقد أخبر النبي ﷺ عن التضاعيف الوهنية التي تزداد فعاليتها من قرن إلى قرن من حيث التدني في قوة التمسك بالإسلام. فقال عليه الصلاة والسلام: بـ «خيركم قرني. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم»... ـ وإذا أجرينا حساباً زمنياً مميزاً بالقرون من أجل الحصول على نسبة ما يخص قرننا من مضاعفة الإصابة بالضعف في الإسلام فإنه هناك ١٤ قرناً من الزمان تولت بعد الحديث الشريف الذي تقدّم ذكره. وعلينا أن نتصور حالنا وحال أهل القرون الأولى في التدني النسبي. ـ لكن الذي يجبرنا في ذلك هو ما جاء في الحديث الشريف الذي منه أن أبا عبيدة بن الجراح قال يا رسول الله: هل أحد خير منا، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: «نعم قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني». وهذا الحديث يحملنا على ترك المقارنة واستخراج النسبة الحسابية الممتدة في المضاعفة المتدنية من قرن النبي ﷺ إلى قرننا الحاضر؛ لأن امتياز قرن الصحابة قد حققته أمور كثيرة منها: قرب العهد بالنبي ﷺ، وقوة التمسك بالإسلام وصدق الدعوة إلى الله. والإقدام على حمل الناس غير المسلمين على اعتناق الإسلام بأساليب كلها حكمة وموعظة ولباقة ومعرفة. والتسابق على العمل بنص الحديث الشريف الذي منه قوله لِعَليّ: «فوالله لأن يهدي

بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»... ـ أما المسلمون اليوم فإنهم في حالة يرثىٰ لها من التفكك وحُبُّ الذات واختلاف وجهات النظر والخضوع للمعسكرات المعادية للإسلام والمسلمين.. وكأن النبي ﷺ لم يقل: «تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يحيد عنها إلا هالك» أو ما معناه... ـ أما عن تنافس الأيام التي تشكل القرون التي منها قرن النبي ﷺ. وفوزها بشرف وقوعها في قرنه فقد أشار إليه الشاعر محمد الأسمر في قصيدة له عنوانها «ميلاد الرسول» وذلك بقوله:ـ

ما كان ميلاد الرسول المصطفى
إلا الربيع نضارة وتضوعا

يوم أغرُّ كفاك منه أنه
يوم كأن الدهر فيه تجمعا

ويكاد غابر كل يوم قبله
يثني إليه جيده متطلعا

فلو استطاع لكرّمن أحقابه
وثباً على هام السنين ليرجعا

ويكاد مقبل كل يوم بعده
ينسلُّ من خلف الزمان ليُسرعا

فلو استطاع لجاء قبل أوانه
وانساب يخترق السنين وأتلعا

تتنافس الأيام في الشرف الذي
ملأ الوجود فلم يغادر إصبعا

خير أفاض الله منه على الورى
أنّى جرى ترك الجناب الممرعا

القصائد الختامية!!

وإذا لم يقم الشاعر بتأليف أعماله الشعرية بنفسه وجمعها في ديوان يحلّي جميع قصائده بذكر المناسبات والمواقف التي تتمخض عنها كل قصيدة.. ويحدد أول قصيدة قالها، فإنه من الصعب جداً على الذي يقوم بجمعه وتحقيقه ودراسته أن يحدد أول قصيدة قالها الشاعر ليضعها أمام القارئ كنقطة بداية يتدرج منها مع أفكار الشاعر وتطور خيالاته، ونضج أساليبه.. كما أنه من الصعب جداً أن يعين القصيدة الأخيرة والتي كانت خاتمة لأعمال الشاعر.

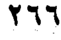
لكن الاستقراء ربما مكن بعض المحققين لبعض الدواوين الشعرية من الإشارة إلى القصيدة الأولى التي قالها الشاعر كما أن بعض الاستنتاجات تخوله تحديد القصيدة التي كانت خاتمة لقصائد الشاعر الذي تولى تحقيق ديوانه.

والإشارات التي تحدد القصيدة الأولى والقصيدة الأخيرة لا تخلو منها بعض الدواوين المحققة.

وفي هذا الموضوع تقف على أبيات قال عنها محقق ديوان الحسن بن هاني «أبو نواس»: إن أبا نواس قالها في المرض الذي مات فيه. وهذه إشارة إلى أنها خاتمة أشعار أبي ناس.. وهذا ربما كان استقراء لأن الأبيات جاءت بلهجة تضرع وهي:ـ

أراني مع الأحياء حيا وأكثري

على الدهر ميْتٌ قد تخرمه الدهرُ





فما لم يمت منّي بمامات ناهض
فبعض لبعضي دون قبر البلى قبرُ

فيا رب قد أحسنت عوداً وبدْأةً
إليّ فلم ينهض بإحسانك الشكر

فمن كان ذا عُذرٍ لديك وحجةٍ
فعذري إقراري بأن ليس لي عذرُ

ولأبي نواس الكثير من مثل هذه التوجهات والتضرعات التي هي في واقعها على طرف نقيض مع قصائده المجونية والخمرية التي تستحوذ على معظم صفحات ديوانه من تلك التضرعات والابتهالات قوله:ـ

أيا من ليس لي منه مجير
بعفوك من عذابك أستجير

أنا العبد المقرّ بكل ذنب
وأنت السيد المولى الغفور

فإن عذبتني فبسوء فعلي
وإن تغفر فأنت به جدير

أفِرّ إليك منك وأين إلا
إليك يفر منك المستجير

○○○○○



فهرس الجزء التاسع